

مَعَالِمُ الْأَيَّامِ  
فِي  
مَعْرِفَةِ أَهْلِ الْقَبْرِ وَالْقَبْرِ

صَنَّفَهُ

أَبُو زَيْدٍ، عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ الْأَسَدِيِّ، الدَّبَلِيُّ  
(١٠٥ - ١٩٦ هـ)

أَكْمَلَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

أَبُو الْفَضْلِ أَبُو الْغَايِمِ بْنِ عَيْسَى بْنِ نَابِي السُّنْدِيُّ  
(١٨٣٩ - )



بِتَحْقِيقٍ وَقَوْلٍ

مُحَمَّدِ مَسْأُورٍ

الجزء الثالث

1. 1. 1.

2. 2. 2.

3.

4.

مَعَالِمُ الْأَمَانِ

فِي  
مَعْرِفَةِ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ

صَنَّفَهُ

أَبُو زَيْدٍ، عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ الْأَسَدِيَّيْنِ، الدَّبَّاحِ  
(١٠٥ - ١٩٦ هـ)

أَكْمَلَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

أَبُو الْفَضْلِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نَابِجِ الشُّرْجِيِّ  
(١ - ٨٣٩ هـ)

بِتَحْقِيقٍ وَقَوْلِيٍّ

مُحَمَّدِ مَاضُورٍ

الْبَحْرُءِ الثَّلَاثِ

النَّاشِرُ

الْمَكْتَبَةُ الْعِصْمِيَّةُ بِنُورَسِي

1 1 1

1 1 1

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨١ ● ومنهم أبو حبيب سعيد ابن محمد ابن سحنون (\*)  
رضى الله تعالى عنه

(قال) : كان رجلا صالحا من العباد (1) المبرزين والزهاد المجتهدين سمع من ابيه محمد بن سحنون وتوفي سنة عشر وثلاثمائة ودفن بمقبرة باب نافع الى جانب ابيه رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين .

١٨٢ ● ومنهم عروس المؤذن الشهيد المتعبد المقتول  
على السنة رحمه الله

(قال) : وسبب قتله انه كان يؤذن في مسجد عباس الفقيه صاحب سحنون فشهد عليه بعض المشاركة انه لم يقل في اذانه حي على خير العمل فقطع لسانه وعمل بين عينيه وطيف به القيروان ثم قتل بالمرضاخ وذلك سنة سبع عشرة وثلاثمائة رحمه الله وكان زاهدا يطحن بيده ويعيش من عمل الخلفاء (قلت) : وما ابركها عليه من قلة فقبره مزار بسببها يعرفه الخاصة والعامة مع ما ادخر له في الاخرة من النعيم الذي لا يبلى رحمه الله تعالى .

(\*) (بالنسخة القيروانية التي يرمز اليها فيما بعد بحرف ق) زيادة : ابن سعيد الفقيه المتعبد .  
(1) الفقهاء بدل العباد

## ١٨٣ ● ومنهم أبو جعفر أحمد بن نصر ابن زياد الهواري (\*) البربري رحمه الله

(قال) : سمع من محمد بن سحنون (قلت) : ظاهره أنه لم يسمع من غيره وهذا في غاية التصور بل سمع ايضا من محمد بن عبدوس ويحيى بن عمر وحماس (2) ابن مروان وربيع القطان وسمع منه ابن حارث وجمع كثير وتفقه به اكثر من القرويين .

### (ذكر ثناء العلماء عليه)

(قال) : كان من العلماء الراسخين والحفاظ المعدودين لم ير في زمانه احفظ منه ولا احضر جوابا لا سيما في مذهب مالك وكتب لحماس بن مروان (قلت) : وقال ابو العرب كان ثقة ثبتا مامونا فقيها كتب لحماس ايام قضائه وكان حافظا كثير الدرس وقال ابن حارث كان عالما متقدما باصول العلم حاذقا بالمناظرة جيد التريجة حسن الكلام في علم الفرائض والوثائق صحيح المذهب شديد التواضع سليم القلب بعيدا من التصنع وكان لا ينغاز ولا يتصرف في شيء من العلم غير مذهب مالك ومسائله فاذا تكلم فيها كان فائقا (قلت) : وما ذكر من كونه انه كان لا يتصرف في غير مذهبه خلاف ماتقدم انه لم ير في زمانه الى آخره وقال ابو بكر المالكي كان من الفقهاء المبرزين والحفاظ المعدودين لايدانيه في ذلك احد في زمانه وقال ابو القاسم السدري (3) وكان اول من ادخل كتاب ابن المواز افريقية حفظت منه مسائل جيدا وجئت الى ابي جعفر فالتقيتها عليه فجعل يبطأء راسه كالمفسكر ثم اجابني عنها ثم قال لي يا ابا القاسم جال فكري في

(\*) ق احمد بن نصر بن رجاء الهواري الفقيه .

(2) يلاحظ ضبطه بالشكل وضم الحاء في ق وبمقتضاه تكون اليم مخففة فليعلم ذلك حيث لا يعرف له ضبط .

(3) ضبطه في ق بكسر السين مع التشديد و سکون الدال وهو ضبط ينبغي الرجوع اليه .

دواوين اهل المغرب فما وجدت هذه المسائل في شيء منها لعلك اتيت بكتاب ابن المواز قلت نعم قال قطعه اخماسا ووجهه الي ففعلت وجئت بعد ذلك ازوره فقال لي يا ابا القاسم الكتاب الذي كان في بيتك حصل في صدري (قال) : وله نوازل كثيرة سئل عنها (قلت) : من ذلك سئل عن زوجين ادعى كل منهما على صاحبه أنه عضيوط (4) فافتى بان يطعم احدهما فقوسا والاخر تينا ثم يرسل عليهما في اليوم الاخر فيحككم بالعيب ممن يوجد زريعة ما اكل في الحدث ومن ذلك أنها نزلت بالقيروان مسالة في امراة سقت زوجها سما فاسود فتوقف علماؤها فيها فقال لهم احمد بن نصر المسالة في المدونة في السن اذ ضربها رجل فاسودت او اخضرت فقد تم عقلها ووجبت الدية فيها لان السن انما يراد منها جمالها وبياضها فكذلك الانسان اذا اسود فقد ذهب حسنه وجماله فوجبت فيه الدية (قلت) : وقيل قياسه اهل عصره ومن جاء بعدهم وقال شيخنا ابو عبد الله محمد بن عرفة قد يفرق بلزوم البياض للسن وبعض مومني الادميين اسود (5) ونقل عياض في المدارك عن ابي القاسم زياد السدري انها ستمته فتجذم وانهم اضطربوا فيها فقال احمد بن نصر لا تضطربوا [واليسكم النص] اخذا من المدونة وهي المرجوع اليها وظاهر قوله اضطربوا يقتضي اختلفوا على فرقتين بالدية ونفيها وفيه المخالفة لما فوقه من وجهين في صورتها وفي حكمها لما قد علمت من الفرق بين الوقف والاضطراب ولذلك عبر من اختصر المدارك عن الاضطراب بانهم اختلفوا فيها وقد بسطنا الكلام على المسالة في شرح كتاب الجراح من المدونة باوعب منها فانظره .

(ذكر بقية اخباره)

- (4) بكسر فسكون ففتح فسكون ، الذي يحدث عند الانزال ، وهو عيب يرد به في النكاح .  
 (5) الظاهر في توجيه الفرق ان سواد السن مطرد بخلاف البشرية التي بعضها اسود من أصله فلا يقاس عليه .

قال ابو بكر المالكي كان ينشد في قصة جرت لانسان وهب لولده دارا  
ثم احتاج اليها فكلمه فاي عليه وكان قد خطب عند قوم فلم يزوجه حتى وهبه  
اياها حفظا لقلبه وانشد .

اذا احتاج البنون الى ابيهم      اتوا بالبر والفضل الجزيل  
وان احتاج والدهم اليهم      يتناس الهم في الليل الطويل  
فاحسن والد لم يعط شيئا      وعاش بماله حتى الرحيل

(قال) : واتفقت عليه محنة سجنه عبيد الله في المهديّة وقيده وكان به اسهال في  
اكثر عمره فشق عليه ان يتكشف عليه في السجن فدعا الله في ذلك فارتفع عنه  
الاسهال في السجن فلما وصل الى داره بالقيروان عاد اليه وكان مدة اقامته في  
السجن تسعة اشهر (قلت) : هذا كلام فيه بتر وبسطه كما ذكروه امتحن على يدي  
اسحاق بن ابي المنهال القاضي من قضاة العراق وكان رجل سوء امتحن على يديه  
جماعة من الصلحاء والعلماء المدنيين فضرب بعضهم وحبس بعضهم فدخل على  
عبيد الله الشيعي فقال له رجل من البربر وله ذكر ونحن لا نامن به وكان يتوقع  
امر ابي يزيد وكان ابو جعفر يجتمع الناس اليه في مسجد رحبة القرشيين ويفتي  
بمذهب مالك فوجه اليه وسجنه بالمهديّة وقيده وكان يعتربه الاسهال في اكثر  
عمره فلما جعل القيد في رجله دعا الله سبحانه ان لا يبتليه في السجن بذلك فارتفع  
عنه الاسهال طول اقامته في السجن فلما تبين لعبيد الله انه ليس قبله شيء مما رمي  
به امر باخراجه فلما وصل الى داره عاد اليه الاسهال وكان حبسه في سنة ثمان  
وثلاثمائة ولما اطلق لزم بيته حتى مسات فصي داخل بيته كان يجتمع اليه  
من يقصده وكان يقول حبست في بيت الدم مع السراق واصحاب الدماء وكنت  
اخرج في كل جمعة يتفقد قيدي اقامت على هذا شهرين ثم اخرجت بعد ذلك من  
ذلك البيت الى البيت الذي يحبس فيه جميع الناس والله ماسرقت ولا زنيت ولا  
جنيت ولا كان ذلك الا على محبة صاحب القبر والمنبر صلى الله عليه وسلم .



(ذكر وفاته)

قال ولد سنة خمس وثلاثين ومائتين وتوفى في ربيع الاخر سنة سبع عشرة وثلاثمائة (قلت) : وصلى عليه ابو ميسرة احمد بن نزار في جماعة اصحابه سرا في داره خوفا من ان يصلى عليه احد من قضاة الوقت فلما اخرج به وكفاه الله تعالى ذلك اعاد الصلاة ثانيا فصلى عليه خلق كثير وقبله عياض (فان قلت) : في قبوله نظرا لان الميت اذا صلى عليه اثنان فاكثر فانها لا تعاد عليه بلا خلاف في المذهب واختلف في الواحد (قلت) : لانظر فيه وصلاتهم اولا هي الفرض او السنة وانما اعاد ابو ميسرة الصلاة عليه للمصلحة العامة لانهم اذا لم يصلوا عليه تقع مفسدة عظيمة لامن العامة ولامن السلطان ودائرته فاعادته انما هو رعى لما ذكرناه والله اعلم (قال) : ودفن بالرمادية (قلت) : وقبره غير ظاهر رحمة الله عليه ورضوانه لديه .

## ١٨٤ ● ومنهم أبو القاسم محمد ابن محمد ابن خالد القيسي المعروف بالطرزي (\*)

القاضي الزاهد مولى بني معبد سمع من سحنون بن سعيد كثيرا (قال) : ولاء عيسى بن مسكين على مظالم القيروان وولاه حماس بعده عشر سنين (قلت) : المراد بالمظالم احكام السوق قال ابو العرب قد ولي لعيسى بن مسكين وحماس اسواق القيروان وانما نهبت على ذلك لانه كان يتبادر لذهنه انه المحتسب في اللحم والخبز والاسفنج ويحكم مع ذلك في الاسواق بحكم التبغ والمراد بعشر سنين من ولاية عيسى له الى آخر ولاية حماس كانت اقل من عشر سنين بكثير ولذلك قال التجيبي ولي حكومة القيروان عشر سنين وذكر ابن الجزار انه اعتذر حين وليها بان فيه حياء ولين جانب وقلة فقه فقال له الامير ابراهيم بن احمد بن الاغلب

(\*) في ق : على الرأ شدة وبها يضبط .

اما الحياء واللين فاذا امرت ونهيت فتد زالا واما قلة الفقه فشاور الفقهاء قال ثم ولي قضاء صتميلة ولاه عليها زيادة الله بن عبد الله فاقام عليها عشر سنين (قلت) : كانت ولايته في آخر دولة بني الاغلب (قال) : وكان شديد الضبط مغيرا للمنكر (قلت) : في كلامه بتر لزيادة غيره لم يل اسواق القيروان قبله اضبط منه (قال) : روى انه لما ولي مزالم القيروان مر على قناة يخرج منها ماء من دار محمد بن زرقون امام الجامع فساله عنه فقال فار وقع في البئر فقال وماء فار ايضا فسجنه فلما حضرت صلاة الظهر مضى الى السجن فصاح به فاخرجه وقال له والله لولا انك امام والناس لا يستغنون عنك ما أخرجتك (قلت) : هذا وشبهه هو الذي يقال فيه لا تاخذه في الله لومة لائم ولقد ضيع التضاة من اصحابنا هذا الباب تضييعا حتى كانهم لم يسالوا عنه ويرون ذلك بابصارهم ولا يقفون فيه كل الوقوف وان رفعت اليهم شهادة فلا يعلمون بها الا عملا ضعيفا فيتجاسر (6) الناس ويكثر (7) من ردم الازقة بفضلات بنياتهم ونحو ذلك من تخريج المياه الطاهرة والنجسة من ديارهم وربما يوقفون رجلا في ذلك ولا يعضدونه كل العضد فتكثر الجسارة عليه فيرفع يده وان بقي بتي كالعدم ولا يجوز هذا ولقد كنت ابالغ فيه غاية المبالغة (قال) : وكان كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين .

اذا خان الامير وكاتباه وقاضي الارض داهن في القضاء  
فويل للامير وكاتبه وقاضي الارض من قاضي السماء

(قلت) : كان يتمثل بهما في مجلس احكامه اشارة لما قلناه من ان المطلوب من الحاكم ان يسوي بين القوي والضعيف والشريف والمشروف بحيث لا تاخذه في الله لومة لائم (قال) : وقد كانت له محنة ضربه القاضي المروزي هو وابن بطريقة

(6) ق : فتجاسر الناس .

(7) وتكاثر .

بالسياط عند الجامع بغضا منه في اهل السنة وعداوة لعلماء المسلمين (قلت) : وزاد غيره وضربه ايضا هو واين سلمون القطان والخلافي المحتسب وقوما مرابطين من اهل تونس وكان قتل المروزي بسببهم ، وذلك ان عبيد الله امام الشيعة لما اتى الى القيروان من سجلمامة وجده قاضيا ووجد في سجنه من ذكر ، واطهر ان سببه التمدح في الدولة فعزله وعذبه ثم قتله (قال) : وتوفى (8) سنة سبع عشرة وثلاثمائة (قلت) : زاد غيره في شهر رمضان المعظم (قال) : وكما مات لم يوجد عنده ما يكفن به وكفنه عبد الحميد السرتي .

## ١٨٥ ● ومنهم أبو جعفر القصرى

واسمه احمد بن محمد بن عبد الرحمان بن سعيد بن ابراهيم مولى الاغلب ابن سالم نسب الى قصر الاغلب ودار ملكهم القديم على ميلين من قبلة القيروان وسكنه الناس بعد انتقال بنى الاغلب

(قال) : يروي عن اسحاق ابن عبدوس و فرات بن محمد ويحيى بن عمر وعبد الجبار بن خالد السرتي وابي العباس ابن طالب القاضي وذكر عددا كثيرا من القسريين وزاد عبد الرحمن ابن عبد الله بن الحكم المصري (قلت) : وكان اول ما سمع العلم من اسحاق بن عبدوس ولهذا والله اعلم قدمه الشيخ عن غيره (قال) : وحمل الناس عنه كثير من موضوعاته وغيرها .

ذكر ثناء العلماء عليه

(قال) : كان فقيها صالحا ورعا سريع الدعة له عناية بالعلم والروايات وتصحيح الكتب وجمعها (قلت) : وقال ابو العرب كان ثقة سمع منه الناس وقال ابن ابي دليم وغلب عليه الحديث وكان كثير الرواية وكان الناس يعظمونه

وقال ابيو القاسم بن شبلون كنا ونحن صبيان نلعب اذا مر بنا احمد بن محمد بن عبد الرحمان نترك اللعب ونهرب اجلالا له وهيبة وقال سعيد بن جبير شهدت ابا بكر بن اللباد ياتي راجلا الى ابي جعفر بن احمد بن محمد بن عبد الرحمان القصري ياخذ منه كتابا ينقل منه سماعه من يحيى بن عمر وغيره هذا لثقتة وضبطه (قال) : وكان له اعتناء كثير بجمع معجزات النبي صلى الله عليه وسلم تسليما (قلت) : وكان يقول لو سبقني احد لدفن كته معه لامرتهم ان يدفنوا لي بالمعجزات حتى التقي بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وكان يقول ربما انتبهت من النوم فارى نورا ينزل من السماء على كتاب المعجزات قال ابو بكر المالكي وكان يقول اني لا اشتهي الشيء من الطعام فعند اكله لا اجد لذة وما هو الا لاحد امرين اما للحديث الذي جاء ترفع حلوة الدنيا وحلاوتها او من كسب الناس اليوم ولقد فكرت في قول آدم عليه السلام .

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح  
تغير كل ذى طعم ولون وقل بشاشة الوجه المليح (9)

فهذا آدم يقول تغير كل ذى طعم ولون فكيف بزماننا اليوم (قال) : وكان يقول لي اربعون سنة ماجف لي قلم (قلت) : من كثرة كته للكتب وقصد انمبالغة في قوله ما جف لي قلم كقوله صلى الله عليه وسلم تسليما لا يضع عصاه عن عاتقه وكان ربما باع بعض ثيابه واشترى به كتباً قال ابو بكر المالكي ووصل الى سوسة برسم زيارة يحيى بن عمر فوجده الف كتابا فلم يجد ما يشتري به رقا يكتبه فيه فباع قميصه الذي كان عليه واشترى بثمنه رقوقا وكتب الكتاب وقابله واتى به الى القيروان (قال) : وتوفى سنة احدى وعشرين وثلاثمائة (قلت) : وقل عياض سنة اثنتين وعشرين وقال ابو بكر بن عتيق والعواني سنة ثلاث وعشرين (قل) :

(9) لا يخفى ما فيه من اختلاف القافية .

ولعله : وقل بشاشة وجه مليح وهذا اصلاح لفظي - واني لنا بآدم - .

ودفن بباب سلم على قارعة الطريق خلف المصلى وكان قبره قد انقعر لسكثرة الامطار فظهرت رجلاه بعد اربعين سنة وفيها اثر شراك نعله لم يتغير رحمة الله عليه (قلت) : وقال العواني بعد اربع عشرة سنة والمنقول عنه جعفر بن زنيف قال فاتيت قبره فقلت لاكشفن من عند رجله فكشفت فظهرت لي رجله وفيها اثر شراك النعل واراد بقوله لاكشفن اي يرفع الحجر الواقع عليه ليبينه به فيرى رجله من غير قصد لا انه قصد التعمد لنظر بعض جسده والله اعلم .

## ١٨٦ ● ومنهم أبو الفضل يوسف بن نصر مولى لحم العابد الزاهد الفقيه

(قال) : سمع من يحيى بن عمر و فرات بن محمد (قلت) : زاد المالكي وغيرهما فكان حقه ان يقول ذلك (قال) : وقرا عليه ابو الغصن المخادم وكان من العلماء العارفين بالله غلب عليه الزهد والتفكير والنصيحة ممن لا تاخذه في الله لومة لائم كثير العبادة وخرج من القيروان الى قصر ابي الجعد ثم منه الى قصر سهل فلازمه متعبدا به حتى مات وله تأليف في الرقائق واحمية الحصون وما يجب على سكانها ان يعملوا به فكان اهل الحصون يوذونه على ذلك وكان يصلي كل يوم وليلة بختمة خمسمائة ركعة يختم فيها القرآن وصام حتى انتقطع قال ابو بكر الزويلي خرج ابو الفضل من سوسة الى قصر سهل فمر باسفننجي يعمل الزلايية وصبي مع أمه يبكي فسال المرأة ماله فقالت له هو يتيم وانا امه ارملة فرأى هذا الاسفنج فاشتبهى ما بين يديه فاخذ ابو الفضل بيد الطفل وقال لصاحب الدكان خذ هذا المنديل ونزعه عن راسه واطعم هذا الصبي حتى يشبع ومشى حاسر الراس الى قصر سهل (قلت) : شبع الصبي معلوم عندهم كما هو معلوم اليوم عندنا في العرف الاعم الاغلب فليس في شرائه جهالة (قلت) : وقال ابو بكر الوراق كان ابو الفضل يخبز قوته ويبرده سخنا بالزيت ويجعله في اناء ويفطر كل ليلة على شيء منه وكان يسرد الصيام طول عمر . ولقد بقي اربعين سنة ما طبخ قدرا ولا

اوقد في بيته سراجا وكان سبب ذلك انه رأى خادما تعالج التدر في ريح والحطب اخضر ودموعها تسيل فقال دعها والله لا اطلعت لي قدرا على نار ما بقيت في الدنيا (قال) : وقال يونس السقا كنت ملازما لخدمة ابي الفضل فاخرج الى دقيقا وامرني بصدقته وقال ضاقت نفسي من هذه الويبة لي ستون ليلة آكل منها قال يونس : فاصبت فيها قدر ثمنين (10) من دقيقتي فكان قوته في ستين ليلة ثمنين من دقيقتي وقال بعضهم حملت الى ابي الفضل هدية عسلا وسحنا وكعكا وقلت هذه هدية مني لك فقال اسأل الله العظيم ان يعظم ثوابك اليوم لي ثلاثون سنة ما اكلت من هذه الطرف شيئا انا وظيفتي من الشهر الى الشهر بقيراط شعير وانما ينعم الناس وياكلون غدا فرقها على الضعفاء ففعلت واخرجت له خريطة بدراهم فقلت له فرق هذه على من يستحقها فقال لا افعل انما افرق مالي واما مالك فانت تسال عنه وروى انه كان اشتهى تينا اخضر فامر من يشتريه له فلما رأى الذي اشتراه له من بعيد قال قال اذهب عني فراى الرجل ذلك وذهب الى بايعه فساله عنه فأذا به من أرض مغصوبة ليتامى فرجع لابي الفضل وقال رددت تيني فقال والله ماتخيل لي الا انك اشتريت لي خنزيرا وقال بعضهم كانت لي ابنة ابيضت عيناها من الجدري فغمني ذلك فجئت الى ابي الفضل فوجدته معدولا عن الطريق وراسه بين ركبتيه فسلمت عليه واخبرته بقضيتي فقال لي اذا كان غدا هذا الوقت فاتني بها فمضيت عنه فسمعته يقول اخطانا الطريق ثم صاح بي وقال لا تحركها ولا تاتيني اتاها الله بالفرج من حيث لا تدري ولا تشعر ثم اتيت الى الدار فوجدتها نائمة فايقضتها ففتحت عيناها فاذا هما اجمل مما كانتا ليس بهما شيء وقيل له فلان يتكلم فيك فقال انما مثلي ومثله مثل رجل حمل لضرب عنقه فقفذه رجل في الطريق فقال لنفسه اسكت إنما تحمل للقتل تسل عن قذفك وأنا سائر الى الموت لا أدري ماياتيني اسأل من يتكلم مما لا يغني عن

(10) في ق : ثمنتين والثمنة مكيلة تساوي نصف الويبة بمكيالنا اليوم وربما كانت تقدر بأكثر من ذلك كما هو مقتضى كلامه .

ذلك وكان يقول لو علمت ان احدا تجاب دعوته في الموت لسالته فيه وكيف لا احب الخروج من دار فيها ابليس والفتن وكذا وكذا الى دار ارجو فيها الاجتماع مع النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وذكر انه دعا على نفسه بالموت (قال) : وحكي انه خرج ابو القاسم ابن راشد وصاحب له ومع كل واحد منهما ابن بالغ جميل فتزلوا بقصر سهل وبه أبو الفضل فثبت عنده ان الصبيين بيتان في لحاف واحد فقال لابويهما إن النبي صلى الله عليه وسلم تسليما أمر بالترفة بين البالغين في المضاجع فأخذ الرجل بمجامع ثوب الفضل وتناوله فقال أبو الفضل اللهم أذهب عقله وافجعه بابنه فاعتل الصبي في القصر فلم يحمله منه الاميتا ثم خولط الاب في عقله حتى مات.

(قلت) : و اراد ابو الفضل بقوله بين البالغين الذي هو على طريق الوجوب والا فالنبي صلى الله عليه وسلم تسليما امر بذلك قبل فقال مروا الصبيان بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع فقبل اراد لعشر سنين لانه اقرب مذكور قاله ابن وهب وقيل بالسبع سنين لتصدير الكلام به قاله ابن القاسم ودعاء الشيخ بان يفجعه بابنه صواب لان ابنه عاصم بفعله وقد قال في المدونة لا باس بالدعاء على الظالم فالولد قد ظلم فدعاؤه عليه سايف (قال) : وتوفي ابو الفضل بقصر سهل ليلة الاثنين لسبع بقين من ربيع الاخر سنة ست وعشرين وثلاثمائة (قلت) : وقال بعضهم بل توفي في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ورثاه بعضهم فقال .

بقصر المنستير توفي عالم نزيل غـريب الدار يكنى ابا الفضل (11).

انار حصون الغرب بالعلم فاهتدت  
وينشر درس العلم في كل مشهد  
رجال وكانوا من الدين في جهل  
وينصح في الاسلام بالحق والعدل

(II) تصحيح البيت هو :

بقصر المنستير توفي عالم

نزيل غريب الدار . . . الخ . . .

قال ابو بكر المالكي وقال لمن يعتني بشانه ويتولى خدمته : انا اذا مت فسنوا علي التراب سنا ولا تزيدوا علي تراب قبري شيئا فاني رايت في بعض الاخبار انه اذا زيد علي تراب القبر من ت ا ب غيره لم يسمع الميت الاذان ولم ير الزوار .

### ١٨٧ ● ومنهم الحسن ابن محمد القلانسي الفقيه المتعبد

(قال) : وهو معلم ابي الحسن الدباغ له ادراك سمع من محمد بن يحيى بن سلام ، وابيه يحيى ، ويحيى بن عمر ، توفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ودفن بالبلوية قال ابو الحسن علي بن محمد الدباغ انشدني الحسن بن محمد .

أعمل وانت من الدنيا على حذر      واعلم بانك بعد الموت مبعوث  
واعلم بانك ما قدمت من عمل      محصى عليك وما خلقت مسوروث

### ١٨٨ ● ومنهم أبو القاسم عبد الوهاب ابن عبد الله المتعبد

(قال) : كان واحد زمانه عبادة وورعا وفضلا مجاب الدعاء ، وكان لا يرى في مسجد او في جنازة الا وهو قائم يصلي ، روي انه خرج الى سوسة فكان اذا مشى ميلين او ثلاثة عدل عن الطريق فصلى يفعل ذلك حتى يصل وكذلك اذا انصرف وخرج عليه يوما السودان فاخذوا دريهمات كانوا معه ومضوا غير بعيد ، فلحقه أحدهم فذكر له انهم حبسوا تحت شجرة فما استطاعوا القيام ! وقال : علمنا ان ذلك من اجلك فدفع اليه دريهمات وانصرف عنه ، وكان رحمه الله حسن الخلق له ملاحظة في العباد وحلاوة في الزهاد يخدم الارامل والفقراء واليتامى ويسقي الماء للضعفاء كثير السياحة والرباط لا يمر بشرف ولا بقعة ولا روضة حسنة إلا ركع فيها ولا يخرج من بيته حتى يختم ختمه وفي الليل اخرى ، قال ابو عبد الله اللباد الصامت دخلت على عبد الوهاب وعليه فرو (12) وهو جالس وصوفه الى خارج

(12) ليس من جلد والدوخلة غطاء للراس من ورق النخل كناية تخلله .



وعلى راسه دوخلة خوص ، وروى انه خرج مرة الى الرباط بسوسة ومعه نصف درهم فلما كان في وقت الافطار اراد ان يشتري به ما يفطر عليه فاخرجه فكل من في السوق يقول هذا زاييف ، فرجع وبات طاويا ، فلما رجع الى بيته بالقيروان وجده جيدا ! فاعلم بعد ذلك ان السوق بسوسة كان في تلك الايام متقبلا (13) قال ابو الربيع دخلت على مروان العابد ويده جبة من كساء خلق يخيطنها فقال : هذه لعبد الوهاب يناجي الله فيها في سواد الليل ، وروى انه لما احتضر عبد الوهاب كان عند رأسه ابو بكر بن اللباد الفقيه ، وابو العرب بن تميم الفقيه ، وابو محمد ابن فطيس الفقيه ، وابو القاسم بن تمام المتعبد ، وابو جعفر بن ابي خالد الفقيه الدباغ ، وابو محمد بن ابي عيسى من الابدال ، وابو الفضل الممسي الفقيه ، وابو محمد بن خيران (14) الفقيه ، وحيب ابن نصر الفقيه ، وابو عبد الله العسال الفقيه ، وابو عبد الله الفثال المتعبد ، وابو احمد الفوال المتعبد ، وسالم بن عمران المتعبد ، وسعيد بن السقلي المتعبد ، وربيع القطان الفقيه المتعبد ، وابو القاسم بن خصيب المتعبد ، واحمد بن محمد اخي ابي حوال المتعبد ، وابو الحسن ابن مسرور الدباغ العالم ، وابراهيم بن اخي موسى القطان القاضي ، وابو سعيد بن اخي هشام الفقيه ، وابو حفص بن الامام المتعبد ، وابوبكر ابن ابي عقبة العالم ، وعبد الله بن هشام (15) القاضي ، والعالم ابو الحسن الزعفراني ، واحمد بن اسماعيل الفقيه ، واحمد بن عبد الله ، وخلف بن حمديس ، وابو جعفر وابو العباس ابنا ابي العرب بن تميم ، كانوا في بيته عند وفاته فقال لابنه ايتيني بتلك الدراعة فاتاه بجبة مرقعة صفراء فقال كفنونني فيها فاني قد ختمت القرآن فيها ثلاثين الف ختمة ، والاجتماع معكم غدا في حومة القيامة مع محمد النبي واصحابه .

(I3) ق : مكسا ومفاده : انه تقبله شخص في خلاص مكسه فالكلمتان بمعنى واحد .

(I4) ق : ابن خيرون .

(I5) ق : هاشم .

(قلت) : حضور هؤلاء المشيخة لاحتضار هذا الشيخ ينبتك على ما احتوت عليه القيروان من كثرة العلماء والزهاد في ذلك الزمان – والذي كان في زمن سحنون وقبله اكثر – وقد سال عبد الله بن عمر بن غانم التماضي بعض ثقاته يوم الجمعة فقال هل حضرت للجامع اليوم ؟ قال نعم ، قال من رايت به ؟ قال رايت سبعين قلنسوة يستحقون القضاء ورايت ثلاثمائة قلنسوة فقيه ؛ فاسترجع ابن غانم عندما سمع ذلك وقال : ذهب الناس ! فاسترجاعه يدل على ان علماء زمانه اقل مما كان عليه العلماء في القديم من الكثرة ، وما زالت البركة فيها فكيف لا وقد دعا لاهلها عقبة المستجاب ، فما بعد مدينة تونس بلد السلطان بافريقية اكثر طلبة منها اليوم ، وبها تسعة مواعيد ، ومفتي تونس وقاضي الجماعة منها – والاول هو شيخنا ابو الفضل بلقاسم بن احمد البرزلي والثاني هو شيخنا يعقوب بن يوسف الزعبي – (قال) : وتوفي في المحرم من سنة ثلاثين وثلاثمائة وصلى عليه ابن ابي خالد الدباغ ودفن بباب سلم واوصى ان يسن عليه التراب سنا وكان سكناه برجة الانصار (قلت) وقبره مزار قرب قبر ابي بكر بن اللباد .

## ● ١٨٩ ومنهم أبو جعفر أحمد ابن أبي خالد الدباغ الزاهد الفقيه واسم أبي خالد يزيد

(قال) : سمع من يحيى بن عمر واحمد بن بدر القراص (16) (قلت) : وسليمان ابن عمران (قال) : كان عالما عاملا رقيق القلب له في السماع فهم واطار الى المحبة مع سميت (17) الحال ذو همة ومعرفة كثير السياحة والرباط على البحر في كل عام محبا الى الناس يميل الى الرقة ، وري انه قال : كنت بقصر الطوب وانا

(16) ق : بن يزيد القراط .

(17) تح ستر .

شاب فطراً على ليلة وجد فدخلت بعض الاصطبلات وانا اصلى والدموع تنحدر علي فجعلت امسحها باكمامي ، فلما اصبحت جعلت انظر فاذا هي دم كلها (قلت) : قال ابو بكر المالكي قال عبد الله ابن هاشم القاضي حدثني ابو بكر هبة الله بن محمد ابن أبي عقبة العطار قال خرجنا مرة نريد الرباط وفي جماعتنا ابو جعفر احمد بن ابي خالد الدباغ فاشترينا من بعض القرى خبزاً ، فلما قدمناه لناكله نظر اليه ابن ابي خالد فقال : ويحكم كيف تقدرون على اكل هذا الخبز ؟ قلنا وما له ؟ فقال : او ما ترونه ؟ فقلنا له ما نروا إلا خبزاً قال فسكاني والله اراه اسود منتناً ! قال فراودناه على الاكل منه فاي ، وقال : والله لا اقدر على اكله ، فلما سمعنا ذلك منه داخلنا في امر الخبر شيء . فانصرفنا الى الموضع الذي اشتريناه منه فسالنا عن خبره وكشفنا عن امره فعرفنا ان الذي يعمله يهودي وانه تقبل سوق تلك القرية (18) فليس يعمل فيها احد خبزاً غيره ! فعلمنا ان الشيخ ينظر بنور الله عز وجل ، وحدث عنه ابو الحسن الدباغ بحكايات واخبار جرت له مع اهل النسك والرقعة ، منها انه قال : رايت بمكة شاباً عليه جبة من صوف - وقد طال شعره وعلاه شحوب ونحول - فقلت له السلام عليك يا صوفي فقال وعليك السلام يا قطني فقلت له : إن لباس القطن مع وجود التقى لا يضر ولباس الصوف مع عدم التقى لا ينفع ، فقال لي صدقت ، فقلت له ما السدي يورث النفوس الهموم ؟ قال لي ثلاث تذاكر ما سلف من الذنوب ، وتذكر الحالات ، وخوف الخاتمات ، قال ابو جعفر ابن ابي خالد : نظرت الى سوداء في الطواف وهي تبكي وتقول : واوحشي بعد الانس واذلتي بعد العز وافقرى بعد الغنى ! فقيل لها مالك امات لك احد ؟ فقالت لا ولكن كان لي قلب فققدته ، ثم انشأت تقول .

كان لي قلب اعيش به ضاع مني في قلبه

رب فارده علي ففقد ضاق صدري من تغيبه  
واغث ما دام بي رمق ياغيث المستغيث به

قال ابو الحسن الدباغ سمعت ابا جعفر احمد بن ابي خالد يقول : من زعم ان الرزق لا ياتي الا مع الاضطرار فقد اخطأ ، ومن زعم ان التوكل لا يكون الا بترك الاضطرار فقد اخطأ يريد ان الانسان يسلم امره الى الله ولا يجعل للتوكل في شيء معين ، (قال) : توفي في جمادى الاخرة سنة ثلاثين وثلاثمائة وهو ابن تسعين سنة ودفن بباب ابي الربيع (قلت) : قال ربيع القطان وراى بعض الصالحين في منامه ابا جعفر بن ابي خالد كأنه مع راكبين احدهما عن يمينه والاخر عن شماله فقيل له ما هذا يا ابن ابي خالد ؟ فقال : هذا جعفر ذو الجناحين وهذا الاخر عبد الله بن رواحة ، فقال له انى لك هذا ؟ فقال هذان مجاهدان من الشهداء وكنت مجاهدا فالحقني الله بهما .

## ١٩٠ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن سهل الصوفى

(قال) : كان صالحا فاضلا خيرا انسك بعد حدثه (قلت) : اراد بعد فترة لقول المالكي : تنسك بعد فترة قال ثم اتخذ نوالا (19) في المقبرة ياوى اليها فحفر يوما حفرة كسر فيها ساق ميت فوقفت اليه امراة في النوم فقالت له ما كفك ان تكشفنا وتؤذينا بالنجاسات حتى كسرت عظم ساقى ! لي معك موقف بين يدي الله تعالى ، فاستيقظ مذعورا فنقض النوال ومحي رسمها ولزم بيته وهو خائف الى ان مات (قلت) : اراد بقوله اتخذ نوالا في المقبرة اي بقرب المقبرة ولا يمكن حمل الكلام على ظاهره لانه لا يجوز ولا يخلتى واراد بقوله حفر حفرة كسر فيها ساق ميت أي حفر حفرة بقرب النوال لياخذ ترابا يصلحها به (20) كما صرح به المالكي وهو

(19) خصا من القصب او العريش يتخذه حراس المزارع الى الآن ويسمونه نواله .

(20) بل ليتخذها مرحاضا كما يفهم من الرؤيا .

يعتقد ان ذلك المسكان لا قبر فيه اذ أصابت المسحاة ساق ميت فكسرته في اثنتين  
واذا كان هكذا فلا شيء عليه في الدار الاخرة لانه خطأ الا ان يكون بمقبرة من  
القبور جدا فتكون في معنى قوله صلى الله عليه وسلم الراجع حول الحمى يوشك ان  
يقع فيه (قال) : ودخل يوما على ابي جعفر بن ابي خالد بالقصر الكبير من المنستير ،  
قال : فقال لي يا ابا عبد الله هات من رفاقك فانشدته :

يا من اذاب فؤادي في محبته واضرم النار في قلبي واحشائي  
ما ان ذكرتك الا كنت في كبدي بموضع الماء من قلبي واعضائي  
ولا ذكرتك في قوم اسر بهمم الا وجدت لهيبا بين احشائي

فقام احمد بن ابي خالد يصيح وينوح وقد اخذ بيده وقام معه وهو يقول  
هكذا قلوب المؤمنين فلما قال قلت - يعني باثر ذلك -

ولا هممت بشرب الماء من عطش الا وجدت خيالا منك في الماء  
فصاح احمد ابن ابي خالد : لالالا الا وذكرك أروى لي من الماء (21)

(قلت) : زاد غيره ووقع احمد بن ابي خالد مغشيا عليه ولم يبق في وجهه  
نقطة دم ، وهذه الحكاية لو ذكرها الشيخ في فضل احمد بن ابي خالد كانت  
احسن عندي والله اعلم ، وتوفي في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة .

## ١٩١ ● ومنهم أبو بكر محمد ابن محمد ابن اللباد الفقيه رحمه الله

(قال) : سمع من يحيى بن عمر - وعليه كان معوله - وابن طالب القاضي ،  
وعبد الجبار بن خالد ، وحماس ابن مروان ، وسعيد ابن الحداد ، وحمديس القطان ،

(21) هذا الاستدراك من ابن خالد في ق وليس بالاصل .

وغيرهم ، وسمع منه خلق كثير ، وعليه تخرج ابو محمد ابن ابي زيد ، وقرا عليه ابن القطان ايضا (قلت) : وألّف كتاب الطهارة وكتاب اثبات الحجّة (في اثبات العصمة) وكتاب فضائل مالك بن انس وكتاب الايثار والفوائد عشرة اجزاء (ذكر ثناء العلماء عليه)

(قال) : كان رحمه الله فقيها فاضلا جليل القدر عالما صالحا ضربت اليه اكباد الابل لانه كان اماما في الدين وعالما في مذهب مالك مع صحبة الصالحين كثير البكاء والخشية مجاب الدعاء ، وقال محمد بن ادريس ما رايت اعلم ولا اجمل ولا اعلى همة من ابي بكر ابن اللباد وابي الفضل الممسي وابي اسحاق ابن شعبان بمصر (قلت) : وقال ابو عبد الله الخراط كان ابو بكر جليل القدر عالما باختلاف اهل المدينة واجماعهم مفتيا مطاعا ، وقال غيره كان من اهل الحفظ والذكاء والفهم بحرا من بحور العلم ، وكان لا نظير له في علم القرآن قراءته واعرابه واحكامه وناسخه ومنسوخه مع بسطة في الفصاحة وحفظ الغريب واللغة ومشاركة في علم الانساب وبصر باسمااء الرواة ومعرفة الضعفاء منهم والثقات وضربت اليه اكباد الابل ، وقال : ابو العباس الايباني : انتفعت بصحبة ابي بكر ابن اللباد ودرست معه عشرين سنة يعني - والله اعلم - قراءتهما معا على الاشياخ كيحیی بن عمر ، وانما كان يجتمع معه بعد في فلتات .

(ذكر جملة من اخباره)

روى انه دعا على ثلاثة فاجيب دعاؤه فيهم : دعا على واحد منهم بالجنون ، وعلى الاخر بالعمى ، وعلى الاخر بالجلال ، فجن الاول وعمى الثاني ومات الثالث في بلاد السودان ، ودخل على عبید الله صاحب افريقية فاقبل عليه وقال : يا محمد انت ملاذ بلدك في كم من العيال انت ؟ فاخبره فقال : نفرض لك في بيت المال مايكفيك من النفقة والكسوة وغيرهما فقال : قبلت ولكن اترك ذلك في بيت المال حتى نحتاج اليه ، (قلت) : هذه مسايسة حسنة ومحاولة برفق اذ هو خير من رده بلا

محاولة (قال) : وحكي انه شور رجل ابنته بشوار كثير فعجب الناس منه ، وحضر ابو بكر بن اللباد فانصرف الناس يهتئون صاحب الشوار ، فقال له ابو بكر : لا أخلف الله عليك بخير فقد اكمدت جارك واعضلت ابنته وخالفت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ، (قلت) : المنقول فيها عن ابن ادريس بلفظ حسن عجيب كثير (22) وهذا اخص من اللفظ الذي نقل الشيخ بانه قد يكون كثيرا ولا يكون حسنا ولا عجيبا كما اذا كانت حوايج قديمة ، ورفع لعبيد الله الى المهدي ليوليه قضاء صقلية ، فاعتذر وقال صرت في حد لو كنت على القضاء لوجب التأخر اليّ فكيف ابتدائي وقد كبر سني ودخلتني زمانة ؟ فاعفاه ، وهذا ايضا من لطائف شمائله ، والا فالشيخ الكبير هو اولى بالقضاء ممن هو دونه ، لانه يعلم من نفسه انه ما بقي الا على شفا حفرة فيكون الخوف عليه اغلب ، وقال ابن ادريس كنت يوما جالسا معه على باب داره اذ خرج من جيرانه رجل ولم يسلم عليه ! فجعلت انظر اليه ، فقال لي : يا ابا عبد الله ان ازهد الناس في العالم قرابته وجيرانه ، وقال مرة اخرى في مثلها : ما قرب الخير قط من قوم إلا زهدوا فيه ، وذكر الاجدابی ان ابا بكر جلس يوما عند ابي اسماعيل المودب جاره لينفرج ويرى الناس ، فكان الناس اذا جازوا من ذلك الموضع رجعوا من طريق آخر هيبة له ، فقال ما بالهم ؟ فقال من اجلك ! فقال انما جلسنا في هذا الموضع لتتفرج لا لنضر بالناس في طريقهم ثم قام ، (قلت) : وكثيرا ما يجري مثل هذا في مدة قضائي : تضيق نفسي من لزوم الدار فربما اجلس فوق دكانة العلو قريب باب الدار فأرى بعض من هو راكب يتزل وبعضهم يرجع وبعضهم يجوز على حاله وهو محتشم ، فاقوم من مكاني ذلك وادخل الدار ، قال ابو بكر المالكي : قال ابو بكر ابن اللباد يوما لبعض اصحابه : ادركت رجالا بالقيروان أملياء افتقروا ، ما دخلوا فتنا ولا اغرمهم سلطان الا ابحروا في الحنطة في ايام الشدايد (قلت) : يريد انهم اشتروا

الطعام في الرخاء ليبيعه في أيام الشدائد ، وهذا مجرب حتى في زماننا ، حتى ان الناس يقولون على طريق المبالغة ما احتكر احد طعاما الا مات فقيرا و سببه انه يتمنى غلاء الطعام الذي فيه حياة الانفس لامة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولذلك منعه مطرف وابن الماجشون وغيرهما واجازته مالك في المدونة وعليه العمل ، قال ابو الحسن اللخمي وفيه مرتفق وقت الشدايد ولولاه لم يجد الناس عيشا في الشدة ، ولو قيل : انه مستحسن لم اعبه ، ولا خصوصية للحنطة ، وفي المسألة غير هذا وقد ذكرناه في شرح التهذيب (قال) : قال ابو الحسن علي بن عبد الله القطان المعروف بابن الحلاف : اجتمعت الي جماعة في حانوتي بالقطانين - بعد وفاة والدي - يقسمون قطنا بينهم فنفضت الموضع الذي قسموا فيه القطن فاجتمع فيه من القطن نحو وزن اربعة دراهم ، فذهبت الى ابي بكر محمد بن اللباد فسألته ما الذي اصنع بالقطن ؟ فانتهرني وقال : يا هذا سل عن وضوئك وصلاتك ودينك فان هذا وسواس ! قال ابو الحسن : فضاقت صدري ولم اطق صبرا فغلبني البكاء والعبرة ، فوثب الي وجذبني الى نفسه وقبل بين عيني وقال : احسنت يا بني ما عرفتك فقد قيل حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا ، وزنوها قبل ان توزن عليكم ، وتجهزوا للعرض على الله (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) ثم امرني بما اصنع في القطن ، وكان لا يتخلف عن مسجد السبت ، ولقد كان يتصل اليه وهو يخوض في الطين والمطر ، ولقيه رجل وهو يخوض في الطين متوجها اليه ، فسلم عليه وقال - اصلحك الله - في هذا الطين ؟ يعز علي يحيى بن عمر لورءاك ! فقال له ابو بكر : ليس انا غلام ابن عمر قال الله تعالى : (ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين) وحضور هذا المسجد يغيظ بني عبيد ! (قلت) وقد تقدم ان مسجد السبت الذي يسمى عندنا بمسجد العربي لرجل يقال له محمد العربي كان يقوم به ينشد فيه شعر بني معدان في الزهد ويقرا فيه آيات من كتاب الله تعالى وحكايات - وهو الذي يسمى عندنا اليوم الرقايق - فكان جميع المشيخة يبيحون حضوره ويحضره من يحضره معهم من الصالحين والزهاد



واهل الخير من يوم السبت الى يوم السبت الا ثلاثة : يحيى بن عمر في زمانه - فكان لا يحضره والى تاليفا في عدم حضوره لكونه يرى ذلك بدعة - والى هذا اشار القائل : يعز على يحيى بن عمر لو رءاك - وكان شيخه المعنى وانت تتكلف هذا ، وكذلك القاسي ، وابو عمران في زمانهما ، ولما كان هذا المسجد يحضره الجيم الغفير من العلماء والصالحين كان حضورهم يغيظ بني عبيد لانهم يخافون من اجتماعهم ان يتفقوا على القيام عليهم فلهذا اجاب الشيخ بالاية (قال) : وكانت له امراة سليطة تؤذيه بلسانها ويقاسي منها أمرا عظيما فقال له الطلبة طلقها ونحن نوذي صداقها فقال لهم : انما حفظتها من اجل والدها وذلك اني خطبت الى جماعة من الناس فردوني وقالوا لي لا تزوج صاحب محبرة وقلم ! ثم خطبت الى ابي هذه فزوجني ابنته لله عز وجل ، وكان يفعل معي جميلا ويرفقني بما قدر عليه أذتكون مكافاتي له طلاق ابنته؟ وقيل له في ذلك ايضا قال اخشى ان طلقتها ان يتبلي بها مسلم ، ولعل الله عز وجل دفع عني بمقاساتها بلاء عظيما وكان يقول كل مؤمن له محنة وهذه محنتي (قلت) : قال ابو بكر المالكي وذكر انها قالت له يوما يا زاني فقال لهم سلوها بمن زنيت فسألوها فقالت لهم بالخادم فقال لهم سلوها لمن الخادم لي او لها فقالت لهم له (قال) وانفقت عليه محنة من قبل أشيع بن عبيد وسجن اياما ثم اطلق ومنع الفتوى والاستماع واجتماع الطلبة عليه حتى توفي ، وكان ابو محمد ابن ابي زيد وابو محمد بن الثبان ياتيان اليه في خفية وربما جعلوا الكتب في اوساطهما وحجزتهما حتى تبتل باعراقهما خوفا من بني عبيد ان ينالوهم بمسكروه ، قلت : كان اصل محنته انه صلى على جنازة استؤذن لها وقد حضر ابن ابي المنهال القاضي بجنازة اخرى كلم عليها فصلى ابو بكر وصلى وراءه ابن ابي المنهال ثم قدمت الجنازة الاخرى وصلى عليها ابن ابي المنهال فجلس ابو بكر ومد رجله واستدبر القبلة ولم يصل وراءه فشق ذلك على ابن ابي المنهال ، فبعث وراءه ودار بينهما كلام في ذلك ؛ فامر بسجنه فجاء الغلام لياخذ بيده فانهره وقال دع اشهدكم اني مسجون ومضى الى السجن فذهب محمد ابن اخيه الى المهدي فاخبر بذلك البغدادي

وكان يحبه فسعي له عند عبيد الله (23) حتى امره ان يكتب الى ابن ابي المنهال باخراجه من السجن على ان لا يفتي ولا يجتمع اليه احد ولا يفتي الا بمذهب السلطان ، وكتب في رقعة داخل الكتاب : ما هذا الذي فعلت ؟ عمدت الى عمدة بلده فاحدثت فيه هذه الاحدوثة ! وهذا مما كرهه امير المؤمنين فلا تعد الى مثل هذا ، فلما وصل الكتاب اخرجته وقال له هذا كتاب أمير المؤمنين نجد فيه ان لا تفتي ولا يجتمع اليك احد وان مرضت فلا تعاد ، فقال له ابو بكر : هذه مسألة لم تزل بعد ! وبقي ابو بكر لا يُسمع الا خفية فاذا اجتمعوا فتحت لهم الخادم الباب فيدخلون وتغلق عليهم فيقرأون ، وكان منهم ابو محمد ابن ابي زيد وابو محمد ابن التبان وغيرهما ، (قال) : واصابه في آخر عمره فالج سنة ثلاثين وثلاثمائة ، وحكى انه مد رجله ثم نظر اليهما - وقد تغيرتا ودخلتهما نفخة - فسكى وجرت دموعه على شيبته ثم قال : اللهم ثبتهما على جواز الصراط يوم تزل الاقدام ، انت العالم بهما والشاهد عليهما انهما ما مشيا لك في معصية ، (قلت) : ومثل هذا قال ابو عمران الفاسي وذلك انه لما حضرته الوفاة جعلت زوجته تمرغ خديها على رجله فقال لها مرغي اولاً تمرغي فوالله مامشيت بهما الى معصية قط .

(ذكر وفاته رحمه الله تعالى)

(قال) : توفي يوم السبت الرابع عشر من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة - وهو ابن ثلاث وثمانين سنة - وصلى عليه محمد بن ابي الفتح المرجي بوصيته له بذلك ، وحضر جنازته خلق كثير ودفن بيباب سلم على شفير الحفير الكبير وحمل نعشه والناس يقولون النبي وصاحبه وذلك عند توقع وصول ابي يزيد (24) الى القيروان وضعف حال بنى عبيد ورثاه ابو محمد بن ابي زيد بقصيدة منها .

(23) هو المهدي العبیدی الشيعی .

(24) هو النكار صاحب الحمار القائم على بنى عبید .

ياطول شوقى الى من غاب منظره  
لهفي على ميت ماتت به سبل  
كم محنة طرقته في الالام فلم  
قلت) : ومنها ايضا :

حتى استنار به الاسلام في بلد  
الفقه حلته والعلم حليته  
اب لاصغرنا كهف لأكرنا  
وقبره عندنا مزار يعلمه الخاصة والعامة رحمه الله ورضي عنه .  
لولاه مات به الاسلام واندفنا  
والدين زينته والله شاهدنا  
وفي النوازل ملجانا ومفزعنا

## ١٩٢ ● ومنهم أبو الفضل عباس ابن عيسى بن محمد ابن عيسى الممسي

وممس (25) قرية هناك ، سمع من جبلة بن حمود وغيره ، واخذ عنه ابو محمد بن ابي زيد وابو الحسن بن الخلاف وابو الازهر بن مغيث وابن حارث ، وخرج الى الحج سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، قال الشيخ ابو اسحاق السبائي حفظ الثرعيان ابو الفضل الممسي وهو ابن ثمان سنين وحفظ الموطا وهو ابن خمس عشرة سنة ، (قال) : جمع الفقه البارع ، والورع الحاجز ، والسمت الحسن ، وحسن الاشارة ، والهسدي والسكينة ، وحكى ان مشيته كانت تشبه مشية عمر بن عبد العزيز ، وبه كان ابو محمد بن ابي زيد يتشبه في احواله ، وكان شديد الورع ، قال ابو الحسن بن الخلاف لما جعل على الملح القبالة (26) قال لي ابو الفضل يا ابا الحسن قيل لي ان فرنا عند باب ابي الربيع انقضت قراميده وان الملح الذي تحتها من ايام سحنون فنحِب منك ان تشتريه لي ، فمضيت واشتريته له ، قال فبعد مدة كانت

(25) ضبطها في م بضم الميم الاولى، وفي ق بسكون الثانية فتكون النسبة اليها ممسي .

(26) القبالة : الاداء .

عنده مرمة فجعل يشتري للاجراء خبزا من السوق ، فقلت له اصلحك الله في هذا الخبز من ذلك الملح الذي كرهته انت لنفسك فينبغي ان تحسب لهم ما تحب لنفسك ، فتال لي يا اخي يا ابا الحسن وهل اخذنا بكل الورع ؟ هذا ومثله من السقطات التي تخرج من وصايانا (قلت) : زاد ابو بكر المالكي فينبغي لمن يتصدق بثلاث ماله ان ينوي به اداء التبعات التي عليه التي لا يعلم اهلها ويقدم النية وهو خير من اخراجها مطلقا ، قال ابو الحسن المذكور وقلت انا : وكذلك من اراد صلاة نافلة ينبغي ان يصلي صلاة يوم وينوي بذلك الصلوات الخمس فيكون هذا قضاء عن صلاة فائتة او صلاة صلاحها بتخفيف لا تجزي به او يكون قد نسيها ،

(قال) : قال ابو الحسن : وسالت ابا الفضل ايضا فقلت له : رجل من طائفة السلطان اراد أن يودع عندي مائة دينار ؟ فقال لي اذا اودعك اياها ثم اخذها منك لزمك ان تتصدق بمائة دينار من مالك : فقلت ولم ذلك ؟ فقال : لان هذا الرجل غاصب وماله ينبغي ان يرده الى من غصبه فان لم يعرفه تصدق به ، فقلت له ما دليل ذلك ؟ قال جرى في تونس نهب فاتي رجل الى السوق يلتمس ثوبا يشبه ما نهب لزوجته فوجد ثوبا ينادي عليه لبيعه رجل جندي فاشتراه منه بسبعة دنائير ظانا انه ثوب زوجته فاخذ الجندي الدنانير وخلطها مع دنائيره ثم مضى الرجل بالثوب الى زوجته فقالت ليس هو ثوبي فسأل الجندي ان يقيله فيه ففعل وأعطاه سبعة دنائير من خلط الدنانير قال فاتي الرجل فسأل جماعة من رجال سحنون وهم يومئذ متوافرون بالقيروان فما اختلف منهم واحد انه يتصدق بهذه الدنانير الذي اخذها بقيمة الثوب لانه كان يسوى اكثر ، وقال ابن الحلاف كنت اعمل القطن فنتفرغ من العمل بالعشي فيضيق علي الوقت ، وكانت نوالات بنيت غصبا على وادي القصارين فنشتري منها بحبة بتلا ، فوقع في نفسي من ذلك ، فسالت ابا الفضل الممسي و ابا حفص ابن العسال رحمهما الله عن ذلك فقالا لي : تتصدق بقيمة الكراء من حين عقدت البيع الى ان قضته ، فقلت لهم : كراء النوال درهم في الشهر وهو يبيع باثنى عشر

درهما كل يوم ، فقالا لي : تصدق بربع درهم في السنة فان الحبوب اذا اجتمعت كثرت ، وروى انه وصل اليه حديد فادخله السوق فقتيل له قد ساوى على فلان بعشرة دنانير القنطار وعلى فلان باربعة عشر دينارا القنطار قال هذا تفاوت فما السبب في ذلك فقتيل ان فلانا يعني الثاني لا يبقى عنده عمل يجيء اليه ابو فلان فياخذ ما عنده من العمل فباعه بعشرة دنانير للاول ، وكان ابو الفضل احسن خلق الله وضوءا ، وكان له مرحاض لا يدخله غيره مفتاحه في وسطه ، وكان يسكاد ان يصلي في هذا المرحاض لانه نقي وفيه اواني الوضوء مغطاة وفيه نعل لا يخرج بها ونعل يمشي بها الى مصلاه فلما اصاب سمعوا في المرحاض قعقة عظيمة فارخوا ذلك فوجدوه يوم مات بالمهدية ففتحوا المرحاض فوجدوا اواني الوضوء قد كسر بعضها بعضا ساعة مات بالوادي المالح (قلت) : وكان شيخنا ابو الفضل البرزلي ينقل ان امه لما سمعت القعقة المذكورة قالت لمن حضرها : عزوني في ولدي فان هذه القعقة تدل على موته .

(قال) : وكان ابو الفضل ممن خرج لقتال بني عبيد مع اهل القيروان لما كان يعتقد من كفرهم ، (قلت) : قال ابو بكر المالكي رأى أن الخروج مع ابي يزيد الخارجي وقطع دولة بني عبيد فرضا لان الخوارج من اهل القبلة لا يزول عنهم الاسلام ويرثون ويورثون وبنو عبيد ليسوا كذلك لانهم مجوس زال عنهم اسم المسلمين فلا يتوارثون معهم ولا ينتسبون اليهم ، (قال) : فمات بالوادي المالح قرب المهدية ولم توجد له جثة ولا بغلة حماه الله منهم حيا وميتا ، وروى ان بعض اقاربه وجدته في القتلى - وبه رمق - فقال يا بني حول وجهي الى المهدية لثلاث اموت وانا مول ظهري الى هولاء التوم ، فلما مات هدم عليه جرف فاخفاه عنهم وكانوا في غاية الطلب لراسه (قلت) : واراد بقوله وبه رمق من جراحات وقعت له في القتال وهو كذلك في احد القولين وقيل انه سقط من على دابته لما وقعت الهزيمة فدرسته البهائم حتى مات ، وهذا لا ينافي ما قاله انه

وقعت به جراحات فهو رحمه الله مات شهيدا لقول ابي الحسن ابن الحلاف سمعته يقول : قتالهم افضل من قتال المشركين ، قال ابو عبد الله الفقيه الاجدابي لابي الحسن انت سمعت هذا من ابي الفضل ؟ فقال نعم ، وقبله المالكي وهو بين لانهم كفار متصلون ببلاد الاسلام ويحكمون فيهم بما يريدون من قتل او ضرب او سجن او غير ذلك بخلاف كفار منفصلين عن بلاد الاسلام ، وقال ابو محمد بن ابي زيد وددت أن القيروان تسمى ولم يقتل ابو الفضل ! وهذا منه رحمه الله مبالغة لانها لا تسمى حتى يموت خلق كثير (قال) : وكانت وفاته يوم الاثنين لثمان بقين من رجب سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ورتاه الفقيه ابو محمد ابن ابي زيد بمرث تركتها لطولها .

### ١٩٣ ● ومنهم ربيع القطان هو أبو سليمان ربيع بن سليمان بن عطاء الله ينتسبون الى قريش

لقي بمصر ابا الحسن الدينوري وبمكة ابا يعقوب الجوهري و ابا سعيد ابن الاعرابي و ابا علي ابن السكاك فرجع الى القيروان وقد تذكى عقله ورق فهمه (قلت) : وسمع بالقيروان من ابي بكر ابن اللباد و ابي العرب وغيرهما وكانت له حلقة بجامع القيروان يحضرها ابو القاسم ابن شبلون وغيره ايام ابي يزيد وكان تفقه عليه احمد بن نصر ولازمه وكان من كبار اصحابه (قال) : وجمع بين العلم والعمل والانس والانبساط (قلت) : وكان يؤلف الخطب والرسائل ويقول الشعر ، وكان لسان افريقية في وقته في الزهد والرقائق ، وكان ابو محمد بن التبان يحبه كثيرا ويثني عليه ويكرمه وحج سنة اربع وعشرين وكان جعل على نفسه ان لا يشبع من طعام ولا نوم حتى يقطع الله دولة بنى عبيد وكان مع ذلك ملتزما في حانوته يبيع فيه القطن وفيه ياتي من يطلبه ويساله ، (قال) : وكان ربيع يقول الا اخبركم بالحازم العازم ؟ الذي يقول (هاؤم اقرأوا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه) ، (قلت) : ومن كلامه ايضا الدنيا امل ووجل . والاخرة جزاء وعمل . والتوسط

بينهما اجل ، قال ابو بكر المالكي يقال انه يتكلم على الاحوال (27) ، ذكر ابو علي حسن ابن فتحون الخراز قال كنت كثيرا ما اغشى مجلس ابي سليمان ربيع القطن اريد سؤاله عن اشياء تختلج في صدري فانصرف عنه بعلم ما اردت منه دون مسالة ، ولقد كنت عنده يوما حتى ذكر من بعض كرامات الاولياء ما هالني ذكره وتلذذ (28) في قلبي خطره وعظامه فنظرت الي وقال لي : اتعجب من امر الله ؟ فزال الله ما كان في نفسي فقلت : نعم الملك واسع والقدرة اعظم ونقله غيره بلنظرت الي وقال « قالوا اتعجبين من امر الله » وقال اخوه احمد دخلت عليه يوما وهو متفكر فسالته عن فكرته ؟ فقال : تفكرت في أمر ! فقلت له فيم ؟ قال : رايت في رؤيا الحق سبحانه فامرني فدنوت منه فشرف موضعا مني وعظمه (ما بين صدغي واذني من الجانب الايسر) فكانت والدته تاهره اذا حلق ان تاخذ شعر ذلك الموضع فجمعت منه كثيرا وأوصت حين موتها ان يدفن معها فضرب حين قتل في ذلك الموضع (29) قال المالكي وكان سليمان والد ربيع يجلس في الليل مع اولاده وكانوا خمسة كلهم صالحون فاذا خطر في نفسه شيء يسأل عنه من العلم يقوم من مكانه ويجثو على ركبتيه بين يدي ولده ربيع ! فيقوم اليه ربيع فيقول : يا والدي لم فعلت هذا ؟ فيقول : انما اردت ان اعطي العلم حقه ، فيسأله عما يحب فيجيبه ثم يرجع الى مكانه ، رحمة الله عليه (قال) : وظهرت لربيع اجابات روي أنه سمع قاريا يقرأ (الم يعلم بان الله يرى) فغشي عليه (قلت) : قال ابو بكر المالكي : وعوتب ربيع في خروجه مع ابي يزيد الى حرب بني عبيد فقال : وكيف لا أفعل وقد سمعت الكفر باذني ؟ فمن ذلك اني حضرت اشهادا وكان فيه جمع كثير اهل سنة ومشاركه وكان بالقرب مني ابو قضاة الداعي ، فاتي رجل مشرقى من

(27) أى بطريق الكشف كما يفهم من النقل بعده .

(28) ق وتزايد .

(29) يعنى ان الموضع الذى وصفه من رأسه كان هو مقتله .

اهل الشرق ومن اعظم المشاركة فقام اليه رجل مشرقى وقال الى هاهنا يا سيدي الى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني ابا قضاة الداعي ويشير بيده اليه - فما انكر أحد شيئا من ذلك ! فكيف ينبغي ان اترك القيام عليهم ؟ ووجد بخطه قال : لما كان في رجب سنة احدى وثلاثين قام الصبي المكوكب يقذف الصحابة ويطعن على النبي صلى الله عليه وسلم وعلقت عظام رؤوس اكباش وحمير وغيرها على ابواب الحوانيت والدروب عليها قراطيس معلقة فيها اسماء يعنون بها رؤوس الصحابة رضوان الله عليهم ! فلما رأى ربيع ذلك لم يسعه التاخر عن الخروج عليهم ، - وكذلك كان جميع الشيوخ يتأولون ابا اسحاق السبائي وغيره (30) - ولما اجتمعوا للخروج عليهم قال ربيع القطان انا اول من يشرع فى هذا الامر ويخرج فيه ويندب المسلمين ويحضرهم عليه وتسارع جميع الفقهاء والعباد لذلك فلما كان بالغد خرج ربيع وجماعة الفقهاء ووجوه التجار الى المصلى بالسلاح الشاك والعدة العجيبة التي لم ير مثلها وضاق بهم الفضاء وتواعد الناس ان ينظروا فى الزاد وآلة السفر الى يوم السبت - وذلك يوم الاثنين - وركب بعض الشيوخ من الموضوع الى الجامع بالسلاح وشقوا السماط بالقيروان وزادوا فى استنهاض الناس ، فلما كان يوم الجمعة اجتمعوا فى الجامع وركبوا بالسلاح الكامل وعملوا البنود والطبول واتوا بالبنود فركزوها قبالة المسجد المعروف بالحدادين وكانت سبعة بنود : الاول اصفر لربيع القطان مكتوب عليه البسملة ومعها لا اله الا الله محمد رسول الله ، وفي الثانى - وهو لربيع اصفر ايضا - نصر من الله وفتح قريب على يد ابي يزيد اللهم انصره على من سب نبيك ، وفي الثالث - وهو اصفر ايضا لابي ربيع - بعد البسملة (قاتلوا ايمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون) وفي الرابع - وهو بند أحمر لابي الفضل عباس الممسي - لا اله الا الله محمد رسول الله ، وفي الخامس - وهو بند اخضر لمروان العابد - بعد البسملة (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم

(30) من هنا حكاية ثورة علماء القيروان على الدولة العبيدية واسماء قادتها وعدد من

مات منهم وكيف فشلت يحكى أبى يزيد الخارجى عن شهود عيان .



عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) ، وفي السادس - وهو بند أبيض - بعد البسمة لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق ، وفي السابع - وهو لابراهيم بن الحبشا وكان اكبر البنود لونه ابيض - لا اله الا الله محمد رسول الله (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) فلما اجتمع الناس وحضرت صلاة الجمعة طلع الامام على المنبر - وهو احمد بن محمد بن ابي الوليد وكان ابو الفضل الممسي هو الذي اشار به - وخطب خطبة أبلغ فيها وحرص الناس على الجهاد واعلمهم بما لهم فيه من الثواب وتلا هذه الآية (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضر) الآية وقال : يا ايها الناس جاهدوا من كفر بالله وزعم انه رب من دون الله وغير احكام الله عز وجل وسب نبيه واصحاب نبيه وازواج نبيه : فبكا الناس بكاء شديدا وقال في خطبته : اللهم ان هذا القرمطي الكافر الصنعاني المعروف بابن (31) عبيد الله المدعى الربوبية من دون الله جاحدا لنعمتك كافرا برؤوبيتك طاعنا على انبيائك ، ورسلك مكذبا محمد نبيك وخيرتك من خلقك سابا لاصحاب نبيك وازواج نبيك امهات المؤمنين سافكا لدماء امته منتهكا لمحارم اهل ملته افتراء عليك واغترارا بحلمك اللهم فالعنه لعنا وببلا واخزه خزيا طويلًا واغضب عليه بكرة واصيلا وأصله جهنم وساءت مصيرا بعد ان تجعله في دنياه عبرة للسائلين واحاديث الغابرين واهلك اللهم متبعه وشتت كلمته وفرق جماعته واكسر شوكته واشف صدور قوم مؤمنين منه ونزل ، فجمع الجمعة ركعتين وسلم وقال : ان الخروج غدا يوم السبت ان شاء الله ، وركب ربيع القطان فرسه وعليه آلة الحرب وفي عنقه المصحف وحوله جمع من الناس من اهل القيروان متاهبون معتدون لجهاد اعداء الله عليهم وآلة الحرب ، فنظر اليهم ربيع القطان فسرّ بهم وقال : الحمد لله الذي احيانني حتى ادركت عصابة من المؤمنين اجتمعوا لجهاد اعدائك واعداء نبيك يارب

(31) الصواب اسقاط ابن لان المطعون عليه هو عبيد الله المهدي راس الدولة العبيدية الشيعية .

باي عمل باي شيء وصلت الى هذا ثم اخذ في البكاء حتى جرت دموعه على لحيته ثم قال : والله لو رأيكم محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا لسرّ بكم ، (قال) : وكان ممن خرج على بني عبيد فقتل بقرب المهديّة بالوادي المالح وقطع راسه واتى به الى ابي القاسم بن عبيد الله في طست فلما كشف عنه فتح الراس عينيه وفمه فقال ابو القاسم بعدّوه عني وتوفى في رجب سنة ثلاث وثلثين وثلثمائة (قلت) : وقال ابو بكر المالكي استشهد ربيع القطان رحمه الله يوم الاثنين في صفر سنة اربع وثلثين وثلثمائة ، وقيل ان الممسي استشهد معه في يوم واحد ، وقيل بينهما مدة ستة اشهر ، فكان غرض المجوس بني عبيد اخذ ربيع حيا ليتشفى منه ، قال الشيخ ابو الحسن القابسي فلما تلاقوا للقتال اقبل ربيع وهو يطعن فيهم ويضرب وهم يتوقفون عن طعنه طمعا ان ياخذوه حيا فلما اثخنهم بالضرب والطعن عمد اليه جماعة منهم فقتلوه وما تولوا دفنه (32) رحمة الله عليه واستشهد معه ائمة وعباد وصالحون وذلك خمسة وثمانون رجلا - ذكر هذا في تسكلمه على ابي الفضل الممسي - وقال ابو الحسن القابسي - عن شيوخه الذين ادركهم - ان الذين ماتوا في دار البحر بالمهديّة من حين دخل عبيد الله الى الان اربعة آلاف رجل في العذاب ما بين عابد وعالم ورجل صالح ولذلك يقول سهل الوراق .

واحلّ دار البحر في اغلاله من كان ذا تقوى وذا صلوات

(قلت) : وكان القرويون غلبوا من كان بالمهديّة وطمعوا في اخذها فمكر بهم ابو يزيد الخارجي فقال لجيشه : القرويون اذا حكموا على بني عمنا واستاصلوهم يرجعون علينا فلا تقدر عليهم فاذا كان من الغد والتحم الناس في القتال انزلوا عنهم حتى تقع الكرة عليهم فترتاح من شوكتهم او نحو هذا الكلام ففعلوا ذلك فوَقعت الهزيمة عليهم لما سبق في سابق علم الله تعالى باستشهاد من استشهد كابي الفضل الممسي وربيع القطان قال ابو محمد بن التبان رايت ربيع القطان في المنام

بني تميم ، وجزئين في موت العلماء ، وكتاب المحن ، وكتاب فضائل مالك ، وكتاب فضائل سحنون ، وكتاب الطهارة والوضوء ، وكتاب الجنائز وذكر الموت وعذاب القبر ، وكتابه في الصلاة ، وغير ذلك ، وقال ابو بكر المالكي ، كانت اوصافه اوسع من ان يحملها كتاب (قال) : وبلغت كتبه ثلاثة آلاف وخمسمائة كلها بخط يده واحتاج الناس اليه والى علومه وكتبه ، (قلت) : وسالت في حال صغري شيخنا ابا الفضل البرزلي هل اراد بالسكتب المسفره المجلدة ؟ أو انما اراد مثل كتاب الطهارة وكتاب الصلاة وكتاب الزكاة وكتاب الجنائز ونحو ذلك ؟ فاجابني بان المراد الثاني لا الاول ، وكان رحمه الله تعالى شاعرا قال ابو بكر المالكي : ومن قوله رحمه الله تعالى هذه الابيات .

اذا انقطع الصديق بغير عذر	فزاد الله خلته انقطاعا
الى يوم التناد بلا رجوع	وان رام الرجوع فلا استطاعا
اذا ولى اخوك فولاً عنه	وزده وراء ما ولاك باعا
وناد وراءه يا رب تمم	ولا تجعل لفرقتنا اجتماعا

(قلت) : وكان له ابن اسمه تمام سكن افريقية ، وابو جعفر تميم سكن الاندلس وروى بها كتب ابيه وغيره وهو الذي انشد عن ابيه ما تقدم ، (قال) : قال ابو الحسن بن سعيد الخراط الفقيه : لما بلغني ان الفقهاء قد تجمعوا في الجامع في تدبير الخروج الى المهدي في ايام ابي يزيد بكرت الى الجامع فاصبت ابا العرب ابن تميم و ابا الفضل المسمى وربيع القطان و ابا اسحاق السبائي ومروان بن نصر وغيرهم جلوسا عند المنبر فتكلموا في الخروج على بنى عبيد فاختلفوا وتناظروا حتى قال ابو العرب ابن تميم اسكتوا فسكت الناس فقال حدثني عيسى بن مسكين عن محمد بن عبد الله الجرجاني باسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون آخر الزمان قوم يقال لهم الرافضة فاذا ادركتموهم فاقتلوهم كفار فلما اتم الحديث كبر الناس وعلت اصواتهم في الجامع حتى ارتج ثم خرجوا لقتال بنى عبيد ، وهذا يدل على

بمد ان قتل فسالته عن حاله فقال لي تارة يزخرف لنا الجنان وتارة تشرف علينا الحور والولدان وتارة تبسط لنا الحجب فقلت له من أعلى درجة انت ام الممسي ؟ فقال جمعنا في حديقة واحدة وقال ابو بكر المالكي : وكان يكثر من الاشارة بانه يستشهد فكان ذلك في قتال بني عبيد وكان يقول والله ليدارن بهذا الراس فقد والله ادير براسه بطرابلس .

## ١٩٤ ● ومنهم أبو العرب محمد بن أحمد ابن تميم بن تمام ابن تميم التميمي الفقيه المؤرخ (٥)

وكان جده تميم بن تمام من امراء افريقية وكان ابوه احمد ممن سمع من شجرة وسليمان بن عمران وبكر بن حماد ، (قال) : وبلغت عدة شيوخه مائة وخمسة وعشرين شيخا منهم عيسى بن مسكين ويحيى بن عمر وعبد الله بن احمد ابن طالب القاضي وسليمان بن سالم وسعيد بن محمد بن الحداد واحمد بن معتب وعبد الجبار بن خالد وحمديس القطان وجبلت بن حمود الصدفى ، واخذ عنه ابو محمد ابن ابى زيد وابو الحسن ابن زياد والحسن ابن سعيد الخراط وامم لا يحصون

(ذكر ثناء العلماء عليه)

(قال) : كان فقيها صالحا متواضعا كثير الايثار من عسر ثقة ثبتا صحيح التقييد ضابط الرواية كثير التأليف والمشائخ (قلت) : وقال غيره كان ابو العرب امام عصره وواحد دهره داب في طلب العلم وبرع فيه براعة فاق فيها من تقدمه من رجال افريقية والالف كتب مفيدة كثيرة وكان موفقا في التأليف معانا عليه وهو رافع لواء التاريخ بافريقية مع تقدمه في علم الاثر وبصره بالفقه ومعانى الحديث ، وقال ابن ابى دليم كان حافظا للمذهب مفتيا وغلب عليه الحديث والرجال

وتصنيف الكتب والرواية والاسماع والف طبقات علماء افريقية ، وكتاب عباد افريقية ، وسند حديث مالك ، وكتاب التاريخ سبعة عشر جزءا ، وكتاب مناقب كمال عدالته وصحة نقله ولولا ذلك ما اتفقوا بعد الاختلاف على الخروج على من ذكر ولم يتخلف من الفقهاء والصلحاء احد ، (قلت) : قال ابو بكر المالكي : وقيل لابي الحسن ابن الحلاف : ما الذي اعاق ابا ميسرة عما فعل اصحابه ؟ قال ذهاب بصره ولكنته قد أخرج ابنه محمدا وقال ادخلني الله في شفاعة اسود رمي على هؤلاء القوم صخرا وشهق الشيخ ابو الحسن بالبكاء ، وقيل لابي الحسن ان ابا سعيد بن اخي هاشم (33) لم يخرج ! فقال : قد شهر ابو سعيد السيف وحمله على عاتقه مصلنا وهذا غاية في انه يقول بقول الشيوخ في الخروج عليهم ، فقال له بعض من حضر : كان ابو سعيد يذكر ان الجبن منعه من حضور الحرب ، ولما خرج ابو العرب لقتال من ذكر سمع الناس منه كتابي الامامة لمحمد بن سحنون فكان يقول : والله لسماع هذين الكتابين عليّ هنا افضل من كل ما كتبت (قلت) : يريد لكثرة من سمعه من الخلق الذين اجتمعوا اليه في سماع ذلك من علماء وغيرهم ، ومن سبق له شيء في الازل لا بد ان يناله فكان جده ابو الجهم والي افريقية والذي نال احسن (34) دنيا واخرى قال ابو بكر المالكي : وسبب طلب ابي العرب العلم وملازمته له وتركه ما كان عليه آباؤه قال اتيت يوما وانا حدث الى دار محمد ابن يحيى ابن السلام فرايت عنده الطلبة ورايت امرا أعجبني وركنت اليه نفسي ، فعاودت الموضوع وكنت آتي اليه والطرطور على رأسي ونعلي احمر في رجلي في زي ابناء السلاطين ، وكان الطلبة يتقبضون مني من اجل ذلك الزي ، فقال لي رجل - يوما بنجوارى - لا تنزى بهذا الزي فليس هو زي طلبة العلم واهله ! وزهدني ، فرجعت الى امي فقلت نلبس الرداء وثيابا تشاكل لباس اهل العلم والتجار ، فأبت

(33) ق : هشام .

(34) يعنى احسن من جده .

عليّ وقالت : انما تكون مثل آباءك واعمامك ! فاحتلت حتى اشترت ثيابا وجعلتها عند صباغ في باب ابي الربيع فكننت اذا اتيت من القصر القديم اتيت بذلك الزي الذي تحب امي ووالدي ، فاذا وصلت الى باب ابي الربيع ودخلت حانوت الصباغ خلعتها ولبست الثياب الاخرى فكننت كلما ترددت فعلت ذلك ، ثم قال لي رجل من اصحابي : اراك تاتي هذا المجلس فتسمع فيه العلم ولا تكتب شيئا مما تسمع يكون عندك ، ماهذا حقيقة طالب العلم ! فقلت له ، والدي راغب عن هذا وعن المعونة عليه وما مكنتني من شيء اشتري به الرق ! فقال لي انا اعطيك جلدا تكتب لنفسك وتكتب لي جلدا عوضا منه فرضيت له بذلك فكننت اكتب لنفسي ماشئت واكتب له في جلوده ما يحب حتى يسر الله عز وجل ما اشترت به الرق وما قويت به على طلب العلم ، (قال) : وتوفى ابو العرب في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ودفن بباب سلم عند قبر شقران (قلت) : وقبره مزار قال ابو بكر المالكي : وصلى عليه اسحاق بن ابي الوليد صاحب الصلاة والخطبة بعد ان قال لابنه ابي العباس تقدم صل على ابيك : فقال ما افعل ! هو اوصى ان تصلي عليه ، فتحول الى مروان والى ابي اسحاق السبائي فقال لهما تقديما فصليا فقالا انت احق ! فصلى عليه جمع عظيم ، وقيل ان ولده صلى عليه ، (قلت) : مجمل قولهما انت احق لاجل الوصية كما هو السياق بكونه عرض عليهما ان يصلي احدهما خلاف المذهب ، ويحتمل عموما لانه الامام للجمعة وغيرها في الجامع ، ويحتمل اشارة منهما لكمال فضله اذ لا يعرف الفضل لاولي الفضل الا اولوا الفضل ومنه ابتداء .

## ١٩٥ ● ومنهم محمد ابن الفتح المؤدب المرجى

كذا قال وزاد العواني (المعروف بابن الصواف يكنى ابا بكر) وقال المالكي ابو عبد الله بن ابن الفتح ، (قال) : سمع من يحيى بن عمر واحمد بن يزيد وغيرهما وله رحلة قديمة سمع فيها من محمد ابن عبد الله بن عبد الحكم ، وسمع منه ابو بكر ابن اللباد وابن زياد وكان من اهل العلم والفضل والعبادة والفقر والايثار على

قلة الاسباب وكان محققا في مقامات الصديقين ، (قلت) : وقال المالكي : كانت له اوصاف جليلة حسنة معروفة صلى وراهه عيسى بن مسكين ورضيه اماما وكان موصوفا برحلة (قال) : وهو احد من عقد الخروج على بنى عبيد ولكنه لم يخرج لضعفه ، (قلت) : يعنى لكبير سنه كما صرح به غيره ، وكان يخرج الى مقبرة باب سلم فيستتر بحايط يقرأ على اصحابه هناك للخوف من بنى عبيد لانهم منعوا من بث العلم وسجنوا العلماء في دورهم ، (قال) : وكان من دعائه : اللهم اني اسالك الهدى والتقوى والفقه والبشرى عند انقطاع الدنيا واسالك ايمانا لا يرتد وقررة عين لا تنفد وفرحا لا ينقطع وتوفيق الحمد ولباس التقوى وزينة الايمان ومرافقة نبيك في اعلى درجات الخلد وتوفى سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، (قلت) : وقيل بل توفى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة قال ودفن بباب سلم رحمه الله تعالى .

## ١٩٦ ● ومنهم أبو اسحاق ابراهيم بن محمد القصرى المؤدب الزاهد

(قال) : هو ابراهيم بن الحسن بن محمد بن عيسى بن سفيان بن سواده التميمي من اهل العلم والقرآن والسكد والجهد والاجتهاد ، وكان حسن العبارة بالرؤيا وكان له حزن وخشية وورع وإشفاق مبسوطا بالحق مقبوضا عن غير ابناء جنسه اعطى حسن الصوت بالقرآن ورقة قلب فكان اذا قرأ بكى وان صلى بكى وان سكت بكى ، روى عنه انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم تسليما فى المنام ستين مرة ، (قلت) : ناقل هذا عنه ابو محمد بن التبان (قال) : وقال ابو الحسن الزعفراني : بتنا ليلة ومعنا ابو اسحاق القصرى فقال القوال .

من كان يرجو بان يلقي سلامته      يوم الحساب ولا يفزعه مسورده  
فليحفظ الله فى اسرار خلوته      ولا يغيب عن الاجلال مشهده

فجئى ابو اسحاق على ركبتيه بين يديه يبكي وينتحب وينوح حتى هجم الصبح ، (قلت) : هذا الكلام فيه بتر ، وبسطه : ان الزعفرانى قال بتنا مع اصحاب لنا ومعنا من ذكرته : وان القاري لم يقرأ هذا بل قرا اولاً (35) ثم لما ذكر هذين البيتين قام ابو اسحاق فجئى على ركبتيه بين يدي القاري وقال له اعد (36) فوالله ما زال ذلك القول يرددها وابو اسحاق على ركبتيه ينوح ويبكي حتى هجم الصبح هكذا ذكر ابو بكر المالكي عن الزعفراني ، (قال) : ولما توفى الشيخ ابو سواده المتعبد لم يبق بالقيروان احد إلا شهد جنازته وكان ابراهيم القصري جالسا عنده ونحوه خلق كثير فنظر الى النعش وازدحام الناس عليه فصاح : واعزهم في سواد الليل إذا قاموا من مضاجعهم الى محاربهم ! واعزهم اذا انصدع الفجر فرحين بما وُهب لهم من المناجاة وقد اشرق نوره في وجوه القوم يحبون الله وهو يحبهم ! واعزهم اذا اشرقت الشمس وهم صائمون متبتلون ! واعزهم اذا توفتهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة ! واعزهم اذا الحسدوا وصارت تلك اللحود رياضاً ! واعزهم اذا انشقت الارض عنهم قاموا من قبورهم وقالت لهم الملائكة « ادخلوها بسلام آمنين » (قلت) : زاد العواني : فلم ير باكيا اكثر من ذلك اليوم ، (قال) : مات ابو اسحاق في السجن بدار البحر من اجل كلمة حق في دين الله قالها ، وذلك سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وكان ينادي اذا جن الليل : اللهم انزل بقلبي منك فرحاً لا ينقضي ، ومحبة لا تنجلي ، إليك اسندت ظهري ، وبك تتم آمالي رفعت خبري اليك ، وقصرت آمالي كلها عليك ، ماذا عادت فيك ، وماذا ابغضت فيك ، وماذا احببت فيك وماذا واليت فيك ، ثم يندفع للنياحة ، (قلت) : ذكر عنه انه كان ينادي ربه في الليل قبل قوله مات (37) فظاھر

(35) يعنى قرا قرآنا في الاول .

(36) ق : أعد قول البيتين والقوال هو المنشد .

(37) ق : ينادى به ، ذكر هذا غير المصنف قبل ذكر الموت فظاھر الخ .



انه كان ديدنه قبل ان يسجن ، وقال العواني كان اذا جن الليل ينادي وهو في السجن اللهم الى آخره فظاهره انما سمع منه لما كان مسجوناً لا قبل ذلك رحمه الله تعالى .

## ١٩٧ • ومنهم أبو ميسرة أحمد بن نزار

(قال) : سمع من احمد بن ابي سليمان ، وفرات بن محمد ، وسعيد بن اسحاق ، وموسى القطان القاضي ، وسعيد بن حكيمون ، ومحمد بن عبادة ، وابي الغصن السوسي (قلت) : وحمديس القطان (قال) : وسمع منه جماعة كثيرة منهم ابو محمد بن ابي زيد ، وحسن الخراط ، (قلت) : وابو القاسم الليدي وابو الحسن ابن الحلاف ، (قال) : كان ابو ميسرة رجلاً صالحاً عالماً مشهوراً بالفقه ثقة حسن الاتباع لا يخالف في فتواه ابن القاسم مجانبا لاهل الاهواء كثير الصلاة والذكر وكان يختم كل ليلة ختمة في مسجده ، وروى انه كان ذات ليلة يتهجّد ويبسكي وقد اتى على صلاته واذا بنور عظيم قد خرج له من حائط البيت كأنه محراب ثم قال له تملأ من وجهي يا ابا ميسرة فانا ربك الاعلى ! فبصق في وجهه وقال اذهب يا ملعون فعليك لعنة الله فظفء ذلك النور من ساعته كسراب بقية واذا به ابليس اراد ان يفتنه فنجاه الله منه ، (قلت) : اراد بقوله وقد أتى على صلاته اي فرغ منها ولو كان في صلاته فالواجب اعراضه عنه وانكاره بقبلة خاصة وعليه يحمل نقل عياض : فبينما هو يتهجّد ذات ليلة من الليالي ويبسكي ويدعو فاذا بنور عظيم وذكر ما تقدم قال الاجدابي اشتهى ابو ميسرة مدة طويلة فقوسا فلما غلبته شهوته امر رجلاً فاشتره له فاكل منه عند افطاره وجلس ساعة ثم بصق فوق بصاقه على لحيته فقال ما هذا الا للذنب فعلته ثم بحث عن الفقوس واذا به من ارض السلطان فتقيأ وحلف ان لا ياكل فقوسا ابدا (قلت) : واعجابه هكذا تكون (38) العلماء منع نفسه من اكله

مع قدرته على شرائه مدة طويلة ثم لما اشتراه وظهر له ما ظهر حلف ان لا ياكله بقية عمره فهم أدبوا انفسهم رضي الله عنهم فتادبت وانشدوا .  
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى فان طمعت تاقت والاتسلت

ونحن وافقنا انفسنا وهي مؤنثة - وطاعة النساء ندامة - ولا يفلح قوم ولوا امرهم امرأة (قال) : روى عنه انه قال لبعض اصحابه - يحضهم على العمل - اني لاعرف من ختم في هذا الشهر - يعني رمضان - مائة وعشرين ختمة واكل فيه سبع خبزات ونصف ! وما اردت بهذا السمعة ، وانما اردت ان احضكم على العمل ، وكان ابو ميسرة مجاب الدعاء روى انه كان في جواره رجل اسود يسرق وينتقب لا يبالي ما يعمل ، وكلما قيل له في ذلك تناول الناس بلسانه ، فقيل لابي ميسرة ذلك وشكوه اليه وسالوه ان يدعوا عليه ، فقال : اللهم انه عبد من عبيدك ونحن نخافه لانه لا يخافك فاصلحه وان لم يسبق في علمك اصلاحه فخذه بعلمك فيه وازل عنه حلمك وفاجئه بسطوتك ونقمتك ، فلما اصبح أتى الشرط الى الرجل فمضوا به فضربت عنقه ، وقال الشيخ ابو بكر بن عبد السلام (39) خرج ابو ميسرة ليصلي على جنازة بباب سلم فشق الجبانة فاذا بامرأة مع رجل في محنة وقد مكنته من نفسها وهو يحل سراويله ، فصاح ابو ميسرة « لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » واقبل وهو يريد السير الى ناحيتهما ، فتركها الرجل وهرب واقبلت المرأة الى ابي ميسرة فضربت بيدها في أطواقه وصاحت بأعلى صوتها : معاشر المسلمين هذا الرجل راودني عن نفسي ! وابسو ميسرة ساكت ، فلما رأته ما هو فيه من قلة القدرة تركته ، وقالت له إياك ان تغير المنكر الا ومعك غيرك ، فانصرف ابو ميسرة وهو يقول : بين مصدق ومكذب ثم اقبل يكرر هذا الكلام حتى انتهى الى منزله ، وكان يقول - رحمه الله تعالى - معرفة الصالحين تورث الفردوس الاعلى ، وشكى له بعض اصحابه بعد عهده به ، فقال له : يا أخي إنما

فائدة الاجتماع الدعاء ، فاذا ذكرتني دعوت لي واذا ذكرتك دعوت لك فنسكون كانا التقينا وان لم نلتق ، وكان ابو ميسرة يدفع (40) الكرامات حتى ساله سائل فاعطاه رغيفا كان في طاق في المسجد ثم خرج من المسجد واغلقه ، ثم فتح المسجد بعد ذلك فوجد الرغيف بعينه في الطاق ، (قلت) : وحمل مرة خبزته الى الفرن فخرج من الفرن خبز للبيع واذا بسائل يسال فلم يعطه اصحاب الخبز شيئا فاشترى منهم ابو ميسرة خبزة ودفعها الى السائل فلما انصرف الى مسجده وقت الصلاة وجد الخبزة فيه :

(قال) : قال ابو الحسن ابن الحلاف : كنت عند ابى ميسرة فوقف بالباب سائل فقلت له : فتح الله عليك ، فقال لي ابو ميسرة : قل فتح الله لنا ولك فلعل ساعته توافق اجابة ، وكان ابو ميسرة يجعل مائدته اذا تعشى خلف الباب فقبل له في ذلك ؟ فقال اذا جاء السائل يعطى له من قريب واذا كنا في البيت وجاء سائل تخرج اليه الخادم فلا ينتظرها العيسال ، واراد اسماعيل بن ابى القاسم ان يوليه القضاء فابى وقال : كيف يلي القضاء رجل اعمى يبول تحته ؟ وما علم به احد انه اعمى الا ذلك اليوم - فقال له : منذ كم عميت اصلحك الله ؟ قال : منذ ثمانى عشرة سنة ! ثم قال : اللهم انك تعلم اني قد انقطعت اليك وانا ابن ثمان عشرة سنة فلا تمكنهم مني ! فما جاء العصر الا وهو من اهل الاخرة ، (قات) : ظاهر قوله فقال له ان القائل له هو اسماعيل فهو قد ذكر عذره لاسماعيل مباشرة ، وذكر عياض ان الرسول جاءه فقال له : مولاي يقرئك السلام ويتول لك : لا بد ان تلي القضاء ! فقال : كيف يلي القضاء رجل اعمى يبول تحته ؟ فقال منذ كم عميت الخ وهذا ظاهر في انه لم يصل الى اسماعيل وانما قاله لرسوله ، ولا يبعد ان يتفق الناقلان قاله اولاه ثم قاله لرسوله لقوله لا بد ان تلي فان لفظه لا بد تقتضي انه سبق كلام معه في ذلك والله اعلم ، وكونه لم يعلم احد بعمائه مع كونه يصلي

الجمعة والجماعة ويقرا عليه الناس كرامة عظيمة في حقه ، والا فالعلمي يظهر على صاحبه من ساعته ، وانذار قوله - فلا تمسكنهم مني - ما ظهر لي سبب دعائه على نفسه فتامله (قال) ومسجد ابي ميسرة مشهور بالقيروان الى اليوم وهو احد المساجد السبعة القديمة الفاضلة ، (قلت) : ويعرف الان بمسجد ابن غلاب وهو عن يسار الداخل للقيروان من باب تونس ، وداره هي التي تعرف بدار الشيخ العدل ابي اسحاق ابراهيم بن محمد بن غلاب المسراتي ، (قال) : وتوفي يوم الاثنين في ربيع الاخر سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، (قلت) : يعني منتصف ربيع الاخر كما صرح به غيره ، (قال) : ودفن بباب سلم قرب شقران وقبره معروف - يعني يزار ويتبرك به - رحمة الله عليه ونفعنا به آمين .

## ١٩٨ ● ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبي المنصور (\*) رحمه الله

وهو محمد بن عبد الله بن حسن الانصاري القاضي اصله من الاندلس قاله المالكي (قال) : وكانت رحلته الى المشرق وسماعه من القاضي اسماعيل بن اسحاق ومن علي بن عبد العزيز عن ابي عبيد (41) القاسم بن سلام ومن عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن قتيبة والحارث بن ابي اسامة وابي يعقوب - حدثه بمصنف عبد الرزاق عنه - وغيرهم ، سمع منه احمد بن عبد الرحمان القصري وابو محمد بن التبان وجعفر بن نذيف وعبد الله بن هاشم القاضي وغيرهم ، (قلت) : واغلق على نفسه باب السماع (42) واعتذر بانه لزمته يمين غليظة ان لا يسمع احدا من اهل

(\*) في ق: ابن أبي المنظور بضاء مشالة معجمة ، وفيها أيضا سمي جده حسنا باسم حسان .

(41) في ق : وأبي عبيد .

(42) الظاهر انه يريد بالسماع الاسماع وهو الاخذ عنه كما يقتضيه تعليق ابن ناجي .

القيروان ، وربما اسمع الرجل الغريب (قلت) : يعنى انه لم يتعين عليه الاسماع ولو تعين عليه لوجب عليه تحنيث نفسه ، والمراد بعد ان اسمع من تقدم ، (قال) : وكان عالما ثقة فاضلا صالحا لا تاخذه في الله لومة لائم ، وله جلالة وسمت وخشوع وتقى وقبول عند الناس وعدالة ظاهرة وأجبره اسماعيل المنصور على القضاء ، (قلت) : هو اسماعيل بن ابي القاسم بن عبيد الله (قال) : فاشترط عليه ان لا ياخذ لهم صلة ولا يركب لهم دابة ولا يقبل شهادة من طاف بهم او قاربهم ولا يركب اليهم مهنيا ولا معزيا ، فاجابه الى هذا اسماعيل وقبل شرطه ، وقال له : اذا لم تاخذ صلة فمن اين تعيش ؟ قال بما اعيش به الان ! قال : فما تركب وانت شيخ كبير ؟ قال الجامع قريب من داري استطيع المسير اليه ، فسار بالعنبد في جميع اقصيته ، وكان لا تاخذه في الله لومة لائم ، وله مع القول اخبار جليمة تدل على قوة ايمانه وتقدمه في الدين ، (قلت) : من ذلك ما ذكره ابو بكر المالكي عن الشيخ ابي الحسن القابسي ان يهوديا سب النبي صلى الله عليه وسلم فرفع اليه وشهدت عنده البيعة فقال ما الذي اعلم لم اعط السيف فاخرج من داره منبرا وقعد عليه على باب داره في الشارع الاعظم واحضر اليهودي فعرض عليه الاسلام فابى ان يسلم فاجلسه ومد رجله وقال لرجاله خذوا بيديه واجذبوه الى انفسكم حتى يتقوس ظهره وامر حاجبه راشدا - وكان ذا قوة في الضرب - ان يضرب ظهره من حذو قلبه فضربه حتى غشي عليه ، ثم امر غيره فابتدأ في ضربه فلم يزل يضربه حتى مات ! فقالوا له : مات اصلحك الله ، فقال لهم : الحق قتله ، ثم امر بدفعه الى اهل دينه ، وانما فعل ذلك - والله اعلم - لانه لو رفع امره اليه لم يقتله بسبب السب ، فاطهر فانما يضربه ضرب الادب ليصل بذلك الى قتله ، فاذا قيل له لم قتلته قال مات من الضرب ، وذكر عنه ايضا القابسي رحمه الله انه قال قام القاضي ابن ابي المنصور من مجلسه من الجامع منصرفا الى داره فلما دخل من باب داره احس في الدار حركة وشم في الدار رائحة طيبة فلما دخل الى بيته وجلس قال له اهله : سلاف جارية السلطان جاءت اليك - وكانت سلاف هذه لم يكن عند

اسماعيل اعز منها - فجعلوا لها منبرا على باب البيت - وكان القاضي قد حبس زائحة قد اشتهرت بالفسق ومخالطة السفهاء وشهد عليها عنده بانواع الفسق فضربها وسجنها في الفلقة - فقالت له سلام على القاضي ! فقال لها مالك يا هذه ؟ قالت له قضيب جارية السلطان ! فقال لها مالها ؟ فقالت تقول لك مشتاقة (43) المسكينة قد انتهيت منها الى ضربها وسجنها وانتهيت منها الى ما رايت انه الحق عندك فاحب ان تخرجها وتطلق سبيلها، فقال لها القاضي - اعنى لسلاف - والله يا منيتنة لولا....(44) لاوجعتك ضربا ولا جعلتك مكانها اليس تحبون (45) ان تجعلوا ظهر الشيخ السوء قنطرة ؟ اذهبي لعنك الله ولعني من ارسلك ! فولت وشقت ثيابها وكشفت راسها وذهبت الى قضيب - وكانت قضيب ليس عند السلطان اعز منها حتى انه كان يقول : الناس كلهم عبدي وانا عبدك وكان قد شغف بها فذكرت لها ما قال القاضي فدخلت بها على اسماعيل فقال مالك ؟ وشق عليه مارآه منها لانه كان يحبها ، فذكرت له ما جرى ، فقال ايش نعمل له ما اخذ منا صلة ولا ركب لنا دابة ولا نقدر على عزله ونحن نحب صلاح البلد ! فانصرفت مخزية هي وقضيب ، (قلت) : انما لم يرد عليها السلام لوجهين احدهما لاجل مذهبها ، والثاني انما يسلم على المتجالة (46) وكذلك ما سبها به من قوله يا منيتنة وبقوله لعنك الله ولعن من ارسلك حقّ لانها آذته الا ترى الى قولها المسكينة والى قولها انتهيت من ضربها ف اشارت الى جوره ، وان كانت انما نقلت عن قضيب فكانها انما قالت براياها (قال) : وكان عالما باصول الفقه وتوفى وهو قاضي القيروان يوم السبت لعشر بقين من المحرم سنة

(43) (43) لعله اسم النائحة .

(44) هذا البياض موجود بعدة نسخ من الاصل وهو محل الشرط لولا وحذفه صاحب الترجمة للتهويل وتوكيد الردع .

(45) يعنى ان الشيخ المتساهل تتخذون ظهره قنطرة لمآربكم ، ويحتمل ان يكون أصل تحبون تحسبون .

(46) العجوز السافرة .

سبع وثلاثين وثلاثمائة وقد نيف على التسعين سنة ولم تشب له شعرة (قلت) : قال ابو بكر المالكي كان غرابيا ، وصلى عليه عبد الله ابن هاشم (47) .

## ١٩٩ ● ومنهم مروان ابن نصر بن حبيب بن نصر بن مروان ابن علقمة الانصاري العابد أبو عبد الملك رحمه الله تعالى

(قال) سمع من عيسى بن مسكين وابن عون والحفري ، وكان من اهل الاجتهاد في العبادة والزهد ظهرت له اجابات ، حلي بالحق وتخلي عن الخلق وتحلى بالصدق ، وكان اذا أخبر بشيء من الدين يبول الدم من الخوف ، وكان حصورا ما اغتسل من جنابة قط ، وبه كان يضرب المثل في عبادته ، قال حماس القاضي ، لا يعدم الناس خيرا وهذا الشاب مروان في الدنيا ، وكذلك كان سعيد بن الحداد يقول ، كان في غاية الزهد والتقشف روى انه لم يسكن في غرفته التي ينام فيها غير سدة قصب وتليس خشن ووسادة محشوة بالتبن ، وكان يقول — إذا قيل له في ذلك — انما الراحة في القبر وليتنا كان لنا في القبور مثل هذا ، قد رقد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (48) النعيم غدا والدنيا سجن للمؤمن ، قال سليمان بن عبد الله : دخلت الى مروان فقلت له عرض علي ابن القاضي حجة (يعني ان يعطيه اجرة على ان يحج عنه) فقال لي : ان أنت أخذت الاجرة اشترت منها جملا بعشرة دنانير وأنفقت الباقي فيموت الجسم في قابس وتمرض انت في طربلس فيردونك ويرمونك في السجن ! تترك الله عز وجل تحج له وتلبي له وتأخذ من الناس فتحج لهم ؟ لقد خرجت من هذه الغرفة الى مكة بعضا في يدي الى ان وصلت الى سقيا

(47) في ق : زاد غيره ضحى يوم الاحد، قال : وولى القضاء بعده عبد الله بن هاشم .

(48) هنا نقص تمامه في ق : على دون هذا وائر الحصير في جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يزيد وليس معي غير قيراط فاشترت به تمرا ورفعنا من سقيا يزيد ، فمات رجل من أهل برقة فأوصاني بأربعة عشر دينار وبغلته وثيابه فقالوا خذها فقلت انا عنها في غنى - وليس معي من الدنيا حبة - فوصلنا الى المدينة فدخلنا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا فقعدت حتى صليت الظهر والعصر والناس في حوايجهم وليس معي ما نرهن ولا نبيع ثم خرجت اريد الرفقة واذا برجل مبيض فعنقني وقال مرحبا ثم أخرج صرة فجعلها في يدي ، فلا أنسى طيب رائحته فالتفت إليه ودعوت له فانفقت منها حتى وصلت إلى هذه الغرفة وتصدقت بالباقي ، قال سليمان فخرجت من عنده الى ابي ميسرة فشاورته في أخذ الحججة فقال لي إن رجلا أتى إلى ابن المنكدر يسأله في أخذ حجة فقال له أما تستحي من الله تبيع الناس أمتعتهم وتبيع انت لبيك اللهم لبيك ؟ وروى أن مروان أشرف ذات ليلة من سطح داره على حارس وهو يراود حدثا عن نفسه والحدث يمنع عليه والحارس يقول لو نزل الله عز وجل ما خلصك مني ! فسقط مروان من قادمته الى الارض وهو يدعو على نفسه ! فلما كان في الليلة الثانية تنازع ذلك الحارس مع قوم من الحرس فضربه أحدهم بسكين فقتله ، وروى أبو بكر بن عبد الرحمان عن الشيخ أبي الحسن القاسبي ان مغنية بالقيروان كانت مشهورة بالغناء في الأعراس فحضرت يوما في دار بجوار مروان العابد فقام في الليل يصلي على عادته فما قدر من علو صوتها ان يصلي ، فقال : اللهم ارح الناس منها حتى سمع الجيران صوته ، فلما خرجت هذه الكلمة من فيه وقعت المرأة ميتة ، وقال أبو عبد الله ابن أخي مروان بينما انا ليلة نائم إذ سمعنا باب الدار يفتح - يعني دار مروان - فخرجت فوجدته مفتوحا فصعدت الى الغرفة التي فيها عمي فلم أجده ، فاعلمت والدي ، فلما كان بعد هدوء من الليل سمعت الباب يفتح فصعدنا الى الغرفة واذا بالشيخ جالس ، فاقسمت عليه مرارا لتخبرنا القضية ، فقال لنا : كان عندي بسر فحملت منه الى فلان الاسود المقيم بهذا الجبل وهذا كراث اعطانيه وكان لمروان اجتماعات بالخضر عليه السلام ، ومناقبه كثيرة (قلت) : تقدمت حكاية رؤياه له في فضل حماس بن



مروان (قال) : وتوفي لعشر خلون من رجب سنة اربعين وثلاثمائة وصلى عليه القاضي عبد الله بن هاشم ودفن بباب سلم وقبره معروف خرج بجنازته عند الظهر فلم يدفن الا عند اصفرار الشمس لاذحام الناس عليه رحمة الله عليه .

## ● ٢٠٠ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن اسحاق الجبلي قاضي برقه

(قال) كان رحمه الله فقيها صالحا فاضلا (قلت) زاد غيره عالما نفاارا حسن الاخلاق سمحا (قال) : ولي قضاء برقة لاسماعيل وكان ابن الكافي عاملا عليها فأتى اليه ابن الكافي فقال له : ان غدا العيد فقال القاضي : ان رثي الهلال الليلة كان ما قلت والا فلا يمكثني ان أمر الناس بالفطر في يوم رمضان واتقلد ذنوبهم ، فقال له بهذا وصل الي كتاب مولاي - يعني اسماعيل - فالتمس الناس الهلال فلم يروه ، فأصبح العامل الى القاضي بالطبول والبنود وهيئة العيد فقال القاضي : والله لا اخرج ولا أصلي ولا افطر في يوم من ايام رمضان ولو علقت بيدي ! فمضى العامل فجعل من خطب وصلى وكتب بما جرى الى مولاه ، فلما وصل اليه الخبر أمر برفع القاضي فلما وصل الى القيروان قال له : اما ان تفصل بنا ونعفو عنك لمؤ نفعل بك ما قلت : فامتنع من الدخول في دعوته ، وقال : افعل ما شئت ، فنصب له صاريا عند الباب الاخير من أبواب الجامع الذي يلي درب الهذلي وعلق بيده اليه في الشمس فأقام كذلك ضاجيا في شدة الحر يومه وليلته فلما كان بالغد (49) مات ولسانه خارج من العطش وهو يطلب من يسقيه الماء فلم يسق خوفا من عامل البلد فلما مات اخذوه وصلبوه بباب أبي الربيع وذلك سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة رحمة الله عليه ورضي عنه .

(49) في ق : من العشى .

## ٢٠١ ● ومنهم أبو الحسن على المؤدب (\*) المكفوف الفقيه الزاهد

(قال) سمع من محمد بن بسطام ، وكان ذا علم وأدب وشكر وذكر وجد واجتهاد وإثار من فاقة وعقل وذكاء وكان حسن التعبير للرؤيا كثير العبادة (قلت) : وقال أبو بكر المالكي : كان ذا أوصاف جميلة معروف بالاجابة متقللا من الدنيا من المؤثرين على انفسهم واو كان بهم خصاصة ، وكان عالما باختلاف العلماء واتفاقهم مع المعرفة الواسعة بالنحو واللغة وعلوم القرآن ، وكان حسن التعبير ، ولد أعمى ، انتفع به خلق من الناس ، وكان يقال انه يعرف اسم الله الاعظم ، قال بعض أصحابه كنت اسأله ان يعلمني اياه فيأبى فلما الححت عليه قال : انك لا تقوى على حمله علمته مرة لانسان ومات وهو شاب ، واه كرامات مشهورة واحواله بها مذكورة (قال) كان لا يدخر شيئا اغد يأخذ القسوام ويجود بالفاضل ، قال أبو عبد الله الحنات كنت اخدمه فاقام ثلاثا لم يطعم فأردت الانصراف فقال اجلس حتى تتغدى فما كان بأوشك من ان دخل أبو عبد الله السرغيني المتعبد بسكباج وخبز فرن فأكلنا فقلت له : أكنت مع الشيخ في وعد ؟ قال لا والله إلا ان عجلة جاءت من القرية فعملنا منها للشيخ ، وقال الحنات أيضا : تصدق الشيخ بجبته يوما وبقي عريانا فقلت هذا أمر مرفوع عنك لانك في فاقة ! فقال اجلس فليس نصلي حتى يأتي ما هو خير ان شاء الله ، فدخل ابن كندوس المقدم ومعه غلامه يحمل رزمة فيها جبة شرقي دقيقة ومنديل مهلبى وكساء وانصرف ، فقال يا حنات اعطيناه جبة خلق فعوضنا جبة جديدة وزيادة منديل ومثزر ونفقة كبيرة ، وتوفى يوم الاثنين الثامن عشر من ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة وصلى عليه عبد الله بن هاشم ودفن بباب سلم رحمة الله عليه .

(\*) فى ق : أبو على الحسن بن على .

## ٢٠٢ ● ومنهم أبو حفص عمر ابن محمد بن مسرور العسال الفقيه

سمع من أبيه وابي بكر بن اللباد وبمصر من ابي بكر بن العلاء :  
(ذكر ثناء العلماء عليه)

(قال) : كان عالما خيرا فاضلا فقيها ثقة جيد الحفظ مفتي اهل زمانه ذا سمعة وصيانة لم يغمض عليه أمر في حدائته ولا في كبره ، وكان الشيخ أبو اسحاق السبائي يحبه ويعظمه ويقوم له دون غيره ، وكان أيضا يقول ما يطيب على قلبي فتيا احد مثل فتيا ابي حفص لأنه كان يشوب فتواه بورع وخوف وشدة مراقبة واشفاق وحذر ، وكان يقول اذا أردت ان ترى العالم العامل فعليك بأبي حفص جمع الله فيه خصال الخير كلها ، (قلت) : ودخل على ابي اسحاق يوما فقام اليه وتلقاه وصافحه وقال له ما الذي اتى بك ؟ فقال ضاقت نفسي واظن اجلي قد قرب فأردت ان اجدد عهدك فقال له أبو اسحاق جمع الله شمل المسلمين بك وابقاك لهم ، وكان ابو القاسم بن شبلون يقول أبو حفص افقه من أبي سعيد ابن أخي هشام وكان أبو جعفر الاجذابي يقول ابو سعيد احفظ وافقه .

(ذكر موته رحمه الله وما يتعلق بذلك)

(قال) ولما مات أبو حفص كان أبوه يقرأ حزبه في المصحف فقال رحمك الله يا ولدي فلقد كنت صواما قواما حافظا لكتاب الله عالما بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد طمعت ان أكون في صحيفتك فالحمد لله الذي كنت في صحيفتي ، ثم اقبل على قراءته (قلت) أصل هذا الكلام عن الشيخ ابي الحسن القاسمي وفي نقل الشيخ له بتر ، قال القاسمي : دخلت على ابي عبد الله محمد العسال وابنه أبو حفص في التزع وهو جالس وفي يده جزء من القرآن وفي المجلس ابو سعيد بن اخي هشام ، وابن التبان ، وابن ابي زيد ، والشيخ على حاله يقرأ حزبه بحذاء طاق في داره ثم يحول وجهه اليهم فيقول :

كيف رأيتم ابا حفص ؟ فتقول الجماعة بخير ان شاء الله الى ان مات فرحتموا وسكتوا فحول الشيخ وجهه وقال : مات ابو حفص ؟ قلنا نعم اصلحك الله وجبر مصابك ، فثنى الجزء ولم يطبقه ثم حول وجهه اليه وهو جالس في مكانه فقال رحمك الله يا بني فلقد كنت صواما الى آخر ما تقدم وزاد قبل قوله ثم اقبل على قراءته فأخذوا في غسله وشأنه وهذا غاية الامثال في الصبر لقضاء الله تعالى وقدره ، وفي صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : الصبر عند الصدمة الاولى ، وقال الله تعالى : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » وقال ابو القاسم بن شبلون لما مات ابو حفص وغسل وكفن وابوه ابو عبد الله حاضر ومن تقدم ذكره وأبو الازهر بن معتب وغيرهم من أهل العلم قال قائل لابي ما أعظمها من مصيبة قال له لا تفعل ثواب الله خير منه ولقيه المهدي فقال : عظم الله المصائب بأبي حفص فقال ثواب الله خير منه ثم قال ابوه : رحمك الله يا أبا حفص فلقد كنت مباركا علينا في دنيانا وفي اخرانا اما دنيانا فكان يجري قوتنا على يديه واما اخرانا فكنت اقول لعلي اكون في صحيفتك فقد صرت في صحيفتي (قال) : ولما مات كتب ابو اسحاق السبائي لابي : انت كنت تريده للدنيا وانا كنت أريده للآخرة فانا احق منك بالتعزية فيه وتوفى نصف شعبان سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وصلى عليه ابوه ودفن بباب أبي الربيع وهو ابن ست واربعين سنة (قلت) وقال أبو بكر المالكي توفى وسنه نحو اربعين سنة ولم يذكر عياض غيره .

### ٢٠٣ ● ومنهم أبو بكر محمد بن مسعود (٥) التميمي امام الجامع بالقيروان

(قال) سمع من جبلة بن حمود وغيره ورحل الى المشرق فسمع من جعفر

(٥) في ق : سعدون وهو الصواب لذكره بذلك كثيرا في هذه الترجمة وغيرها .

ابن محمد بن عبد السلام البزار وغيره ، وسمع منه جماعة من الناس ، وكان فقيها صالحا عابدا ذا حج ورباط وسياحة كريم الاخلاق له مروءة وتواضع ، طلب العلم وجود القراءات وكتب الحديث ولقي الناس بالمشرق والمغرب وسكن قصر ابي الجعد وكان يقيم به ثلاثة اشهر ويرجع الى أهله بالقيروان فيقيم عندهم ثلاثة اشهر ، قال سعيد الاندلسي الفقيه وكان فاضلا كنت مع ابي هارون الاندلسي وابي العلاء الاندلسي وابي بكر بن سعدون في قصر لمطة في بيت فخرج ابن سعدون في ليلة مظلمة وخرجت بعده واذا به قائم في وسط القصر يدعو ونور ساطع قد جلله من اعلاه الى اسفله ورأيتُه قد رفع يديه بالدعاء والنور يخرج من بين اصابعه ومن أطراف انامله كالمصابيح ، وكان رحمه الله يتمثل ويقول :

اذا القوت تاتي لك والصحة والامن  
واصبحت ذا حزن فلا فارقك الحزن

ومن قوله :

سجن اللسان هو السلامة للفتى من كل نازلة لها استئصال  
ان اللسان اذا حلت عقاله القاك في شعاء ليس تقال

ومن قوله رحمه الله :

الخير اجمع في السكوت وفي ملازمة البيوت  
فاذا تهيبا ذا وذا فاقنع اذن باقل القوت

(قال) قال ابو الحسن الزعفراني حضرت مسجد السبت ومعنا فيه ابو بكر ابن اللباد الفقيه وابو بكر بن سعدون الامام فقال بعض القواله .

لا يشغلنك عن حبيبك شاغل فإذا فعلت فان حبك باطل

فتحرك محمد بن ابي سهل الصوفي وكان خيرا واستغرقه الحال فما بقي احد بالمسجد الا بكى لصدقه في حركته ونظرت الى ابي بكر بن اللباد وان دموعه

لتنجدر على لحيته والى ابن سعدون وقد علا نحيبه ، توفي ابو بكر سنة اربع وأربعين وثلاثمائة ، (قلت) وقيل سنة خمس ، (قال) : وهو ابن ست وسبعين سنة ودفن بباب سلم رحمه الله (قلت) : وكان ابوه سعدون رجلا صالحا غزا سردانية وشق سماط القيروان راكبا فرسا يحرض الناس على الجهاد واستشهد رحمه الله تعالى بسردانية .

## ● ٢٠٤ ● ومنهم أبو بكر محمد ابن الفتح المؤدب (\*)

### المعروف بابن الصواف

المقري قال سمع من فرات بن محمد وابي الفصل السوسي وغيرهما قال ابو بكر المالكي وكان على هدى وسنة مجانبا لاهل البدع فاضلا صالحا حافظا موجودا للقرآن حسن اللفظ به جدا (قال) وام الناس بجامع القيروان وتوفي في ذي الحجة سنة اربع واربعين وثلاثمائة وقيل بل توفي سنة خمس (قال) وصلى عليه عبد الله بن هاشم القاضي ودفن بباب سلم رحمه الله تعالى .

## ● ٢٠٥ ● ومنهم أبو جعفر أحمد بن اسماعيل الخطيب

### امام جامع القيروان

(قال) : كان فاضلا (قلت) : زاد غيره رجلا صالحا (قال) : عرض له بلغم وهو يخطب على المنبر وقد بلغ من الخطبة الى قوله : اوصيكم عباد الله بتقوى الله فأسكت وانزل من اعلى المنبر محمولا فمات ليلة السبت بعد صلاة المغرب (قلت) : واتم الخطبة ابو الحسن بن شعبان الامام وصلى بالناس وظاهر هذا اللفظ يقتضي انه بنى على ما مضى من خطبته الاولى وهذا واضح ولا يختلف فيه

(\*) انظر ترجمته بصحيفة 36 فكان هذه مكررة معها غير ان تاريخ الوفاة مختلف والظاهر ما تقدم .

وانما الخلاف اذا عزل هل الحكم كذلك او يتديء القادم على قولين ، ودفن ابو جعفر يوم السبت عند صلاة الظهر في الوقت الذي كان يخطب فيه بالناس ، (قال) : وكانت وفاته في رمضان سنة خمس واربعين وثلاثمائة وصلى عليه عبد الله بن هاشم ودفن بباب ابي الربيع رحمة الله عليه ورضوانه لديه .

## ٢٠٦ ● ومنهم أبو العباس الفضل ابن نصر الباهي (\*) المعروف بابن الرايس

(قال) : كان فقيها صالحا يميل الى مذهب الشافعي والى النظر والحجة ، (قلت) : وقال ابو بكر المالكي كان عالما بمذهب الشافعي وهذه العبارة ليس فيها ما يدل على انه يميل الى مذهب الشافعي فهو عالم بمذهبه فقط ولا يلزم من ذلك ان يميل اليه فهو خلاف ما ذكر الشيخ والله اعلم ، وقد كان الشيخ ابو بكر الباقلائي مالكي المذهب وكان يقري الاربعة مذاهب ويذكر كل مذهب وحجته ثم يرجح مذهب مالك ، (قال) : سكن سوسة ثم انتقل منها الى القيروان وكان له حظ من قيام الليل كان يصلي كل ليلة بثلاث القرآن يختم القرآن في ثلاث ليال ، وكانت له همة وورثاسة بالقيروان وحسن هيئة ، وله شعر رايق وأدب عظيم وله مراثي رثى بها ولده - وكان فقد بالجزيرة - وله مخاطبات (قلت) : وقال ابو بكر المالكي وكتب له بعض اخوانه يعزيه في ابن له قتل في ناحية الجزيرة فكان في بعض جوابه وصل كتابك يحرك (50) شوقا الى رؤيتك ، ويهيج صباية الى الاجتماع بك ، واعلم (51) الي عنر الدار وبعد المزار شخصك ، وصور لي على بعد المسافة بيني وبينك تمثالك ، وقفت على ما وعظت وعزيت عليه فنبه مني غفلة ، وايقظ مني رقدة ، وذكر قول ابي بكر بن حماد :

(\*) هذا اللقب ساقط من ق : وفيها زيادة الفقيه العابد .

(50) (50) في ق : يجدد .

(51) ق : وخيل .

وهون وجدى انني بك لاحق  
وان ليس يبقى للحبيب حبيبه  
ولو ان طول الحزن مما يرده  
وان بقائي في الحياة قليل  
وليس يساق للخليل خليل  
للازمني حزن عليه طويل

وما ذكره المالكي من كون ولده قتل هو اخص من قول الشيخ فقد قال :  
وله معاتبات بينه وبين الفقيه ابي العباس الابياني منها :

ماذا تربك حوادث الازمان  
والجاريات السبع في الفلك الذي  
من خفض اعلام ورفع معاشر  
واشد ما التقي وانضج للحشا  
اما الزمان فواعظ لك صرفه  
هنا ابو العباس واحد عصره  
انبت به اخلاقه عن وصلنا  
اني اتيتك شاكيا ومخبرا

قلت ومن شعره أيضا

بلغ الوشاة علي حيث أرادوا  
والله يعلم انني ما قلت ما  
فهب الوشاة اتوا بامر بين  
عفو الملوك عن الذنوب مدايح  
والله يسألهم وما قد كادوا  
قال الوشاة تافكا واعتادوا  
اين الكرام ! ابدلوا ام عادوا  
مدحوا بها في نفسهم واجادوا

(قال) : توفي سنة اربع واربعين وثلاثمائة وصلى عليه القاضي عبد الله بن  
هاشم ودفن بباب سلم رحمة الله عليه (قلت) : وقال غيره : توفي يوم الاثنين  
لست بقين من شهر رمضان سنة خمس والصحيح هو الاول لقول المالكي توفي  
سنة اربع .



## ٢٠٧ ● ومنهم أبو محمد عبد الله ابن قاسم بن مسرور التجيبى المعروف بابن الحجام (\*)

(قال) : سمع من محمد بن سحنون وعيسى بن مسكين واحمد بن ابي سليمان  
ومحمد بن بسطام وسعيد بن اسحاق وفرات بن محمد وغيرهم وسمع منه أهل  
مصر والاسكندرية وطرابلس والاندلس وافريقية (قلت) منهم أبو محمد بن ابي  
زيد وأبو الحسن القاسبي ، (قال) : كان عالما صالحا ورعا ذا سميت وخشية غزير  
الدمعة فاضلا مجابنا لاهل الهواء والبدع لا يرد السلام عليهم مهايا في نفسه لا  
يكاد احد ينطق في مجلسه بغير الصواب امتحن في شببته على يد محمد بن عمر  
المرودي ثلاث سنين واراد قتله فنجاه الله منه وذلك لصرامته في الحق ، روي  
ان بعض اخوانه اشترى له جارية وادخلوها عليه فلما كان في الليل أخذ في الكتب  
فكتب الليل كله ولم يلتفت اليها ثم كذلك نحوا من شهر ، فلما طال ذلك عليها  
قالت له : ان كنت لا تصل الي وليس لك في غرض فبعني ! فقال : من انت ؟  
قالت : جارتك فلانة فقال لها انا ما اشتريت جارية ولكن امض الى الذين اشتروك  
يبيعونك ، ففعلت ، قلت : ناقل هذه الحكاية ابو بكر بن عبد الرحمان فذكر  
ان اهله اشتروا له جارية وانهم زينوها له وهذا اخص من اسقاط الشيخ تزينها  
ومحل تدخيلها عليه انهم وهبوا له وعرفوه بذلك والله اعلم ، (قال) : وربما كان  
يصنع له مطر (52) من الخبر من كثرة كتبه ، ولم يتزوج ولم يتسر (53) حتى مات

(\*) فى هذا العنوان خلافان مع ق : ابن قاسم - عوض ابن هاشم وابن الحجام -  
عوض ابن الحجاج - وما بالاصل غير صواب لان الاول يلتبس بابن هاشم القاضي  
الآتية وفاته سنة 363 وابن الحجاج لا وجود له وانما هذا ابن الحجام اخذت عنه  
سماعات منها سماع هاشم العسال الآتى قريبا فالمرجح انه هذا بشهادة النسخة  
الصحيحة .

(52) المطر مكيال للسوائل كان لعهد قريب يستعمل فى كيل الزيت وقدره 30 ليرة .  
(53) لم يتخذ السرارى وهن الجوارى .

شهيدا بحرق النار ، وذلك انه كان اصطلى ونعس فالتهب النار في ثيابه حتى احترق جسده كله الا موضع السجود منه ، وله تاليف في أنواع العلوم واقتنى كتبا كثيرة من جميع العلوم وزنها سبعة قناطير كلها بخطه حاشا كتابين (قلت) : قال الشيخ ابو الحسن القاسبي : فكان لا يحتمل ان يراها من اجل انها ليسا بخط يده ، (قال) : وحبس جميعها فلما توفي اخذ أكثرها السلطان اذ لم يكن له عاصب ولم ينتفع الناس منها الا بما كان وهبه لابن محمد بن ابي زيد وذلك مقدار الثلث (قلت) : هذا كلام فيه اجمال وبسطه - كما قال المالكي - انه كان اشير عليه ان يحسبها وان يبعث بثلتها الى ابي محمد بن ابي زيد وبثلتها الى فلان وبثلتها الى آخر خوفا من السلطان ان يأخذها ففعل ، ثم اصبح فقال ما نمت البارحة لما فقدت كتبتي ! ردوها علي ، فردوا عليه الثلثين ولم يبق الا ما اخذ منه ابن ابي زيد انتفع الناس به واخذ الامير الثلثين اللذين كانا عنده حين موته (قلت) ومحملة انه لم يبت بتحجيس الثلثين وانما بعث بذلك ليشهد بتحجيسهما فلم يعزم على ذلك وردهما وبتل (54) ما حبسه على ابن ابي زيد ، وتعبير الشيخ بالهبة مغاير للفظ التحجيس لان الهبة يجوز له معها ان يبيعها وينتفع بثمنها بخلاف التحجيس ، وذكر عنه انه انتظر يوما رجلا في حضور السماع فطال الانتظار فقال ابو القاسم الفزاري الشاعر اصلحك الله حضرني بيت من الشعر تسمعه ان شئت ؟ فقال نعم فانشده :

مثل جري في الناس ليس بقاصر      جوع الجماعة في انتظار الواحد

فأمر بالقراءة ، وقد كان نبذ جماعة من اصحابه لاشياء اطلع عليهم فيها وكتب عليهم سجلا يقول فيه : يشهد من يتسمى في هذا الكتاب ان عبد الله بن مسرور اشهدهم ان فلانا وفلانا كانوا يأخذون عني شيئا من العلم وسألوني ان اجير لهم كتبتي ففعلت ، فاشهدوا علي اني رجعت فيما رووا عني وعن اجازتي لهم كتبتي لما ظهر فيهم من سوء حالهم وكذا وكذا ، قال عياض مثل هذا لا يضر

الرواية ، وقد فعله بعض من لقيناه ببعض من سخطه من أصحابه ولعله لم يخف عليهم ان الرجوع فيه لا يصح لكنه كالردع والتجريح بمثل هذا ، (قال) : وتوفى ليلة الجمعة لاربع بقين من ذي الحجة سنة ست واربعين وثلاثمائة ودفن بباب سلم قرب شقران وابي ميسرة رحمة الله عليه .

## ٢٠٨ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن مسرور العسال رحمه الله

(قال) : سمع من يحيى بن عمر واحمد بن معتب وعبد الجبار بن خالد ومن أخيه عمر بن العسال وغيرهم ورحل الى المشرق فسمع بمصر من علي بن عبد العزيز المدني وغيره وأخذ عنه الناس (قلت) منهم الشيخان ابو محمد بن أبي زيد وابو الحسن القاسبي (قال) : وكان من أهل العلم والعبادة كثير الصوم يختم كل ليلة ختمة وكان فاضلا جليلا ، (قلت) : وقال غيره كان زاهدا وشهر بالخير والصلاح واجابة الدعاء ، وكان الناس يقصدون اليه ويطلبون منه الدعاء ويتبركون بلفائه ورؤيته ، (قلت) : وتقدم كمال صبره في موت ولده مفتي الوقت ابي حفص عمر وفي ذلك كفاية في كمال فضله ودينه ، (قال) : وكان جميع اهل داره عبادا كلهم لهم صلاة بالليل ، (قلت) : ظاهر هذا اللفظ يقتضي ان أهل داره يقومون بعض الليل لا كله - ويأتي من نقله ما يرده - وهو خلاف قول عياض كان يقوم الليل كله وكل من في داره ، (قال) : قال الشيخ ابو الحسن القاسبي باع الشيخ خادما اعجمية فهربت من دار مشتريها اليه وقالت : بعطني من قوم لا يصلون بالليل اظنهم يهودا - اذ كان كل من بداره يقومون الليل قوم بعد قوم لا تهدأ لهم جراحة (55) بالليل اجمع - (قال) : وتوفى ايلة السبت لثلاث بقين

(55) الجراحة البكرة التي تدبر حبل البئر يعنى انهم ينامون ويقومون بالتناوب وكل من قام منهم عمد الى البئر للطهارة فلا تهدا جراحته لذلك

من ذي القعدة سنة ست واربعين وثلاثمائة (قلت) : وهو ابن ست وتسعين سنة .

(قال) : وصلى عليه عبد الله بن هاشم ودفن بباب ابي الربيع ، (قلت) : وقبره مزار معلوم وعرفني من نثق به عن المرابط ابي سعيد الكنايسي - وكان جيدا - انه قل : بينما انا بقرب حوطة الشيخ ابي عبد الله محمد العسال اذا أغارت عليّ خيل (56) من العرب فبادرت للحوطة ، وقلت : الدخيل يا سيدي محمد العسال فبادرت الخيل اليّ فلم يروني وانا اراهم فقال بعضهم رأيت في هذا المكان وعمل بركيذ مزارقه فجاء على خدي وانصرفوا عني ولم يروني .

## ٢٠٩ ● ومنهم عمرو بن مسرور العسال أخو أبي عبد الله

(قال) : كان شيخا متعبدا فاضلا سمع من يونس بن عبد العلاء (57) ومحمد بن عبد الحكم وسمع منه اخوه ابو عبد الله توفي قديما .

## ٢١٠ ● ومنهم هاشم ابن مسرور العسال أخو أبي عبد الله عمرو

(قال) : كان ثقة كثير الصلاة ملازما للمسجد وكان من أجل ذلك يسمى حمامة المسجد وهو الاوسط من اخوته سمع من أحمد بن يزيد وعبد الرحمان ابن محمد التوزري وكان يميل الى الحديث سمع منه ابو محمد بن الحجاج وتوفي قبل اخوته رحمة الله عليه .

(56) مخرج مزيد على الأصل بعد كلمة اذا أغارت على خيل من العرب فبادرت للحوطة وقلت : الدخيل يا سيدي محمد العسال فبادرت الخيل الخ .

(57) ق : عبد الاعلى .

## ● ٢١١ ومنهم أبو حفص عمرو (\*) ابن خيرون

(قال) : كان رجلا صالحا ثقة من أهل العلم والتقوى ، له افعال جميلة وأحوال سنية كثير المعروف والصدقة له اشارة ، سمع من موسى القنطان ومحمد بن بسطام وغيرهما توفي ليلة الاحد السادس من رمضان سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وصلى عليه عبد الله بن هاشم القاضي ودفن بالرمادية رحمه الله .

## ● ٢١٢ ومنهم أبو ابراهيم أحمد ابن محمد بن أبي الوليد

(قال) : كان صاحب مغازم القيروان والحاكم بها ايام ابي يزيد وذلك ان ابا يزيد خير أهل القيروان من ينصبون لاحكامهم الشرعية ؟ فاتفقوا على ابن ابي الوليد لدينه وفضله ، وكان أيضا يتولى الصلاة والخطبة بالجامع الاعظم بالقيروان وكان ختليبا بليغا ورجلا صالحا عدلا في احكامه ، (قلت) : وتقدم ما خطب به حيث حث الناس على جهاد من كان بالمهدية وذلك يكفي في معرفته وفصاحته وكونه لا تأخذه في الله لومة لائم ، (قال) : وكان أبوه رجلا صالحا عدلا امام الجامع في زمان ابراهيم بن ابراهيم (58) توفي ابو ابراهيم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ودفن بباب سلم ، وكان يلبس السواد ويخضب بالحناء .

## ● ٢١٣ ومنهم أبو يوسف حجاج ابن أبي يعقوب السرتي (\*\*\*) رحمه الله

(قال) : عمله الفقر الى الله تعالى والنصيحة في ذات الله وموت النفس واستصغار

(\*) في ق : عمر بن خيرون الفقيه .

(58) ق : بن احمد قلت : وزيادة الله ، قال .

(\*\*) زياة في ق : الدقاق القيرواني من خيار عباد الله . ملحوظة : سنة 16 قم على رجليك واخذ بطبعيه ( اي قصبه ) فاقامه على رجلية واعطاه دراهم الخ .

الدنيا ، ظهرت له اجابات وكرامات انتقل من القيروان الى مصر فمات بها ودفن بالمقطم وذلك سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وكان سبب موته انه سمع قارئا يقرأ آية الكرسي فلم يزل يردددها وهو يبكي حتى حمل الى بيته ففاضت نفسه ، وقال ابن حبان ما كنا نؤمن افريقية اخرجت مثل حجاج في يقينه وثقته وتصحيح معاملته ، وقال شهدت حجاجا وقد مرّ بشاب وهو مريض يزحف من شدة العلة لا يستطيع القيام فوقف عليه وقال له من أين انت يا شاب ؟ قال من مدينة القيروان اعتلت فاقعدت وانا كما ترى في فاقة ، فمسح وجهه بطرف ردايه وقبله بين عينيه ولحظ السماء بطرفه وقد بدرته عبرة وقال الاهی ما عسى ان اصنع يا مصرف الدهور بمشيته ؟ ثم اشار حجاج الى الشاب فقال له جئني بقصبة فاتاه بها فقال للشاب المقعد قم على رجلك واخذ بقصبه فأقامه على رجله واعطاه دراهم كانت معه وقال له امش فمشى ونحن ننظر اليه ، وقال ابو جعفر بن القطان ان حجاجا قيل له في علته التي مات بها ما تشتهي ؟ قال : الله ! وخرجت روحه ، فرأيت في المنام بعد موته فقلت له يا ابا يوسف كيف حالك ؟ وعلى ما قدمت ؟ فضحك وقال لي : ما الأمر الا سهل ما رأيت شيئا مما كنت اخافه بحمد الله ، وقال غازي المتعبد : حججت وانا شاب فلما وصلت الى مصر دخلت جامع عمرو بن العاص ، - وانا جائع - فركعت ركعتين فقلت في نفسي والله ما اشتيت الا جردقا وجبنا آكل منه حتى اشبع ! قال فبينما انا جالس اذ دخل حجاج فرقع الركعتين الى جانبي فلما سلم اقبل علي وسلم فرددت عليه السلام فقال تحب تأكل شيئا ؟ فلم اجبه فقام مبادرا فأثاني بجردق وجبن فوضعه بين يدي وقال لي في أذني كل شهوتك وقام الى عمود يصلي رحمة الله عليه ، (قلت) : سلامه عليه وهو جالس بحذائه فيه نظير وقد حدثني من اثق به ان الشيخ ابا عبد الله محمد بن عبد الرحمان الرماح افتي بانه بدعة وان السلام على من يمسي يمر بغيره (59) الا ان يحمل

(59) رحمك الله يا ابن ناجي ما اولئك بالنقد ! والا فان الرجل ما زال في حكم الماشي لكونه تأدب مع رب البيت فاشتغل بتحية المسجد قبل السلام على الناس فما فرغ

قوله فسلم اي قال له على السلامة فرد عليه بما جرت به العادة والله اعلم .

## ٢١٤ ● ومنهم أبو اسحاق ابراهيم ابن أحمد

### السبائي الزاهد

(قال) : سمع من ابي جعفر احمد بن عبد الرحمان القصري - وعليه كان معتمده - ومن احمد بن نصر ، ومن محمد بن مرزوق الطيار ، ومن ابي اليسر ثونسي (قلت) : واسمه مطر بن بشار ،

(ذكر ثناء العلماء عليه)

(قال) : كان اوحد زمانه ورعاو زهدا وعقلا ، يوالي في الله وبعادي في الله ، قويا في ايمانه جلدا في نفسه ، نزيه النفس كثير الجلد والاجتهاد ، سريع الفهم فيما ظهر من العلم ، له كرامات كثيرة واستجابات (قلت) : هذا كلام ابي بكر عتيق بن خلف صاحب الافتخار ، وقال ابو عبد الله الخراط كان من اولياء الله المعدودين الذين ينزل من دعائهم القطر وتظهر عليهم البراهين ، وقال ابو بكر المالكي : كان رجلا صالحا فاضلا مشهورا بالعبادة والاجتهاد ، كثير الورع وقافا عن الشبهات ، رقيق القلب غزير الدمعة مجاب الدعوة حسن الاخلاق جميل الادب طلق الوجه ، مباينا لاهل البدع شديد الغلظة عليهم قليل المداراة لهم ، ولقد كان من بالقيروان من أهل الدين والعلم انما ينظرون اذا نزلت المعضلات الى ما يفعل ؟ فان اغلق بابه فعلوا مثله ، وان فتح بابه فتحوا ، وان نطق وتكلم تكلموا مثل كلامه لتقدمه عندهم ومكانه من الفضل والعلم مع المعرفة بمحنة الوقت وكيف تُلقى الحوادث ، وكان ابو محمد بن ابي زيد يصفه بكثرة العلم والعقل ويقول : ما هذا الذي نحن

منها سلم عملا بحديث « يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد » .  
فتبديعه هو الذي فيه نظر .

فيه الا من بركته ، وقال ابو الحسن القاسبي : ما انتفعت الا بدعاء ابي اسحاق ! قال لي : أعلى الله قدرك في الدنيا والآخرة ، وقال احمد بن نصر : لا تعارضوا ابا اسحاق السبائي فلو وزن ايمانه بايمان اهل المغرب لرجحهم وسئل ابو محمد بن ابي زيد فقيل له : اصلحك الله هل تعرف احدا في اقطار الارض يشبه ابا اسحاق السبائي فقال اما في ايمانه فما علمت احدا يشبهه - فيه معنى في وقته - وقال ابو الحسن علي بن عبد الله القطان ما قلدت ابا محمد بن ابي زيد حتى رأيت السبائي يقلده وقال الاجذابي : بلغني عن بعض العلماء انه كان يقول بالقيروان رجلان يدعى كل منهما باسم صاحبه ، وهما ابو الحسن الدباغ ، وابو اسحاق السبائي يقولون ان الدباغ عالم وهو اولى بان يسمى عابدا لكثرة حنانه وسمته وسكوته ولينه ووطائه وعلمه ، وابو اسحاق يسمى عابدا وهو اولى بان يسمى عالما لانه كان يدري العلم ويعرفه ويتذاكر العلماء بحضرته وفي مجلسه ابن أبي زيد - وهو الملقب عليهم - وابو القاسم بن شبلون وابو الحسن القاسبي وسعيد بن ابراهيم وغيرهم كل من يعرف مسألة كان يحضر مجلسه ، وذلك لما منعوا من المواعيد والفتوى فاذا تنازعوا فصل بينهم بأمر يرجعون كلهم اليه ، (فان قلت) ، قد تقدم ان ابا اسحاق يقلد ابا محمد بن ابي زيد والى ذلك اشار فيما تقدم من كتبه الى ابي عبد الله محمد العسال - لما مات ولده ابو حفص عمر - انا احق بالعزاء منك فيه لاني كنت اريده للاخرة وانت كنت تريده للدنيا ، وهذا ينافي ما تقدم الآن من كون اهل درسه اذا وقفوا في امر فصل بينهم بما يرجع جميعهم اليه وفيهم ابو محمد ابن ابي زيد (قلت) : لا منافاة والاصل هو الثاني واستفتاءه من ذكر فيما ينزل به انما هو على طريق الورع وذلك ان الانسان في خاصة نفسه قد لا تطيب نفسه بما يظهر له حتى يسأل عنه غيره ، وهذا يجري لي كثيرا ولا ابلغ معشار معشار السبائي لا في الورع ولا في غيره والله سبحانه اعلم .



قال ابو الحسن علي بن محمد الدباغ ما جعل الورع الالرجلين ابني اسحاق السبائي وابي الحسن ابن الحلاف ، ودخل ابو اسحاق حمام الجزارين ثلاث مرات ثم ذكر ان فيه سهما محبسا على قصر سهل فقال لابي القاسم الشواذكي اذا مضيت فخذ نصف درهم واشتر به زيتا للقصر ، وقال ابو الحسن القاسمي كنت جالسا في يوم عيد بين يدي ابي اسحاق السبائي مع اصحابنا والناس يزدهمون فوجا بعد فوج يصفاحونه ويتبركون بدعائه فقلت في نفسي ترى ان كان في قلب الشيخ شيء من كثرة الناس عليه ؟ فقال في فوره : ما كان ذلك الا مرة واحدة من الشيطان فزال والحمد لله ، قال فقلت في نفسي : الشيخ يتكلم على الخاطر كما يذكر عن الاولياء ، فقال : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » ، قال فدخل بعضي في بعض ووددت اني لم اخلق حياء وحشمة واعتمدت توبة وقلت : والله لا ظننت بالشيخ سوءا ابدا فقال : (الا من تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) ، (قلت) : في كلامه بتر لان السبائي ما اجابه اولا - لما وقع في خاطره ما وقع - حتى حول وجهه اليه وقال يا ابا الحسن : ما ارى دخول من يدخل الا كدخولهم الى المسجد يصلون ويخرجون ثم عاوده ذلك الخاطر وقال : يا ابا الحسن ما كان ذلك الا مرة واحدة فتحويل وجهه اليه ومناداته بكينته اخص من ترك ذلك (قال) : وقال ابو محمد ابن ابي زيد كنا اذا اردنا الدخول الى ابي اسحاق السبائي يقول بعضنا لبعض تعالوا نجدد توبة قبل الدخول اليه خوفا ان ينطقه الله علينا (قلت) : ودخل عليه رجل في جملة الناس من المشاركة فلما دخل وسلم رفع الشيخ رأسه وقد احمر وجهه وقام شعره وقال : الشيطان في داري ثلاث مرات ففسر المشرقي .

(ذكر عبادته رضي الله تعالى عنه)

(قال) : قال ابو عبد الله محمد بن ابي بكر ابن أخي مروان اقام الشيخ ابو اسحاق ثلاثين سنة يصلي الصبح بوضوء العتمة وكنسا

نأتي الى المسجد الذي عند داره فنجده وقد اربد (60) وجهه من القيام ، وقال ابو محمد بن ابي زيد دخلنا على ابي اسحاق وهو يتوضأ فسلمنا عليه ودخلنا البيت ، فبعد برهة دخل فسلم علينا وجلس فقال لنا أي وقت جئتم فقلنا له اصلحك الله منذ ساعة وقد سلمنا عليك وانت تتوضأ ، فقال : والله ما شعرت بكم تفكرت في الطهارة وما خاطب الله به المؤمنين وانها متصله بالوقوف بين يديه ، (قلت) : ودخول ابي محمد ومن معه بالاذن العادي اذ داره في بعض الاوقات كالمسجد ، و اشار بقوله وما خاطب الله به المؤمنين يعني بذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الآية) ، فكان اذا أراد ان يتوضأ يتلو الآية ثم يقول نعم يا رب ! ويسكرر ذلك ، واعمجابه اذا كانت هذه حالته في وضوئه لم يشعر بجماعة وقفوا عليه وسلموا عليه فكيف يكون حاله في صلاته وهو يتلو القرآن العزيز ؟ فصلاته وصلاة أمثاله هي التي قال الله عز وجل فيها : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » واما صلاتي انا وصلاة امثالي فهي التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزده من الله الا بعدا ، فنسأل الله عز وجل ان يرزقنا التذلل والخضوع بين يديه انه ولي ذلك والقادر عليه .

(ذكر اجابة دعائه بالرقى ) .

قال ابو بكر المالكي يدعو لمن عمى فيبصر ، وعلى من ظلمه وآذاه فيهلك من يومه ، ومن ضغطه امر فيفرج عليه ، ويدعو على من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيهلك (قلت) : وشاهدنا هذا منه في زماننا على صفة ما نذكره ، فكان عندنا رجل يقال له ساسي الزوار يزور الناس لقبور الصالحين - من الغرباء وغيرهم - ويعرفهم بفضائلهم ، وهو الذي عرفني بقبورهم وكان غير مخاطب فلا يصلي وماله تحت يد القضاة ومع هذا اوقفه الله في هذه

الطريقة وكان لا يقرأ وعنده تأليف الشيخ ابي زيد عبد الرحمان الدباغ الذي جعلته اصلا لهذا التأليف في سفر فإذا اخذه انسان ممن يحضره ويقرأ منه فضل شيخ أو أكثر يبقى هو يقرأ معه من التكرار على سماعه ، واذا وقف في حرف رد عليه ، فعمي الرجل في آخر عمره وداواه الحاج ابو اسحاق ابراهيم بن مزغيش الطبيب بما يعرف فلم ينتفع بشيء ، وكذلك داواه غيره من العامة لمحبة الناس فيه لانه خديم المشيخة رضي الله عنهم فلما طال امره وفقه الله الى ان قال لهم : دلوني على قبر الشيخ ابي اسحاق السبائي فقال ما معناه : يا أبا اسحاق اليس اني خديمكم وازور الناس اليكم ؟ ومن فضائلك انك تدعو لمن عمى فيبصر وانا عميت ! وردوه الى القيروان يقاد كما كان ثم ابصر من الغد وصار لا يقاد ، قال الشيخ ابو محمد ، كان السبائي مستجاب الدعاء ، وذلك انه كانت لي بنت اصابها في عينها شيء فكرهت المشي بها الى ابن اعين الطبيب ، فأخبرت الشيخ بذلك فقال لي اتركها وانا ارقبها من ها هنا فما زال يرقبها وهو في داره وهي في دارها حتى ذهب ما كان في بصرها ، (قلت) : زاد غيره : في ثلاث ، وأراد كراهة السير بها لاطلاعه عليها كما صرح به في نقل غيره ، وانه قال له اولاً ابعث بها ارقبها ثم رجع وقال من ها هنا ارقبها ، وقال ابو محمد : وكانت عندي طفلة استرخى وركها ، فمضت بها امرأة اليه فرقاها فرجعت صحيحة ، وقال ابو بكر المالكي : قيل كان موسى اليهودي عند معد<sup>61</sup> وعنده وجوه رجاله ، فقال له معد رجل في بيت من قصب يقرب الفحص يشتمنا وما قدرنا له على شيء فقال له رجل : من هو يا مولانا نقطع رأسه ، فقال : معد اسكت يا عبد سوء ! فقال موسى اليهودي لمعد : انك لن تطيقه ! فسكت عنه معد فلما خلا بهم المجلس قال معد لموسى اليهودي : ماذا الخطاب الذي خاطبتني به ؟ فقال له نعم انا اخبرك : انه كان عندي ابنة وكان بعينها بياض فما بقي شيء مما امر به الاوائل الا وقد عملته لها

(61) هو المعز لدين الله العبيدي فاتح مصر والمنتقل اليها .

فلم تنتفع بشيء منه ، حتى اني وجهت الى مصر فاشتريت مثقالا توتنا بمائة مثقال ذهابا وعملتها لها فكانت لا تبصر ، وكانت تدخل اليها امرأة من المسلمات فقالت اعطوني هذه الصبية امضي بها عند السبائي فمضت بها اليه فرقاها في جملة من يرقى فجاءت وهي تبصر وزال ما بها في الوقت ، (قالت) : ودخلت علقة في فم صبي بدوي فعاناها الطبيب بما قدر لعلها ان تخرج فلما اعياه قال له : ما هذه في استطاعتي فامض بابنك الى السبائي لعله يدعو له فيفرج الله عنه ، فسار اليه فاخبره بقصته والناس وراءه ثم حرك شفثيه وقال للصبي تقدم وقرأ على فيه واوما بيده الى العلقة فسقطت من فيه ، وكان يرقى الناس الذين يأتون اليه جملة ويجد كل انسان منهم براء نفسه على وجهه ، قال الشيخ ابو القاسم ابن شبلون كانت رقيته بالحمد لله رب العالمين وقل هو الله احد والمعوذتين كل ذلك سبعا ثم يقول في آخر دعائه ببغض في عبيد وذريته وحب في نبيك واصحابه واهل بيته اشف كل من رقيته .

(ذكر اجابة دعائه بغير الرقى .)

(قال) : قال أبو محمد ابن ابي زيد : وقع قط في بشر ابي اسحاق السبائي فقال اللهم يسر لي من يخرجني من البشر فنحن جلوس عنده حتى دخل علينا رجل عريسان في وسطه مئزر فنزل في البشر فرفع القبط حيا ، قال ابو محمد قلت لابني اسحاق : من اين هذا الرجل ؟ قال لا أدري وما ارسلت وراءه ، وقال ابو بكر النعماني الفقيه بمصر : والله انه ليتزل بي الهم فيمنعني النوم فاذا كان عند التهجد في ثلث الليل الاخير يسكن عني ما اجده فاعلم ان ذلك من دعاء السبائي لي في ذلك الوقت وذلك انه عقد لي على نفسه وراسلني انه يدعو لي ويذكرني في كل ليلة ، (قلت) : ظاهر قوله ينزل بي الهم انه غيار من السلطان او غيره لا زيادة ، ففي كلامه بتر لقول ابي بكر المالكي عنه كان يقول لقد كان يطرقني ما يمنعني النوم فاسهر عامة ليلى اما لهم وغم

او لوجع وزاد بعد قوله ما اجده (وانام) وذكر ان حلقة النعالي كانت تدور على تسعة عشر عمودا لعظمها وكبرها ، (قلت) : وسمعت شيخنا ابا الفضل ابا القاسم البرزلي ينقل غير ما مرة انه قيل للشيخ النعالي هذا لم لا تكون (62) لاهل مصر كأبي اسحاق السبائي لاهل القيروان ؟ قال ذلك الشيخ يغضب لغضبه منها اثني عشر ألف سيف وانا لا يغضب لي ولا واحد ! وقال محمد ابن ادريس خرجت اريد الخانوت فلقيني ابو العباس احمد بن غانم فقال لي وانتم ها هنا والله لا اسكنتكم معي فاعملوا على الانتقال لانكم من حزب السبائي ! فجئت الى السبائي فأخبرته فقال ما عليك منه شيء انما هو كلب ينبح الهمم عجله ولا تمهله فلما خرجت من عنده وقربت من داري اذ به قد اوتي به ميتا من الحمام ، قال ابو بكر المالكي دخل عليه ابو العباس بن ابي ثوبان صاحب المظالم فنهجه (63) الشيخ فخرج من عنده فلقيه بعض اصحاب الشيخ فذكر له قصته معه ثم قال له سوف ترى انت فخاف الرجل على ابي اسحاق فاعلمه ، فقال له : قل له سوف ترى انت ! قال الحاكي فخرجت من عنده الى داري فبعد ساعة خرجت فإذا الناس يقولون مات فلان فجئت الى الشيخ فاخبرته فقال قد كفينا ما نجده والحمد لله .

(ومن اجابته) ان ابا القاسم الفزاري الشاعر كان قد هجا بني عبيد في ايام ابي يزيد فطلبه السلطان اسماعيل ليقتله فلجأ الى السبائي وهو فزع خايف وقال له انت تعلم ما يراد بي ، فقام الشيخ ابو اسحاق فدخل خزانه واقبل يدعو ويقول كلاما بعضه يفهم وبعضه لا يفهم : ثم قال لابي القاسم امض اشتر غداءك وادخل الحمام وامض اليه فلن ترى شيئا تخافه ! قال ابو القاسم : فخرجت من عنده ففعلت ما امرني به من الغداء ودخول الحمام ووثقت نفسي بقوله ودعائه ثم مضيت الى

(62) فى ق : لم تكن .

ق : فانتهره .

السلطان فدخلت عليه فقال بعض من في مجلسه يامرك السلطان بان تنشدا ما قلت في ايام ابي يزيد فتوقفت عن ذلك وخفت فقال انشد ولك الامان فانشدته القصيدة الرائية ، فلما فرغ من انشادها لم يعرض له اسماعيل بسوء فلما خرج من بين يديه قام احد الجنند من بين يدي اسماعيل فاخترط سيفه ليقتل ابا القاسم فقال له اسماعيل : مالك ؟ قال : اضرب عنقه ، فقال : قد امناه والا كان هذا في حين اتانا فلما قام عنا وانصرف قمت اليه ، فعافاه الله من شره بدعاء السبائي قال بعض اصحابه : كنت ليلة عند الشيخ فجعل يحدثني وتلذذت بحديثه حتى انقطع مشي الناس من الازقة وضرب البوق (64) فكرهت ان اقطع عليه حديثه - وكان البوق اذا ضرب ومشى احد بعد ضربه ضربوا عنقه لانه لا يمشی حينئذ الا من يسرق او يخرج لضرب من الفساد - فكان معدّ قد ثقف البلد تثقيفا شديدا بالعسس والحرس والرصد الشديد ، فلما فرغ الشيخ وسلمت عليه لاجرا قالت امرأته لي اين تخرج ؟ فقلت الى الدار ! فقالت البوق قد ضرب منذ ساعة ، فقال لي الشيخ اعد تبيت عندنا الليلة قال فقلت له اصلحك الله تتحير تلك الوالدة وتظن اني قد اصببت بمصيبة او دهيت بداهية ، فقال لي الشيخ اصبر يا أخى يا ابا سعيد فوقفنى بين يديه وأقبل يشير عن شمالي وعن يميني فسمعتة آخرا وهو يقول : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الى آخر السورة) فإذا به انما قرأ علي وعودنى بيس ! ثم اخذ فى الدعاء فدعا بدعاء عظيم ثم قال لي مرّ يا أخى يا أبا سعيد حفظك الله من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومن تحتك قال فخرجت من داره فمررت برحبة ابي داوود فإذا رابطة وعساسة وكلاب فما كلمنى احد منهم ولا نبج علي كلب ، فتماديت في طريقي فمررت بالسماط على دار ابن أسود الداعي فوجدت عندها رابطة وعساسة وكلابا فما كلمنى احد منهم ولا نبج علي كلب فتماديت الى ناحية سوق ابن هشام وعنده

رصد وكلاب فما كلمني احد منهم فلما وصلت الى بئر ام عياض وجدت ايضا عنده رابطة مثل ذلك فتماديت حتى انتهيت الى الدرب فداخطني الهم والفزع وقلت هم صلوا واغلقوا الابواب فمن يفتح لي فهزرت الباب فانفتح لي فاصبت امي واقفة خلف الباب فلما رأني قالت خلف؟ قلت خلف! فدخلت وحمدت الله تعالى على السلامة، قال فلما كان الغداة ومضيت الى دار الشيخ فسلمت عليه فما قال لي كيف كان وصولك ولا سألتني عن شيء من ذلك ثقة منه بالله عز وجل انه لا يضيعني ولا يسلمني.

(قال): وكان رحمه الله تعالى شديد العداوة لبني عبيد مجاهرا لهم بالسب والتكفير وسكناه بخارج باب الريح ليس بينه وبين الفحص الا نصف طوبة وقصب ويبلغ بني عبيد عنه ذلك فلا يقدرين له على شيء وكان ممن خرج عليهم بالوادى المالح وعصمه الله منهم (قلت): قال المالكي قال ابو عبد الله محمد بن عبد الله الريعي عن ابيه: كان ابو اسحاق رضي الله عنه قد سأل الله عز وجل ان ينسى ممدا اسمه: قال عبد الله بن هاشم القاضي فكان معد اذا اجتمعت به يقول لي ذلك الشيخ الذي يسكن بباب الريح قال فاقول له السبائي فيقول نعم (قلت) وقال الشيخ ابو اسحاق مشيت الى ابن المهزول فعلمني اسم الله العظيم الاعظم ثم انسيته ولعل ذلك خير لي.

(ذكر بقية أخباره).

(قال) قال ابو اسحاق وقفت بين المغرب والعشاء مع عمي ابي الحكم فجعلت يدي على الحائط فلدغمتني عقرب واذا بشخص اقبل الي فقال لي افتح فاك فجعل فيه خرزة ثم قال لي مصها ثم اخذها ودخل في زقاق، فسكن الوجع. قال يونس بن سليمان السقا قلت لابي اسحاق - اصلحك الله - إن اناسا يقولون ان مروانا يجتمع بالخضر؟ فنثر يده في وجهي وقال: من دون مروان يرى الخضر فكيف بمروان رجل صالح من الابدال. (قلت): قال ابو عبد الله بن هبة الله ذبح لابي اسحاق كبش

في عيد الاضحى فشوى له من زائدة كبده فدخل البيت ليأكل فخرج وهو يقول : لا حول ولا قوة الا بالله فقال له خديمه ابو سعيد مالك ؟ فقال له : لما مضغت لقمة احسست كأن الشوك في حلقي فما قصة هذه الشاة ؟ فقال له خديمه والله ما جئت بها الا ممن ارسلتني اليه ، فقال له اوقع لك في الطريق شيء ؟ فقال فررت من يدي ودخلت قطيع غنم كان هناك فاخرج الراعي منها شاة وقال : هذه شاتك فاستقصى على ذلك فإذا بها قد ابدلت بغيرها ، وقال ابو الحسن القابسي اتاه رجل يوما ببطيخ - وكان يحبه - فقال له هذا جئت به اليك من البحيرة التي كان ابي يهدي اليك منها فقال له كم ثمنه فقال له وكم عسى ثمنه فقال ان كنت تأخذ ثمنه والا فامض به فأخذ ثمنه وقال خذ بطيخك واياك ان تعود فدهش الرجل واخذ البطيخ والثمن فكشف عنه واذا به اشتراه من السوق ، وقال خديمه ابو سعيد بعثني ابو اسحاق اشترى له فقسا فاشترته ممن اتق به واوصلته اليه ، فقلت في نفسي قلدني ولم أسأل بائعه من أين هو ؟ فحجته من الغد واعتذرت له فتبسم وقال لو كان فيه شيء ما جاز لي أكله ، وكان لا يأكل الا ما علم طيبه وطيب اصله وتصرف الموارث فيه ، وقال ابو بكر عتيق بن خلف واتي ابو اسحاق في مرضه الذي مات فيه بتين اخضر اشتهاه واستخلص له اصله - في باكورة التين - فقال قد علمنا انه لا يطيب في هذا الوقت الا ان يدهن بالزيت فهل يعرف اصل الزيت الذي دهن به ؟ فتركه ولم يأكله ، قال المسالكي وكان قد سد قبول الهدية فعوتب على ذلك وقيل له : ان النبي صلى الله عليه وسلم تسليما كان يقبل الهدية فغضب لذلك وقال : لسنا كالنبي صلى الله عليه وسلم لو فعلنا نحن كذلك لمتدلونا (65)، (قلت) : كان لا يقبل من احد شيئا الا بثمنه ويكافيء بضعف ثمنه ، وقال ابو سعدون وكان خبز السبائي السميد . فقيل له في ذلك ؟ فقال : والله لو قدرت على الجوهر وعلمت

(65) جعلونا كالمندبل الذي تمسح به الاوساخ .



انه يزيد في عقلي لسحقته واكلته فاني لا أجد نفسي تصلح الا اذا اكلت طيبا ، وكان رحمه الله لا يزال سلاحه في بيته معتدا لقتال بني عبيد مع كل بر وفاجر من المسلمين ، واقام ملازما لداره ثلاثا وعشرين سنة ، وقد كان معدّ بن اسماعيل قرب داره فأراد لقاءه فبعث اليه من يأتيه به ، فتعدّر ابو اسحاق بعذر ، فالخ عليه الرسول فلما لم يمكنه من الجلوس دخل فتحزم بسلاحه ولبس منطقتة وتلثم واخذ سيفه وخرج اليه ، فقال له ما هذه الحالة ؟ فقال له الشيخ عاهدت الله على ان لا ألقى اعداءه الا محاربا فقال له اجلس في مكانك ، واعتذر الرسول عنه (قلت) : لهذا قال احمد بن نصر كما تقدم لو وزن ايمان ابي اسحاق بايمان اهل المغرب لرجحهم ، وذكره معدّ يوما فقال اعد لنا السلاح وتربص بنا الدوائر وكفترنا وشتمنا وعلم الناس الجرأة علينا حتى تناكر الكبير والصغير ، واعان عليه قوم في المجلس وتكلم قوم له ، فأعلم بذلك فزاد ابو اسحاق حيثنذ في السلاح وتقدم ان اهل القيروان ينظرون اليه فيما يفعله فعملوا مثله فليس المراد زيادته في السلاح وحده فقط والله اعلم واستأذن عليه يوما صاحب المحرس فهرب كل من كان معه - ومنهم ابو محمد بن ابي زيد - ولم يبق معه غير القابسي فقال الشيخ من هذا ؟ فقال انا فلان قال ادخل يا شيطان ما يريد الشيطان اخو الشيطان فلم يكلمه يومئذ الا بالشيطان ، فلما خرج رجع من هرب فقال لهم : ما هذا حق الصحبة تهربون وتركوني ؟ ولا مهم على فعلهم .

(ذكر رفاته وما يتعلق بذلك).

(قال) : توفي يوم الثلاثاء النصف من رجب سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، (قلت) : وقيل توفي لثمان بقين من رجب ، قال : هو ابن خمس وثمانين سنة ودفن يوم الاربعاء بباب نافع ، (قلت) : يعني في وقت الضحى كما صرح به غيره ، (قال) : وصلى عليه عبد الله بن هاشم (قلت) : وتبعه العواني ، وقال ابو بكر المالكي : صلى عليه ابو الحسن الدباغ والناس يقولون صلى عليه عبد الله بن هاشم وهو وهم ،

(قال) : وحضر جنازته من الخلق من لم يحضر على جنازة قط ، (قلت) : يعني في زمانه ، (قال) : ودفن الى جانب قبر سحنون بن سعيد وتبعه العواني وظاهره انه ليس بينهما قبر ، وليس كذلك بل بينهما قبر ظاهر كقبرهما ، (قال) : فقبراهما مشهوران بباب نافع ، قال ابو القاسم ابن شبلون رأيت السبائي رحمه الله بعد غسله والنور يخرج من بين اصابعه كالمصابيح ، وقال الحسن بن سعيد الخراط - وكان فقيها عالما من نظراء ابن ابي زيد - قال اتيت بعد الفراغ من غسل ابي اسحاق السبائي فأخذ بيدي علي بن حمود فجلست فغشينا نور حتى غلب على ابصارنا (قلت) : وقال ابو الحسن القاسبي لما احتضر ابو اسحاق رأى من حضر نورا دخل من باب البيت حتى اتى وجهه ثم زال عن وجهه ومر على صدره ثم الى رجليه ثم خرج من البيت فقبض الشيخ ، وقال ابو محمد بن التبان : لما توفي رجعت الى الدار فلما تحيئت وقت غسله خرجت لحضوره ، فإذا بشيخ لقيني فسألني عن مسيري فأخبرته ، فقال قد صلينا عليه ، وكما جئت (66) فغمني ذلك ، وقلت امضي لاكمل أجري ، فوصلت الى داره فاذا به لم يغسل ! فعلمت انه إبليس اراد ان يفوتني ذلك ، قال أبو الحسن القاسبي : نعي الينا ابو اسحاق السبائي وانا بمصر بعد سبعة عشر يوما من وفاته فجميع من بمصر من العلماء والفقهاء والفقراء والصالحين والمحدثين كلهم عزاني فيه رحمة الله عليه ورضوانه لديه .

## ٢١٥ ● ومنهم أبو عبد الله محمد البرانسي اللباد الصامت رحمه الله (\*)

(قال) : كان عابدا فاضلا صامتا ، وكان يقيم رجباً وشعبان ورمضان لا يتكلم بكلمة ويرد السلام اشارة ، وكان مستجاب الدعاء وله معاملات مع الحق ،

(66) أى ما زلت كما جئت وهو استعمال عامي .

(\*) فى ق : زيادة الساكن بمسجد الزيتونة .

(قلت) : ما ذكره من كونه يرد السلام اشارة ليس بصواب ولا يقتدى به في هذا لان السلام لا يكون الا بالنطق وكذلك الرد ، ولعل هذا الشيخ لم يكن عالما لأنهم لم يذكروا على من قرأ ، وان كان عالما فما ذكره ضعيف ، والخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع ، فمسك اللسان حسن فيما لا يخالف فيه سنة ، وسكوت الشيخ والعواني عليه غفلة ، (قال) : وتوفى سنة سبع (67) وخمسين وثلاثمائة ودفن بباب سلم رحمه الله تعالى .

## ٢١٦ ● ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن مسرور العبدى الدباغ (\*) رحمه الله

(قال) : سمع من أحمد بن ابي سليمان ، وسعيد بن اسحاق الكلبي ، وجبله بن حمود ، ومحمد بن بسطام ، وجريز بن محمد الفاسي وغيرهم . ولقي بمصر محمد بن رمضان ومحمد بن زيان ، واخذ عنه جماعة كثيرة ، وعليه كان اعتماد الشيخ ابي الحسن القابسي ، واخذ الناس عنه من بعد سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة الى سنة ست وخمسين ثم رقع السماع تورعا لما دخله من السن .  
(ذكر ثناء العلماء عليه).

(قال) : كان من أهل العلم والورع والعبادة والخشوع حسن التقييد ثقة لم ير اعقل منه ولا اكثر حياء منه ، قد اجتمع له مع العلم السورع والعبادة والتواضع وسرعة الدمعة وقلة الكلام والرفق بالطالب ، وكان عبد الله بن هاشم يثنى عليه ويأمر بالسماع عنه ، (قلت) : وكان ابو اسحاق الجبيناىي يحبه ويثنى عليه وقال أيضا للقابسي : أو ليس عندكم ابو الحسن الدباغ ؟ وددت ان سادتي

(67) ق : ست وخمسين .

(\*) فى ق : زيادة : الفقيه .

عتبة ابي الحسن الدباغ ! ما يكلمه احد الا احمرّ وجهه ، ولقد كان احبى من الابكار ، وقدم رجل من أهل المشرق فسمع الناس يقولون : ابو الحسن الدباغ الفقيه وابو اسحاق السبائي العابد فقال بل العابد ابو الحسن والعالم التحرير ابو اسحاق : (قال) : وقال ابو الحسن بن الحلاف : يخيل لي ان صاحب الشمال لا يكتب على ابي الحسن لظهارة قلبه وعفة بطنه وحفظ لسانه ورعاية جوارحه .  
(ذكر بقية اخباره .)

(قال) : كان ابو الحسن قد ورث مالا حلّالا فأقام نفسه فيه مقام الفقراء واسوتهم وكان يغتسل في كل شهر اربعة دنائير اثنين لصدقته واثنين لشفقته ، قال الشيخ ابو الحسن القاسبي كان لابي الحسن الدباغ فندق له غلة كثيرة عظيمة ، وكان الناس يقصدونه من كل موضع ، فشرّب فيه رجل مسكرا فأخبر الشيخ بذلك فوقع في قلبه منه امر عظيم ، وقال : عشت في الدنيا حتى يكون لي فندق يعصي الله فيه وبكى بكاء عظيما ، وقال لله علي ان بت (68) وهذا الفندق في ملكي ، ووجه في الحين رجلا وقال له : بعه ممن وجدت فبيع في الوقت وذكر انه تصدق بجميع ثمنه ، ويروى انه اصابه في آخر عمره بلغم فكان لا يستطيع القيام على قدميه ، فان كان له حاجة حمل اليها أو زحف في البيت ، فاذا تروضا للصلاة أخذ بيده فاستوى قائما فاحرم وركع وسجد ولا أحد يمسكه ولا يستند اليه ولا يعتمد حتى يتم الصلاة ، فاذا فرغ من صلاته عاد اليه الضعف الى وقت دخول الصلاة الأخرى ، (قلت) : هذا من نقل ابن الحلاف عنه ، وقال غيره بت : عنده ليلة فسمعت حس ماء يقطر فظننته آنية انكسرت فقممت لانظر ذلك ، فاذا به قائما يصلي ويكبي ، واذا الذي سمعته دموعه تقطر على الحصير ، وكان ايام بني عبيد لا يؤذّن الا على سنة الاذان ولا يقول (حي على خير العمل)

فحماء الله منهم ولقد كان اذن فخاطبته نفسه بقولها (69) وان لم يقلها يقتل ! فقالها قلما فرغ اذا اسود ناصب حربته بين كتفيه ان لم يقلها طعنه بها فعافاه الله وكان يقول للناس : تمالوا على الاذان على سنة في انفسكم ، فاذا فرغتم فقولوا حي على خير العمل ، فانما اراد بنو عبيد خلاء المساجد لفلعلكم هذا وانتم معذورون خير من خلاء المساجد (70) (قلت) : قف على هذا فانه كان اعتقادي انهم انما كانوا يقولونها بعد حي على الفلاح في اضعاف الاذان حتى وقفت على كلامه هذا من انها بعد فراغ الاذان يسهل امرها حينئذ لضرورتهم ، وقد تقدم ان عروسا المؤذن قتلوه بسبب تركه لها وقبره مزار عندنا فكيف لا وقدمات شهيدا، (قال) : وكان رحمه الله تعالى يقول : ان الثواب (71) هاهنا قليل ان طال عمرك فجعت باحبائك وان قصر عمرك فجعت بنفسك ، وكان رحمه الله تعالى اذا كان يوم الجمعة تطهر ولبس احسن ثيابه وتردى (72) وتطيب وراح الى الجامع فاذا انتهى الى باب الجامع رفع عينيه الى السماء وقال اللهم اشهد ورجع الى بيته (73) ، (قلت) : هذا منه رحمه الله ورع ومبالغة في كمال الامتثال ، وكان ينهي على الكلام في مسألة انا مؤمن ان شاء الله ويقول : ان اصبنا فيها لم نؤجر وان اخطأنا فيها أثمنا ! ويقول لابي الحكم الزيات ذهبت الى العراق فأتيتنا بهذه البدعة — وهو الذي جاء بها والقاهها في القيروان — فرأى رحمه الله ان الخوض في هذه المسألة فرغ منها فكان الكلام فيها من ايام محمد بن سحنون وابن عبدوس الى زمانه ، فرأى ان الاشتغال بغيرها اولى والا فالاصل ان العالم

(69) اي يقول كلمة ( حي على خير العمل ) .

والاسود الناصب حرите بربري من جندكتامة عصبة العبيديين .

(70) يعنى قولوا ( حي على خير العمل ) التي هي شعار الشيعة فانتم معذورون بالجبر خيرا من ترك الاذان وخلاء المساجد .

(71) الثواب هنا لا معنى له وكذا كلمة التوا في ق : وخير منها كلما التوقى .

(72) اراد ارتدى رداءه لا تردى من عل كما هو ظاهر .

(73) تحرصا من هنا كر شعارات الشيعة بالمساجد .

المجتهد اذا اصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واحد ، وكان بينه وبين الشيخ ابي اسحاق السبائي صحبة فلما أخبر بموته بكى بكاء شديدا وقال واكشفتاه اليوم انكشفت ، ولما خرج للصلاة عليه ازدحم الناس عليه يسألونه الدعاء ويسلمون عليه حتى كاد ان يموت لكثرة ازدحامهم فالزم نفسه ان لا يخرج من داره فلزمها حتى مات .

(ذكر موته رحمه الله .)

(قال) : توفي يوم السبت للنصف من رمضان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وأوصى ان لا يعلم بخبره حتى تخرج جنازته ، فلم يكن يصل إلى القبر الا بعد المغرب بجهد جهيد ، وسنه ثمان وثمانون سنة ودفن بباب ابي الربيع ، (قلت) : وانما أوصى بما ذكر لثلاثي بيعة له الامير كفنا وحنوظا وهو لا يريد ذلك رحمه الله .

## ٢١٧ ● ومنهم أبو مالك سعد ابن مالك الدباغ الصوفي رحمه الله تعالى

(قال) : كان من العلماء بالله العارفين به ذا امانة وصدق وتواضع مع فهم دقيق في القرآن واشارة لطيفة في الحقيقة وكان دينوري (74) المغرب قال ابو عبد الرحمان محمد السلمي في كتاب تاريخ الصوفية : ابو مالك الدباغ من اهل القيروان ، صحب ابا سعيد الخراز - وكان استاذه - ولم يكن يطاوقه احد في علم الحقيقة ، وكان ابو محمد بن التبان يجله ويحمله ويتحرك له اذا اراد الانصراف ، وكان يقول لابي محمد : ما اتيتك الا مسودعا لاني قد بلغت امنيتي من العمر اربعا وثمانين سنة ، وزاد عليها بعد ذلك ثلاثا وكان الغالب عليه الاجلال والتعظيم للحق

(74) لعله يشير الى ابي حنيفة الدينوري المؤرخ المفسر المهندس من نوابغ الدهر قالوا عنه انه جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب توفي سنة 282 هـ .

تعالى شاهده الوقار والهيبة وكان يتكلم على الحقيقة - بشرط الاتباع والديانة -  
كلام عقل وصيانة قال ابو سعيد خلف الزويبي دخلت على ابي مالك الدباغ وهو  
يجود بنفسه فقال لي قل :

وما راعني الا الرحيل وذكره وقد هتف الحادي سلام عليكم

فقلتها وعيناه تدرقان ، ومات آخر نهار ذلك اليوم ، وذلك سنة احدى  
وستين وثلاثمائة ودفن بباب نافع رحمة الله عليه .

## ٢١٨ ● ومنهم أبو القاسم زياد ابن يونس اليحصبي السدري

(قال) : سمع من موسى بن عبد الرحمان القطان ودحمان بن المعافى وابي  
الغصن السوسي ومحمد بن عبادة ، وكان يحدث بالاجازة عن عيسى بن مسكين  
وغيره ، وسمع بمصر من محمد بن الربيع الجربري واحمد بن مروان وابن رمضان ،  
واحتاج الناس اليه فسمع منه أهل افريقية وطرابلس والاندلس ومنه اخذ ابو الحسن  
القاسبي وكان عالما فقيها من ابي المشايخ وانورهم وجها واحسنهم بهجة ،  
وكان من الصلحاء وذوي الحجا والنهي ثقة كثير الكتب عارفا بالرجال ، طلب  
للقضاء فامتنع ، وهو اول من ادخل كتاب محمد بن الموزان افريقية وكان ينشد :

لم يبق مما فاتني كسبه الا اخ يسلم لي قلبه  
ينادي فلا يفسده نايه عني ولا يصلحه قربه  
يكون حسبي من جميع الوري في كل حال وانا حسبه

توفى يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة احدى وستين  
وثلاثمائة - ومولده سنة اثنتين وثمانين ومائتين - وصلى عليه عبد الله بن هاشم  
القاضي ودفن بباب ابي الربيع رحمة الله عليه .

## ٢١٩ ● ومنهم جعفر ابن نصيف رحمه الله ورضى عنه

(قال) : كان من اهل العلم والحديث يختم القرآن على اقدامه بوجهه آثار من كثرة السجود قد كسي وجهه نورا من قيام الليل ، توفي في اليوم الثامن من شوال سنة احدى وستين وثلاثمائة ودفن بباب سلم على قارعة الطريق خلف المصلي مع صهره ابن محرز (75) واحمد ابن عبد الرحمن القصري رحمهم الله تعالى .

## ٢٢٠ ● ومنهم أبو الحسن ابن نصر الزعفراني رحمه الله

(قال) : كان جامعا لخصال كثيرة من الخير منها العلم والتعبد ومحبة الصالحين والعلماء وأهل الورع وكانت له آثار جميلة وهيئة حسنة توفي يوم الثلاثاء ودفن يوم الاربعاء ضحي يوم الاضحى سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ودفن بباب سلم - وهو ابن اربع وسبعين سنة - رحمة الله عليه .

## ٢٢١ ● ومنهم أبو محمد عبد الله ابن هاشم بن مسرور القاضي

(قال) : كان من أهل العلم والعمل والتشف والايثار والصدقة والمجاهدة وحسن المعاملة ، أودى في الله فصبر ونصر الاسلام والمسلمين فشكر ، وكان كثير الصدقات وصلة أهل البيوتات ، روي انه وصل أبا ابراهيم بن ابي مسلم بنحو سبعمائة دينار ، وكان يعطي في كل جمعة المائة من الدراهم للضعفاء والفقراء ، وكانت له عبادة يختم القرآن على اقدامه ، وله حظ من التهجد والبكاء ، قال ابو الحسن الزعفراني جاء القاضي عبد الله بن هاشم لمسجدنا ليلة فقال أردت أن أبيت الليلة ها هنا ، فأردت ان أبيت معه فاي ، فجعلت صاحبا لنا يقال له احمد المؤدب يبيت معه ، فلما كان آخر الليل دخلت المسجد فوجدت القاضي قائما



يصلي ، فسألت المؤدب عنه فقال لي مازال قائما منذ تركته الى الآن في ذلك المسكان ، ولقد ختم القرآن في هذه الليلة ختمتين ونصفا الى طلوع الفجر ، قال ابو الحسن ورأيت بمسجدنا نورا يزهر وما حوله من الازقة مملوءة ناسا ، واذا بمروان العابد في جملتهم ، فقلت ما بال الناس اجتمعوا الينا ؟ فقال : او ما عندكم خير ؟ قلنا لا ، قال : فان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى اليوم في مسجدكم ، قلت : في أي موضع منه ؟ فأشار الى الموضع الذي كان يصلي فيه القاضي - فيما بين القبلة والغرب - توفي يوم الاثنين لست بقين من شعبان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وصلى عليه ولده القاضي محمد ، ودفن بباب سلم وقبره مشهور ، (قلت) : وعند راسه لوح من رخام فيه مكتوب اسمه واسم والده وتاريخ وفاته وغير ذلك بخط حسن ما عندنا يجابين القيروان مثله ، ومكتوب من الجهتين ، والذي في هذه في هذه ، فقلت : لشيخنا ابي الفضل البرزلي - ونحن عند قبره - : وقع في نفسي انهم انما فعلوا ذلك لعزته عندهم خوفا ان يسقط اللوح على احدى الجهتين فيعتقد من يأتي بعد انه لا كتب فيه فيردم ويدثر قبره كما دثر كثير من قبور المشيخة لعدم الكتب عليهم .

## ٢٢٢ ● ومنهم أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الحشني

تفقه بالقيروان على احمد بن نصر وابي بكر بن اللباد وابي الفضل عباس الممسي وغيرهم ، وقدم الاندلس - حدثا - سنة احدى عشرة ، وقيل سنة اثنتي عشرة ، فسمع من ابن ايمن وقاسم بن اصبغ واحمد بن زياد والحسن بن سعد واحمد بن عبادة الرعيبي ، واستوطن بعد ذلك قرطبة ، ودخل سبته قبل العشرين وثلاثمائة فحبسه اهلها عندهم وتفقه عليه قوم منهم ، وذكر ابن فروخ الجياني - في تاريخه - انه حقق قبلة جامعهم اذ ذاك فوجد فيها تحريفا فامثلوا رأيه وشرقوها ، ثم دخل الاندلس وتكرّر في كور الثغور فاستقر آخرها بقرطبة وولاه الحكم

المواريث بجيانه (76) وولي الشورى بقرطبة وتمكن من ولي عهدا الحكم ، والف له تأليف حسنة ، منها كتابه في الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك ، وكتابه في تاريخ علماء الاندلس ، وتاريخ قضاة الاندلس ، وتاريخ الافريقيين ، قال ابن الفرضي : بلغني انه الف مائة ديوان وكان حكيما يعمل الادهان ويتصرف في الاعمال اللطيفة شاعرا بليغا - الا انه يلحن - وآلت به الحال - بعد موت الحكم وتقصير ابن ابي عامر في صنایع الحكم - الى الجلوس في حانوت لبيع الادهان ، (قلت) : بلغني عن شيخنا ابي مهدي عيسى بن احمد الغبريني رحمه الله انه قال : حسدوه لمكانه من العلم فلم يقدموه في خطة تقوم به ، فاحتاج لصناعته قال ابن الفرضي وكان يتعاطى صناعة الكيمياء ، (قلت) : وظاهر هذا يقتضي انه يتفق من دراهمها ونقله عياض والعواني وسكتا ، وأخذ بعضهم جواز فعلها من قول المدونة في كتاب الصرف ، حيث قال : يفهم من قولها ذهبُ العمل ، اي ذهب الكيمياء ، وليس بصواب وانما قصد بذلك لاستعمال الناس له لرخصه ، وقيل لانه يتأتى منه الصياغة بخلاف الابريز لانه لا ينكسر على ما يزعم الصناع ، مع ان اصول المذهب تدل على تحريمها ، قال الشيخ ابو محمد في رسالته ، ولا يجوز في البيوع التدليس ، ولا الغش ، ولا الخلافة ، ولا ان يكتن من امر سلعته ما اذا ذكره كرهه المبتاع او كان ذكره ابخس له في الثمن ، فأخذ منه بعض المغاربة ان عملها لا يجوز لان من يدفع له من ذهبها شيء لو علمه ما قبله ، ولا يمكنه ان يبينه لكونه يخاف على نفسه من السلطان ، قال شيخنا ابو عبد الله محمد ابن عرفة وايضا فانه لا يقدر على وجوب المواساة وارتضاه شيخنا ابو الفضل البرزلي واجبته بانه يواسي من يامن منه على نفسه ويسقط ما زاد فلم يقبله ، قال شيخنا ابو مهدي عيسى الغبريني رحمه الله وايضا فصيرورتها لاصلها وان بعد امدها وقد كان رجل من اصحاب المازري يطلب تعليمها فسافر بقصد ذلك ثم جاء بدنيا وافرة واتى بشيء من صنعته فامر المازري باستخباره فنظره اهل المعرفة فكل

من رآه يقول طيب فقال : ابقى احد ممن يعرف الطيب ؟ فقالوا نعم فلان وقد لزم داره من كبر سنه فقال : اسالوه فسألوه فعرفهم بما يختبر به ذلك فقال الامر لتلاشيها فأمر ان يتصدق بما اكتسبه من السلع وغيرها منها ، وفيما ذكره نظر ! وقد وجد في تركة ابي عمران الفاسي الكبريت الاحمر واشتراه السلطان المعز بن باديس امير افريقية فرده لبيت المال ! فهذا مما يدل على انه ليس كل كيميائ ترجع الى أصلها والله أعلم ، فلو كانت كل كيميائ ترجع الى اصلها لما امر المازري باختيار ما صنع منها ، وكذلك سمعت من شيخنا ابي محمد عبد الله الشيببي انه لما مات ابو محمد عبد الله بن ابي زيد وجد في تركته آلتها ولكن وجود ما ذكر مما وجد في تركة ابي عمران عزيز الوجود فالصواب الجزم بحرمتها ، وسئل شيخنا ابو محمد المذكور ايجوز البحث عن عمل الكيمياء والنفقة على طلبها ؟ - على ان الاصابة فيها في حكم النادر - وهل يؤجر على النفقة وعلى نصبه وتعبه ام لا؟ وهل يسوغ اطلاق اللفظ بالسكنانية عن فائدتها بالماء الالاهي ؟ ام هذا اللفظ موهم لا يحل النطق به ؟ فأجاب : الذي يظهر لي ان طلب ذلك من السفه والنفقة عليه من اضاءة المال لعدم الاصابة في ذلك ، والله اعلم . ومثل ذلك سمعت من شيخنا ابي عبد الله محمد السكوني مفتي تونس - وذكره عن والده ، واما ما ذكرتم من تسميتها فان كان قصد قائل هذا كما يقال سررباني وسر الاهي وعطاء رباني فذلك جائز ، لنسبتها الى الله تعالى ، اذ لا فاعل الا هو تعالى وتوفى ابن حارث بقرطبة لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة اربع وستين وثلاثمائة - في نقل ابن عفيف - وقال ابن الفرضي سنة احدى وستين ولم يذكره الشيخ الدباغ كما لم يذكر ابا محمد مكّي ابن ابي طالب وشيخه ابا محمد عبد السلام بن عبد الغالب المسراتي وغيرها فترك جماعة كثيرة تواترت عنهم الاخبار بالصفات الجليلة والافعال الجميلة وذكر من هو دونهم في الشهرة او مثلهم او قريبا منهم وسبق الى الاعتراض بهذا عليه ابو اسحاق ابراهيم العواني رحمه الله تعالى .

## ٢٢٢ ● ومنهم أبو القاسم ابن سعيد العابد قريب أحمد ابن نصر من أهل القرآن والتهدد

(قال) : ابو بكر بن عمر : حج ابو القاسم اربعين حجة واعتمر الف عمرة واقام يخدم قبر ابراهيم الخليل سنة كاملة ، قال ابو بكر : صحبتته وشاهدته فكان يوثر الفقر ويكتمه ويصبر على مرارته ، وساح في الجبال ودخل جبل اللكام (77) ورأى فيه الابدال وتعبد في الغيران ، وكان حصورا لا يأتي النساء ، وقال ابو بكر عتيق بن خلف التجيبي : اخبرني ابو القاسم قريب احمد بن نصر قال : مررت في يوم شديد الحر بالحجاز واذا بشيخ جالس تحت ام غيلان (78) فسلمت عليه فرد علي السلام ، قلت : ما اقعذك ها هنا ؟ قال : اطلب العيش ! قلت : ليس موضعه ها هنا ان اردت العيش فعليك بالارياف ! فقال لي : أخطأت الطريق ، قلت : وما العيش عندك ؟ قال : ان تكون جالسا ليس فيك جارحة الا وهي متعلقة بالله تعالى ! قال ابو القاسم اشتهيت اسفنجة بعسل فاقت سنة وقد تاقت نفسي اليها ، فمررت بسماط القيروان واذا بشاب جالس على بابه ، فلما رأني سلم عليّ وقال : احب ان تدخل عندي ، فدخلت وقدم اليّ اسفنجة وعسلا جلوليا (79) ابيض في مثرود فاكلت حتى تملّيت ، ثم طيّبني وخرجت من عنده وانا والله ما اعرفه ، فمررت بصبي يلعب برفع بصره اليّ وقال : يا عم سبحان من وجود بالنعيم على من يستحق النقم ! وتوفى ابو القاسم سنة ست وستين وثلاثمائة وصلى عليه ابو بكر الزويلي ودفن بالرمادية الى جانب احمد بن نصر الفقيه رحمهم الله اجمعين .

(77) هو جبل لبنان وكان مقصودا للسائحين من الصلحاء .

(78) شجرة صحراوية .

(79) الظاهر انه منسوب الى جلولا من مدن افريقية المنذرة .

## ٢٢٤ ● ومنهم ابو السرا (\*) واصل ابن عبد الله العابد رحمه الله

(قال) : كان من اهل الفقر والتقشف والجد والاجتهاد ولزوم الاسفار والتغرب عن الاوطان ، وكان يايي الى مسجد السدرة بالقيروان يركع ويسجد فيه الى صلاة العصر ، فاذا قيل له ارفق بنفسك قال : انا رجل مطالب مديان ، انشد بعض القراء وهو جالس هذه الابيات .

كأن رقيباً منك يرعى خواطري	وآخر يرعى ناظري ولساني
فما نظرت عيناى بعدك منظراً	يسوءك الا قلت قد رمقاني
ولا خطرت فى السر دونك خطرة	لغيرك الاعرجا بعناني
واخوان صدق قد سمعت حديثهم	فامسكت عنهم ناظري ولساني
وما - الدهر - اسلو عنهم غير انني	وجدتك مشهودي بكل مكان

فبكي وصاح وفارق الدنيا ، توفى سنة سبع وستين وثلاثمائة ودفن بباب سلم خلف مروان العابد رحمه الله .

## ٢٢٥ ● ومنهم أبو بكر هبة الله بن مجمل ابن أبي عقبة (\*\*\*) التميمي

(قال) : قرا على جبلة بن حمود واخذ الناس عنه المدونة والمختلطة والموطا (قلت) : منهم ابو سعيد خلف بن بلقاسم الازدي المعروف بالبراذعي اخذ عنه المدونة (قال) : كان من اهل العلم والتقوى والتعبد والصدقة والايتار ثقة صحيح

(\*) فى ق : السرى بفتح السين وياء النسبة وفى م أبو السر بالضم واللف اللين ويظهر ان الثانى أصوب لانهم يقصدون الى علاقة فى الكنية وهى هنا بالنسبة لواصل فى السرا لا فى السراوة .

(\*\*) زيادة فى ق : العطار .

الكتب بساما بالنهار بكاء بالليل حزين القلب من اورع المشايخ واحسنهم استقامة واحد وقته في فنه وطريقته ، وله فضائل جميلة وآثار مستفيضة ، قال ابو بكر ابن عبد الرحمان حدثني من اتق به انه قال : حججت سنة من السنين فانا عند البيت واذا بانسان يطوف بالبيت ويقول يا رب افعل بابن عقبة كذا وكذا فاقبل يدعو له دعاء عظيما ، فقلت له : ما فعل بك ؟ فقال كنت رجلا فقيرا وكانت عندي زوجة وعيال ، فقدر ان ولدت زوجتي وليس في الدار غطاء ولا وطاء ، فخرجت من داري وانا تحت حيرة ، فمررت بمسجد ابي بكر ابن بي عقبة فالفينه خارجا من المسجد فسلمت عليه فرد علي السلام ثم اخذت بيده وقلت له : اصلحك الله احب ان تمضي معي الى الدار ؟ فقال نعم وكرامة ، فتوجهت به وبدي في يده فادخلته الدار فوجد المولود ملقى على الارض ! فاقبل الشيخ ابو بكر على البكاء فقال هذا وانا في الدنيا حي ! فتوجه في الوقت الى داره فاتي بأكسية وغطاء ووطاء وخبز ولحم وحب وقمح واوقد النار بيده وقطع اللحم وشواه واقبل يلقم الاطفال بيده وهو يبكي ، فلما شعوا مد يده الى اربعين دينارا عينا فقال لي : خذ هذه فوسع بها على نفسك وعلى اولادك ! فاخذتها منه ثم خرج ، فلما كان بعد ذلك وجه ورائي وقال هل تعودت السفر والتجارة ؟ فقلت نعم فمد يده الى مائة دينار ودفعتها لي وقال : خذ هذه البضاعة واخرج بها الى مصر لعل الله تعالى يفتح فيها بخير منها ، فخرجت بها فربحت ، فقلت له مالك فقال وكأنتي انما دفعتها لك لآخذها منك ؟ انا بحمد الله غني عنها ، فأنا اتقلب فيها الى الساعة ، وروي ان الشيخ ابا الفضل الغدامسي اقام نحو من عشرين سنة يشتهي الغسانية (80) فقال يوما لخادمه : خذ هذين الدينارين فاشتر لنا بهما - من سوسة - عسلا وسميدا وزعفرانا وحوائح الغسانية فاني ورثتهما (81) من امي وانا لا آكل شهوتي دون اهل القصر - يعني

(80) لون من الطعام اندثر الان .

(81) اي الدينارين .

قصر ابي الجعد - بالمنستير ، ففعل الخادم ذلك ، ووضع الغسانية فلما كملت لم يبق صحيفة لاحد من اهل الرباط الا وقد جعل سهمه فيها وصحفته بينهم ، فلما صارت كل صحيفة لصاحبها نسي بينهم شيخا صالحا لم يوجه له ، فقال لخادمه اذهب اليه بسهمي في هذه الصحيفة ؟ فقال انا امضى اليه بسهمي في هذه الصحيفة وتاكل انت سهمك فانت لك مدة تشتهيها ! فقال لا افعل ! فقال وانا امضي بسهمي وسهمك ان شئت ، فقال افعل ! فمضى بهما معا فلقني غلاما لابي بكر هبة الله بن ابي عقبة اقبل من القيروان وعلى عاتقه خراج مملوء بالغسانية وانواع الحلويات وانواع الكعك ! فقال له قال لي مولاي : ان انت اوصلت هذا الخراج الى ابي الفضل فانت حر لوجه الله وزوجتك وبنوك ، فوضع الخراج بين يديه وعاد الى مولاه ، ونقلت الكافة عن الكافة ان ابا بكر بن ابي عقبة هذا لما خرج الى الحج مات جملة وفاته اصحابه ، فحمل زاده على رقبته واذا بجمل يقول له احمل زادك علي ! فقال له ما يحل لي ! ظهرك لمولاك ، فقال له : احمله على رقبتي قال له لا يحل لي ، فقال له الجمل رقبتي ليست لمولاي ولا له عليها حمل ، قال لا يجوز لي تثقيبك ، واذا برجل قد اخذ الزاد من على ظهر ابن ابي عقبة وسار به حتى اوصله الى بطحاء مكة (82) ، توفي ليلة الجمعة الثامن عشر من المحرم سنة تسع وستين وثلاثمائة - صلى عليه القاضي محمد بن عبد الله بن هاشم - وهو ابن ست وثمانين سنة ودفن بباب سلم قرب شقران وابي ميسرة ومروان العابد وعبد الله بن مسرور الحجام

(قلت) : وقبره مزار معروف قال الشيخ ابو الحسن القابسي : حكى لي من اثنى به انه راي على نعش ابي بكر بن ابي عقبة طيرا ابيض يرفرف عليه من داره الى ان انزل في قبره ، وقال ابو بكر التجيبي : نعي الينا ابو بكر بن ابي عقبة وانا بمصر فرايت ابا بكر النعالي و ابا القاسم ابن الجوهرى وابن ابي الشريف والحسن (83)

(82) من هذه القصة سمي مسجده بجامع مكلّم الجمل كما يؤخذ من تعليق في ك

(83) في ق : وأبا الحسن .

ابن علي بن شعبان ففهاء القسوط لما بلغهم موته استرجعوا وتوجعوا لمصابه وذكروا فضله واخلقه ، (قلت) : العجب من عياض كيف غفل عن هذا الشيخ وامثاله كالشيخ ابي القاسم ابن شبلون وعبد الله بن هاشم ووالده هاشم ، ولما قرىء على شيخنا ابي الفضل البرزلي قول الشيخ ابي سعيد البراذعي في خطبته (84) قال : وصححتها على ابي بكر بن ابي عقبة عن جبلة بن حمود عن سحنون فعرف بابي سعيد وبجبلة وسحنون (قال) : واما هبة الله فلم يذكره عياض ولا اعرف من عرف به ، فقلت له : ذكره الدباغ وذكرت له ما تقدم من اعطائه لذلك الرجل ما تقدم وما نقلته الكافة عن الكافة باختصار فامرني ان اوقفه على ذلك فاوقفته عليه وامسكته اياه واعطاني اياه ، فيغلب على الظن انه نسخ ذلك والله اعلم .

## ٢٢٦ ● ومنهم أبو محمد عبد الله ابن اسحاق ابن التبان رحمه الله

قد تقدم انه قرأ على الشيخ ابي بكر ابن اللباد وذكر عنه انه قال : كنت اول ابتدائي ادرس الليل كله فكانت امي تنهاني عن القراءة بالليل ، فكنت آخذ المصباح واجعله تحت الجفنة واتعمد النوم فاذا رقدت اخرجت المصباح واقبلت على الدرس ، وكان كثير الدرس ذكر انه درس المدونة الف مرة ! وقال قال لي ابي ذات يوم : يا بني ما يكون منك ؟ لا تعرف صنعة واشتغلت بالعلم ولا شيء هنالك ! فلما كانت ليلة سمعته يقول لوالدتي : عرفت اليوم اني عرفت بابني ! وذلك اني حضرت املاكا (85) في مسجد سماه فوجدته مملوءا بالناس ولم اجد مجلسا فقام لي رجل من مجلسه واجلسني فيه ، فساله انسان عني ؟ فقال له اسكت هذا والد الشيخ ابي محمد ! وقال آخر : خرج والد الشيخ ابي محمد بن التبان

(84) زاد في ق : في التهذيب - أي تهذيب المدونة للبراذعي - .

(85) جعله مراكنة على النكاح .



يوما من مسجد السبت فزلق في طين فبادر اليه رجل واخذ بيده وقال لصاحبه هذا والد الشيخ ابي محمد الفقيه ، فرجع وحرص ابنه على طلب العلم والتزم القيام بشانه من يومئذ .

( ذكر ثناء العلماء عليه )

(قال) : كان من العلماء الراسخين والفقهاء المبرزين ضربت اليه اكباد الابل من الامصار لعلمه بالذنب على مذهب اهل السنة وكان فصيح اللسان رقيق القلب غزير الدمعة ، وله علوم شتى منها علوم القرآن والفقہ والرقائق والنحو واللغة والنجوم والطب والشعر الرقيق وله مع ذلك ورع شديد (قلت) : زاد غيره وكان مستجاب الدعاء ، وقال ابو العباس الابياني : يكاد ان كل شعرة في جسده تنطق بالحكمة وسيكون له في الفقه باع .

( ذكر ما يدل على كمال فضله وورعه )

قال الاجنادبي : رأى أبو محمد بن التبان رب العزة في النوم فقال له يا عبدي تكون في المغرب فتن كقطع الليل المظلم لا ينجو منها الا من بسوسة والمنستير وما والاها ، فكان اذا حدث بالقيروان امر فر ابو محمد بن التبان الى سوسة أو المنستير حتى ينكشف ذلك الامر ، وكان يقرأ لآخوانه ميحادا في الرقائق فقطعه اياما فعاتبوه في ذلك فاعتذر فضيقوا عليه فقال : اذا كان غد تاتوني ان شاء الله فاتوه من الغد وبين يديه شيء مغطى فقال لهم : اكشفوه ، فوجدوا طبقين صغيرين احدهما مملوء دنائير والاخر مملوء دراهم فقال لهم : هذا منعني لان من ملك من الدنيا هذا يقبح به ان يزهد الناس فيها فيدخل في ذم الله عز وجل (أأمرون الناس بالبروتسون انفسكم الاية) (قال) : وذكر عبد الحق بن هرون الصقلي في كتابه : ان ابا محمد بن التبان وقعت يده على ساق ابنته وهو يظنها انها زوجته ففارق الزوجة ام البنت ورأى انها حرمت عايه بهذا القدر وكان يفتي بذلك وهذا غاية الورع ، (قلت) ما ذكره من قوله : وهذا غاية الورع فيه نظر لانه

لا يكون غاية الورع الا لو كان يفتي بعدم التحريم لغيره وياخذ هو - في خاصة نفسه - بالتحريم عملا بقول غيره ليخرج من الخلاف ، هذا الذي يقال فيه وهذا غاية الورع ، وما ذكر من تحريمها عليه به قال اكثر القرويين ، وقيل ان لمسه وان التذ بذلك لا اثر له قاله ابو القاسم الطاشي وابو سعيد بن اخي هشام وابو القاسم بن شبلون وابو محمد بن ابي زيد - في احد قوليه - وهو مقتضى قول سحنون واختاره الشيخ ابو القاسم بن محرز والى تاليفا فيه ، واختاره المازري ايضا والى فيه تاليفا ، واعتمد على تاليف ابن محرز وسماه كشف الغطاء عن لمس الخطا ، وراى الشيخ ابو الحسن القاسبي وابو عمران القاسبي ان الاجتناب في ذلك على طريق الاستحباب لا على الاجبار وهو مذهب ابي الطيب عبد المنعم فانه امر بالفراق وتوقف في الاجبار ، وكل هذا الخلاف انما هو اذا التذ بقلبه ، وذهب بعض الصقليين الى ان لمس البنت ينشر الحرمة وان لم يلتذ اذا كان اصل لمسه اللذة ، قال المازري وهو ضعيف لا يتخرج على اصل ، وما ذكره فيه نظر بل اصله نقض الطهارة به وان كانت الطهارة ايسر .

( ذكر ما يدل على حفظه وحسن مناظرته )

(قال) : وروى انه خرج مرة الى المنستير فخرج اليه اهل البوادي والقرى والمهدية وسوسة والحصون يسالونه عن نوازلهم ، فسالوه الى وقت الظهر ، فاعلق بابه ثم قال لمن كان معه افيتت اليوم في الف مسألة (قلت) : وهذا غاية الحفظ لجوابه عن هذا العدد لحضري وبادوي اشارة منه لمسائل صعبة وسهلة ولم يقل في واحدة منها لا ادري وفي زماننا اليوم يصنع مثل هذا شيخنا ابو الفضل البرزلي لا ثاني له في سائر بلاد افريقية ولذلك كان هو المفتي الاكبر بالحضرة العلية في بلد السلطان مدينة تونس وعليه المعول (قال) : وروى ان نصرانيا وفد على عبد الله ابن محمد الكاتب صاحب القيروان - وكان النصراني راسا في مذهبه - فبعث عبد الله الكاتب الى ابي محمد عبد الله بن التبان لينظره ، فلما جلس معه مجلس

المناظرة قال ابو محمد بن التبان لعبد الله الكاتب : ان اخترت ان اطيل معه اطلت والا اوجزت فقال له اوجز فقال ابو محمد لترجمانه قل له انتم تعتقدون ثلاثة ؟ قال نعم ! فقال له اخبرني : الواحد مفتقر الى اثنين او مستغن عنهما ؟ فضرب النصراني على وجهه واطرق وعليه كآبة الانقطاع .

(ذكر اخباره مع بني عبيد وحسن مقامه في الدين)

كان ابو محمد بن التبان شديد البغض لهم ، قال بعض اصحابه كنت معه يوما بالمنستير في يوم عاشوراء ، فلما راي جمعهم بكى فقيلا له ما بيكيك فقال والله ما اخشى عليهم من الذنوب لان مولاهم كريم وانما اخشى عليهم ان يشكوا في كفر بني عبيد فيدخلوا النار ، (قال) : وكان في زمانه مثل ابي عثمان الحداد (قلت) : كان عبد الله المعروف بالمختال صاحب القيروان شدد في طلب العلماء ليشركهم ، (86) فطلب الشيخ ابا سعيد بن اخي هشام ، و ابا محمد بن التبان و ابا القاسم بن شبلون و ابا محمد بن ابي زيد و ابا الحسن القاسبي فاجتمعوا في مسجد ابن العجم - وسمعت شيخنا ابا الفضل البرزلي ينقل غير ما مرة ان اجتماعهم كان بدار ابي محمد بن ابي زيد - فقال لهم ابن التبان : انا امضي اليه واكفيكم مؤونة الاجتماع به ويكون كل واحد منكم في داره ، - ويقال انهم ارادوا المسير اليه فقال لهم : انا امضي اليه ابيع روحي من الله دونكم ، لأنه ان أتى عليكم وقع على الاسلام وهن ، ويقال أنه قال لعبد الله هذا لما دخل عليه : جئتك من قوم ايمانهم مثل الجبال أقلهم يقينا أنا ، فحدث بعض من حضر قال كنت مع عبد الله - وقد احتفل مجلسه باصحابه وفيهم الداعيان ابو طالب و ابو عبد الله لعنهما الله - وقد وجه في (87) ابن التبان فاذا به داخل وعينه تتوقدان كأنهما عينا شجاع (88) فدخل وسلم ، وقال له : ابطات

(86) المراد فيما يظهر : ليحملهم على مذهب المشاركة - وهو التشيع - .

(87) أي في طلب ابن التبان .

(88) ثعبان عظيم .

عنا يا ابا محمد ! فقال في شغلك كنت الفت كتابا في فضائل اهل البيت اتاني به  
 المسفر - (89) واخرجه من كفه ودفعه اليه - فقال له يا ابا محمد ناظر هؤلاء الدعاة،  
 قال بماذا ؟ قال في فضائل اهل البيت ! فقال لهما ما تحفظان في ذلك ؟ فقال له  
 ابو طالب انا احفظ حديثان (ولحن) ثم سال الاخر فقال له وانا احفظ حديثان ايضا ،  
 فقال له هذان الحديثان اللذان تحفظهما انت هما الحديثان اللذان يحفظهما هذا ؟ قال نعم ،  
 قال : هما يحفظان حديثان - ونطق بلحنيهما - وانا احفظ من ذلك تسعين حديثا :  
 فالاولى بهما الرجوع الي ، ثم قال عبد الله : يا ابا محمد من افضل ابو بكر او علي ؟  
 قال ليس هذا موضة ، فقال لا بد ! قال ابو بكر افضل من علي ، فقال عبد الله :  
 يكون ابو بكر افضل من خمسة جبريل سادسهم ؟ (90) فقال ابو محمد يكون علي  
 افضل من اثنين الله ثالثهما ؟ (91) اقول لك ما بين اللوحين (92) وتقول لي اخبار  
 الاحاد ؟ فضايق عبد الله فقال : من افضل عايشة او فاطمة فقال احد (93) من سؤالك  
 اولاً ! فقال لا بد فقال عائشة وسائر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم افضل من  
 فاطمة ، قال فمن اين ؟ فقال قال الله تعالى : (يا نساء النبي لستن كاحد من النساء)  
 فقام اليه بعض الدعاة فقال له : ايما افضل امراة ابوها رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وامها خديجة الكبرى وزوجها علي بن ابي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم وولداها الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة او امراة امها رومان وابوها

(89) في ق : المسير وكلا الوجهين خطأ والصواب ، والله اعلم ، الميسر بتقديم الياء  
 بمعنى يسره الله وانما استدرجه لهذا الموضوع ليبعده عن مسائل الخلاف فلما  
 أبى الا اياها قال فيها كلمة حق كما يأتي .

(90) يشير الى حديث العباء المعروف .

(91) يشير الى آية الهجرة لقوله تعالى : ( اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا )  
 سورة التوبة .

(92) المصحف .

(93) كذا في جميع النسخ والاقرب في تصويبه : ( ابك ) اي هل لك يد من هذا  
 السؤال بدليل جوابه بلا بدا اي لا محيد عنه انظر المصباح .

عبد الله بن ابي قحافة؟ فقال ابو محمد أيما افضل عندك امرأة اذا طلقها زوجها او مات عنها تزوجت عشرين زوجا او امرأة اذا مات عنها زوجها او طلقها لم تحل لمسلم؟ فسكت، وما زلت اسمع من شيخنا ابي الفضل البرزلي يتقل - غير ما مرة - انه قال لهم: الجواب عن ذلك من عشرة اوجه، أحدها ما تقدم، الثاني ان عائشة رضي الله عنها مع النبي صلى الله عليه وسلم في درجته، وفاطمة مع علي بن ابي طالب في درجته، ودرجة علي لا تساوي درجة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه سرد عليهم بقية الاجوبة! فيحكى أن عبد الله قال له: يا ابا محمد انت شيخ المدنيين ادخل العهد واخذ البيعة، فعتف عليه ابو محمد وقال له شيخ له ستون سنة يعرف حلال الله وحرامه، ويرد على اثنتين وسبعين فرقة، يقال له هذا؟ لو نشرنتي في اثنتين ما فارقت مذهب مالك! فلم يعارضه، وقال لمن حوله: امضوا معه، وخرجوا - ومعهم سيوف مصلته - فمر بجماعة من الناس ممن حضر لاخذ الدعوة وقال لهم: تثبتوا ليس بينكم وبين الله الا الاسلام فان فارقتموه هلكتم، فترك عبد الله بقية الشيوخ، (94) واعجابه! هكذا يكون الذب عن الدين، ولما كان القوم الاصل عندهم حفظ دينهم والدنيا عندهم كالعدم ابتلوا - رضي الله عنهم - في دينهم فصبروا وقالوا لا نبرخ، (95) ونحن لما كانت الدنيا عندنا اكبر همنا اذا وقعت اذية من الغير انا انما نؤذى فيها خاصة .

(ذكر جملة من اخبازه)

قال ابو محمد بن التبان يوما: لا شيء افضل من العلم فبلغ خبره ابا اسحاق الجبنياني فقال: العمل به افضل، فلما بلغه كلامه قال: صدق: اذا لم يعمل

(94) الشيوخ المحضرون لتلقى الدعوة الشيعية - وقد تركوا عبد الله أى المختال السابق الذكر - بسبب هذه المقالة من المترجم .

(95) فى بقية النسخ: لا ابرح والمعنى على كل انهم يصمدون للمعارضة ولا يبرحون الموقف بينما المتأخرون متخاذلون فاذا اصاب الخواص لا يجدون نصيبا .

به صاحبه فهو وبال عليه واذا عمل به كان حجة له ونورا يوم القيامة ، وروي انه سار لزيارة ابي اسحاق الجبيني فلما قرب من جبينة هابه وقال أخشي ان يجري الله على لسانه شيئا يعز عليّ فنكون ممن عادي وليا من الاولياء الله تعالى فوجه اليه بالسلام وانصرف ، (قال) : وله كتب في النوازل ، وقال ابو محمد لو ان رجلا مر بارض مغصوبة وحضرت الصلاة وخاف ان صبر حتى يخرج منها ذهب الوقت صلى ولا اعادة عليه ، ولا ياكل منها بقلا ولا يشرب منها ماء ولا يتوضا الا من ضرورة - سواء كانت بها عين تجري او ماء مطر - وماء المطر اخف من ماء العيون ، (قلت) : ما ذكر من عدم اعادة الصلاة في الارض المغصوبة هو الصواب ، ويأتي خلافه عن ابي سعيد بن اخي هشام وابي بكر بن عبد الرحمان ويأتي الكلام عليه هناك باوفاي من هذا ان شاء الله تعالى (قال) : وقال ابو محمد بن التبان : اذا اشترى رجلان عنبا فاقسماه بالوزن فكان احد القسمين اطيب من الاخر جازت القسمة على التراضي واما بالسهم فلا ، وان اختلفا في الوزن واتفقا في الجودة لم يجز القسم بالتراضي ولا بالسهم (قلت) : وقال ابو محمد لبعض من تعلم عليه خذ من النحو ودع ، وخذ من الشعر وأقل ، وخذ من العلم (96) وأكثر ، فما اكثر احد من النحو الا احمقه ولا من الشعر الا اذله ولا من العلم الا شرفه ، وقال يوما - في انجرار كلام له - الاجماع على ان القاء المسائل بدعة فبلغ كلامه الشيخ ابا اسحاق السبائي فشق عليه (قلت) : القاء المسائل هو كون الناس يجتمعون على رجل واحد يعلمهم العلم بتكلمه عليهم كما تقدم ان ابا محمد عبد الله بن ابي زيد كان هو الملقى على الجماعة بدار الشيخ ابي اسحاق السبائي ، واذا كان هكذا فكان هذا في زمن الصحابة - يحلق الناس على عبد الله بن عباس وابي هريرة وغيرهما فكيف يقول الاجماع على انه بدعة؟ ولا اعرفه لغيره ولا لواحد، ولعل هذا هو معنى قوله شق على السبائي، اي

كيف يقول هذا وفعل الصحابة على خلافه ؟ وتقدم الخلاف بين ابن عبدوس وابن سحنون : هل يجوز ان يقول الانسان انا مؤمن ان شاء الله ام لا ؟ ثم وقع خلاف في زمن هذا الشيخ ، وهو هل يجوز ان يقول انا مؤمن عند الله ام لا ؟ فجوزه ابو محمد بن التبان وقال بقوله جماعة وخالفه ابو محمد بن ابي زيد وانكر عليه ذلك وقال انما يقال ان كانت سريرتك مثل علانيتك فانت مؤمن ووافقه على هذا اكثر القرويين .

(ذكر اجابة دعائه رضي الله عنه )

(قال) : ابو القاسم اللبيدي ذكر ابو محمد بالمنستير كراهة مالك بن انس الاجتماع على قراءة القرآن وان ذلك بدعة ! فقال له رجل كيف تقول ان قراءة القرآن بدعة ؟ فقال لم اقل هذا ، فخرج الرجل وصاح ان ابن التبان قال ان قراءة القرآن بدعة فزحف الناس من كل جهة منكرين هذا واتوا حججته ، فبين لهم فمَنهم من فهم ومنهم من لم يفهم ، ثم حول ابو محمد وجهه للسدي شنع عليه وقال له افجعت قلبي افجع الله قلبك افجعك الله بنفسك وولئك ومالك : فاجيبت دعوة الشيخ فيه فهوس ولده فكان من المجانين ، وذهب ماله ، وابتلى بداء البطن فكان منها موته ، وقبله عياض ، وفي دعائه بان يفجعه في نفسه وولده نظر لانه (97) لم يظلمه وانما يدعى على الغالم وحده ، وقد قال الشيخ شهاب الدين القرافي الدعاء عليه له احوال فذكر منها الدعاء عليه بذهاب ولده ونحوه منهى عنه لانه مما يتعلق به حق الغير ، ولما جرت له المسالة التي تكلم فيها في الايمان المتقدم ذكرها وخالفه فيها من تقدم ذكره وحدث بينه وبين بعضهم وحشة بسببها جعل موعدا للالتقاء ، فالتقى عليهم كتاب الوضوء فخالقوه في مسالة ، فقال لهم : اسمعوا ما اقول درست هذا الكتاب الف مرة ! فابوا

الإمخالفة فقام بهم الى داره فاخرج الكتاب واراهم المسألة كما قال ، ثم دعا على نفسه وقال : اللهم لا تقضي (98) علي حتى القي عليهم شيئا اللهم اقبضني اليك وارحني منهم فما اقام الا يسيرا حتى مات رحمة الله تعالى عليه (قلت) : في دعائه بالموت نظر والصواب انه لا يجوز الا اذا خاف على نفسه فتنة .

(ذكر موته رحمه الله تعالى)

(قال) : توفي ضحى يوم الاثنين الثاني عشر من جمادى الآخرة سنة احدى وسبعين وثلاثمائة ودفن بالرمادية وخرج الناس لجنائزه من ثلث الليل الاخير وقد ضاقت الشوارع والموارد حتى فاض الناس في الصحراء غداة يوم الثلاثاء ، (قلت) : وقبره غير ظاهر ، فجرت عادتني اذا وصلت الى ذلك المكان ون توسط المقبرة نادى بصوت عال (رحمك الله يا ابا محمد بن التبان) وغالب الحال لا يحفظ القبر الا الكتابة على مشهده ، ومع عدم الكتابة يكون مشهورا ثم يموت كثير من الخلق بوباء فلا يبقى الا من لا يعرف قبره ومع الكتابة وان جهله جاهل فياتي بعد من يجوز ذلك المشهد فاذا قرأه اعلم الغير بذلك فينشر معرفة الناس له ولقد قال لي اخي لابي ابو عبد الله محمد رحمه الله ونحن في الزيارة بجبانة باب سلم وهي الجبانة الغربية بمقربة من قبر الشيخ عتيق السوسي يا اخي انت تزعم انه لا احد اليوم بالقيروان اعرف منك بقبور مشيختنا فاين قبر سليمان بن عمران القاضي ؟ فقلت له قبره غير معروف ، فقال ان قبره وجدناه وهو الذي بين يديك ، فنظرت مشهده فاذا فيه مكتوب هذا قبر سليمان بن عمران القاضي توفي ليلة السبت لسبع بقين من صفر سنة سبع وسبعين ومائتين فاشتهرت معرفة قبره شهرة تامة .



## ● ٢٢٧ ومنهم أبو العباس تميم ابن أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم

(قال) : لقي عيسى بن مسكين واخذ حديثه عن ابيه ابي العرب ، وذكر انه لقي جبلة بن حمود واخذ عنه ، ولقي موسى بن عبد الرحمان واخذ عنه كتاب الامامة لمحمد بن سحنون واجاز له كتاب محمد ابن المواز ، ولقي حماس بن مروان وسمع منه كتاب ابن المعذل وكتاب انس بن عياض ، ولقي محمد بن عمر اخا يحيى بن عمر واخذ عنه الديمياطية والبرقية ومنتخباته ، وكان من اهل العلم والعبادة والتقشف والزهادة والورع والرقعة وسرد الصيام ، وكان شديد الورع . كان اذا اراد ان يطرّ داره (99) او سقوفه احتفر في وسط داره حفرة وطرّ من تراب الحفرة ، ويقول ان السلطان يغم على التراب ! وكان حائط حجرته من قصب ، فكان كلما خرج في الليل او دخل ينظر اليه ، فعوتب في ذلك فسد به بالقشور والصوف والخرق لتورعه عن التراب وغرمة لقبالة السلطان وكان غالب احواله الايثار والسخاء مات بمدينة سرت وهو متوجه الى مكة وذلك سنة احدى وسبعين وثلاثمائة ودفن هناك رحمه الله .

## ● ٢٢٨ ومنهم أبو محمد عبد الله (٥) ابن سعد الصايغ المعروف بابن التفاحي رحمه الله

(قال) : لقي جماعة من رجال سحنون منهم جبلة بن حمود ، وسمع منه الموطا واحاديث يسيرة (100) وكان شيخا متواضعا شديد الاتباع للسنة صلبا في الدين ثقة ، توفي في شعبان سنة سبعين وثلاثمائة وهو ابن تسع وثمانين سنة رحمه الله تعالى .

(99) يطر داره أى يجدد بناءها .

(٥) فى ق : أبو عبد الله محمد .

(100) فى ق : واحاديثه متبعا لسيرته .

## ٢٢٩ ● ومنهم أبو الازهر عبد الوارث ابن حسن بن احمد ابن معتب ابن أخي (\*) الازهر عبد الوارث

تقدم ذكر جده في اصحاب سحنون ، وصحب ابو الازهر ابا بكر بن اللباد وغيره ، قال كان من ائمة الدين والعلماء الراسخين ذا علم بارع ومعرفة بالاصول والفقه والقضاء والنوازل كثير التواضع حسن السمات ، وكان ابو محمد عبد الله ابن ابي زيد يقول : ما بافريقية افقه من ابي الازهر بن معتب وانما قطع به قلة دنياه (قال) : وكان عيشه من كتب الوثائق واراد عبد الله بن هاشم القاضي استكتاباه فاستشار ابا محمد عبد الله بن ابي زيد فرده عنه (101) فبلغ ذلك ابا الازهر فجلس بالقرب من درب السكة (102) فاذا خرجت مسألة من عند ابن ابي زيد كتب تحتها : الجواب غير هذا ، فضاق من ذلك ابن ابي زيد ووجه اليه معتذرا له وقال انما فعلت ذلك اجلالا لك اذ انت من شيوخنا ، (قال) : قال الشيخ ابو الحسن القابسي اختلف اصحابنا فيمن صلى بامراته المكتوبة هل يصلي تلك الصلاة في جماعة ؟ فقال ابو سعيد ابن اخي هشام وغيره لا يفعل وجعلوا صلاة الرجل مع زوجته جماعة ، وقال ابو الازهر لا باس بذلك (قال) : توفي سنة احدى وسبعين وثلاثمائة (قلت) : وقال غيره توفي سنة اثنتين وسبعين ويقال سنة ثمان وسبعين رحمه الله تعالى .

## ٢٣٠ ● ومنهم يونس ابن سليمان السقاء

(قال) : كان لسان اهل السنة في الرد على المخالفين من اهل البدع فصيح اللسان حلوا المناظرة حكى عبد الوارث الزاهد قال جمعني مجلس فيه مكى بن يوسف ويونس بن سليمان فغلبتني عيناي فرايت كان بين يدي مكى شجرة ورد لا يزال

(\*) فى ق : أبى الازهر .

(101) ق : فكره ذلك .

(102) ق : بالقرب من داره .

ينثر منها الورد ويسقط وشجرة ورد اخرى بين يدي يونس لا يسقط منها الا واحدة بعد واحدة ولما احتضر يونس غمض احدى عينيه بيده ثم فاضت نفسه فغمض بعض الحاضرين عينه الاخرى ، توفي سنة احدى وسبعين وثلاثمائة ودفن بالرمادية بازاء قبر ابي محمد بن التبان رحمه الله تعالى .

### ٢٣١ ● ومنهم أبو سعيد ابن أخي هشام الربعي الفقيه

(قال) : هو ابو سعيد خلف بن عمر بن اخي هشام (قلت) : كذا قال ابن الرقيق ، وقال ابو بكر المالكي : عثمان بن عمر ، وقال ابو عبد الله الخراط عثمان ابن خلف المعروف بابن اخي هشام الربعي الحنّاط ، قرا على احمد بن نصر - وعليه تفقه - وعلى ابي بكر بن اللباد وابي القاسم الطرزي وغيرهم ، وعليه تفقه اكثر القرويين .

(ذكر ثناء العلماء عليه)

(قال) : كان امام الزمان وواحد الفقهاء في عصره واعلمهم بمذاهب اهل المدينة - ما اختلف فيه وما اتفق عليه - وقال ابو القاسم بن شبلون ما أخذ على ابي سعيد مسألة واحدة خطأ قط وذلك لعلمه باختلاف العلماء ونوازل الاحكام والقضاة مع تواضع ورقة قلب وسرعة دعة وملاحظة اشارة وتقريب معنى وخلاص نية وجميل طوية (قلت) : وقال ابو بكر المالكي كان عارفا بعلم الفقهاء لم يكن في زمانه احفظا منه ، اختلط علم الحلال والحرام بلحمه ودمه وما اختلف الناس فيه وما اتفقوا عليه حافظا بارعا فراجا للكرب ، وما ذكره من اختلاف الناس يشمل الاربعة مذاهب واوسع من ذلك ، فهو اخص مما تقدم اولا من اعلمهم بمذاهب اهل المدينة ومساو لما قال ابن شبلون (قال) قال ابو محمد بن ابي زيد : سألني عبد الله بن محمد بن الكاتب صاحب البلد - من افقه اصحابكم ؟ فقلت ابو سعيد بن

اخى هشام ! قال فمن احفظكم باختلاف الناس ؟ قلت ابو سعيد بن اخي هشام !  
وقال ابو محمد ايضا ان ابا سعيد ليس يلقي الله تعالى بمثقال ذرة رياء (قلت) :  
قال هذا ابو محمد لما لُفَّ ابو سعيد في اكفائه ، (قال) وقيل لابي العباس عبد الله بن  
احمد الابيانى (103) الفقيه مَنْ اجلَّ من رايت بالقيروان بعد ابن اللباد وابن العسال؟  
قال دخل علي ثلاثة نفر احدهم اكبر من الاثنين فقال جواب هذه المسألة فظننت انها  
نازلة (104) فاجبته عنها حتى القي علي نحو من مائتي مسألة فقلت فرغت محفوظاتك ؟  
قال هكذا الى قابل القي عليك من حفظي فرايت رجلا كالبحر الذي لا تكدره  
الدلاء يقال له : ابو سعيد بن اخي هشام ، واما الثانى من الاثنين فاني رايت شابا  
عاقلا كاملا فاضلا لو وزنت الجبال الرواسي بعقله لرجحها يقال له : عبد الله بن ابى  
زيد ، والثالث يقال له عبد الله بن التبان تكاد كل شعرة في جسده تنطق بالحكمة  
— يكون لهما في الفقه باع — (قلت) : ولما ورد دارس بن اسماعيل ابو ميمونة  
من مدينة فاس وعجب الناس من حفظه سمع ابو سعيد تقصيره بعلماء القرويين  
واضافته قلة الحفظ اليهم ، فقال لاصحابه اعملوا على ان تجمعوا بيني وبينه لثلاث يقول  
دخلت القيروان ولم ار بها عالما فما زالوا حتى أتوا به الى ابى سعيد في مجلسه ،  
فسلم عليه فالقى عليه ابو ميمونة نحو من اربعين مسألة من المستخرجة والواضحة (105)

(103) فقيه تونس كبير توفى 352 هـ انظر شجرة النور الزكية 58 .

(104) يعنى ظنه مستفتيا فى نازلة واقعية وانما عرض لمحفوظات فقهية كانوا يتدارسون  
به العلم .

(105) هما كتابان من أمهات كتب المذهب ، اما الواضحة فمؤلفها عبد الملك بن حبيب  
وهي اصل الفقه الاندلسي واما المستخرجة فنسبها ابن فرحون لمحمد بن احمد  
العتبي وقدح فيها ابن عبدالحكيم وسئل عنها الشيخ ابن ناصر — أى — الدرعى  
فاجاب : هي العتبية شرحها ابن رشد شرحا سماه البيان والتحصيل ، وقال :  
أمهات الفقه الكبار المعتمد عليها عند المالكية : المدونة ، والموازية والواضحة  
والعتبية ، ذكر ذلك الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي فى شرحه  
على خطبة خليل طبع فاس حجرى سنة 1303 .

فاجابه عنها ابو سعيد ثم التى عليه ابو سعيد عشر مسائل من ديوان ابن سحنون فاخطا فيها ابو ميمونة كلها فعطف عليه ابو سعيد وقال له لا تغفل عن الدراسة فاني ارى لك فهما فان واظبت كنت شيئا ، فلما قام ابو ميمونة ليخرج لم يعرف الباب من الحيرة ! وقال ابو العباس عبد الله الاجذابي (106) كان ابو سعيد من اجل من يعرف طريق الصوفية ويحبها وكان اذا قال أجمعت الامة لم يوجد خلاف لقوله .

(قال) : قال ابو سعيد خلف بن تميم الهواري : سالت الشيخ ابا سعيد فقلت ، ما تقول في كرامات الاولياء ؟ قال ما ينسكرها (107) الا صاحب بدعة ، قلت له فانقلاب الاعيان ؟ فقال ، ما جاء من طرق صحيحة فانا اقول به ، قلت : له ايما افضل عندك الفقر او الغنى ؟ فقال اختلف الناس في ذلك ، فقلت له : ايما افضل عندك فقال : قال سحنون الفقر افضل .

(قلت) : وذكر انه كان يمشي مع بعض طلبته في فحوص صبرة فحضرتهم الصلاة ، فاراد الشيخ الصلاة ، فقال الطالب : اصبر حتى تخرج من اراضي هذه المدينة السوء ، فقال له ابو سعيد هذا جهل منك اي ضرر على الارض من صلاتنا ؟ ولو لزم ترك الصلاة في الفحوص المغصوبة وجب على المصلي ان يستاذن اربابها اذا كانت غير مغصوبة ، فقال ابو بكر بن عبد الرحمان : قال صلى الله عليه وسلم : جعلت لي الارض مسجدا ، وان الصلاة في ارض المسلمين بغير اذنهم جائزة بلا خلاف ، وقبله عياض ، والصواب عندي انه لا يصلي في ارض بالاطلاق اذا كانت مملوكة للغير الا برضاء ربها اما نطقا واما بعلمه بطيب نفسه بذلك الا اذا خاف خروج الوقت وقوله عليه السلام جعلت لي الارض مسجدا عام يتخصص بما ذكرناه لان الاصل منع تصرف الانسان في غير ملكه الا باذن ويدل

(106) في ق : أبو العباس عبد الله الايباني .

(107) ق : ما يدفعها .

على هذا ما تقدم - عن قرب - عن ابي محمد بن التبان انه لا يصلى في ارض مغصوبة الا اذا خاف خروج الوقت ولا اعادة عليه حينئذ ، ولما ورد شيخنا ابو يوسف يعقوب بن يوسف الزعبي من تونس - وكان قاضي الانكحة بها حينئذ - الى القيروان وزرنا معه قبر الشيخ ابي زمة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ في الرجوع للبلد شق بنا خرايب في ربضها ، فاردت الرجوع عنه وتوهم الاعتراض عليه مني - وكنا جماعة - فقال اهذا جائز ام لا ؟ فقلت الصواب انه لا يجوز وهذا المكان الذي انت به الان مار به دار جدي ناجي رحمه الله تعالى فانا وان رضيت بمرورك ومرور اصحابنا وامثالهم فلا ارضاه من غيرهم لانها تصير طريقا (108) وقد شاهدت شيخنا ابا محمد عبد الله الشيبيني بالقيروان اذا مر بالمكان الفلاني منها وعينته له لا يمشي منه لمراده لانه مملوك للغير - وقد اتخذه الناس طريقا - ويدور من مكان ابعد وذلك يدل على انه لا يجوز عنده فقال لي ما ذكرته عنه صحيح وكنت اراه يفعل ذلك ولكن الصواب جواز ذلك لمشي ابي سعيد ابن اخي هشام في فحوص صبرة وصلاته بها ، و اشار الى هذا واجبته بما تقدم الا ما ذكرته عن ابن التبان فاني كنت لم اقف عليه ، فتحصل في جواز الصلاة في الارض المغصوبة قولان احدهما جواز ذلك قاله ابو سعيد بن اخي هشام وابو بكر بن عبد الرحمان ، والثاني عدم جوازه الامع خوفاً من خروج الوقت قاله ابو محمد ابن التبان - وبه اقول - وكذلك القولان في جواز المرور فيها فلازم قول ابن التبان انه لا يجوز الا من ضرورة وهو الذي اخترناه ، وفعل ابي سعيد وهو مشيه فيها يقتضي الجواز لانه لم يذكر انه لم يجد طريقا وهو الذي فهم منه شيخنا ابو يوسف يعقوب وعمل عليه ، وفعل شيخنا ابي محمد الشيبيني ظاهر في الاول الا ان يكون منه على جهة الورع والاصل خلافه .

(108) هذا الاستدلال على منع التطرق مقبول وتطبيقه على منع الصلاة فيه نظر لان مجرد أداء الصلاة ليس فيه تصرف .

(قلت) : قال الشيخ ابو محمد عبد الله بن ابي زيد كان بين ابي سعيد بن اخي هشام واخيه مشاجرة في ربيع فرفعه الى النعمان قاضي القيروان للبيع ، فاخبر القاضي بمكانه فامر بادخاله ومن معه وقال ، هاهنا جواري ! قال : جئت مخاصما قال جواري ولو خاصمك اهل القيروان ! فذكر له خبر اخيه فهم النعمان بضربه وسجنه ! فقال له لم ارد هذا وانما اريد ان تاخذ على يده وتزجره ، - وقبله عياض لسكوته عنه - وفيه عندي نظر والحق التسوية بينه وبين اخيه ، واما جلوسه بجواره دون اخيه على ظاهر الكلام فلا يجوز عندي ولا افعله ولو كان امير المؤمنين وليس له الا المساواة واما ان يوكل غيره وينصرف واحرى ان لا يسمع كلامه مجردا على اخيه دون بيته ، وعادتي نتحفظ في هذا كل التحفظ حتى اسوي بين الغريمين في النظر . اذا لم ننظر للمدعى وهو يتكلم لامر ما - كضرب ووجع بعيني اشتغلت بحكها - لا انظر للمدعى عليه وقد زال وجع عيني ونسمع كلامه كما سمعته من الاول ومن شرط القاضي العدل ان يسوي بين القوى والضعيف والشريف والمشروف بحيث لا تاخذه في الله لومة لائم ، واكثر قضاة الوقت بالقيروان وغيرها لا يحافظون على هذا ومثله ، وذلك لا يجوز لهم وهو من جورهم ، وصرع انسان بجنب ابي سعيد ، فقال له الجبان على لسان المصروع انت تنكر هذا يا ابا سعيد فانا اخبرك ان اردت بما في بيتك وما جرى لك مع خادمك البارحة فقال له ابو سعيد اسكت يا مشثوم - وكان ابو سعيد ينكر مثل هذا قبل هذا فصار يصدق بمثل هذا ونحوه - وذلك انه دخل على امرأة من قرابته صرعت فقال له الجني : كنت البارحة جالسا تحت الميزاب وانت تاكل التمر ولقد رميتني بنواة تحب اتيك الليلة فقلت لا يا مشثوم .

(قال) : وقال احمد ابن القاضي النعمان يا ابا سعيد لم تقولون ان من قذف عائشة يقتل وانما قال الله تعالى (والساذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) وجلد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما

اهل الافك ثمانين جلدة فلم لم تاخذوا بالقرآن ولا بما فعل النبي صلى الله عليه وسلم تسليما ؟ فقال ابو سعيد قال الله تعالى (اولئك مبرعون مما يقولون) وقال : (الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) فجلد من قذفها قبل البراءة بالقرآن ، وبعد القرآن من قذفها فقد رد القرآن ومن رد حرفا من القرآن فقد وجب قتله باجماع (قلت) : السائل له كان عراقي المذهب (109) وكان رحمه الله اولا يبيع الحنطة ثم رجع يكتب الوثائق وياخذ عليها الاجرة لقلّة ذات يده .

(قال) توفي ابو سعيد يوم الجمعة السابع من صفر سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة (قلت) : كذا قال ابو بكر المالكي وابن الرقيق وقال غيرهما بل توفي سنة احدى وسبعين وثلاثمائة (قال) : وحضر جنازته اهل المدينتين المخالف والموالف وحضر السلطان في موكب (قلت) : المراد بالمدينتين القيروان وصبره والسلطان هو عبد الله ابن زيد الصنهاجي (110) ورثى بمرث كثيرة ، (قال) : وصلى عليه ابن الكوفي القاضي ودفن جوار القاضي عبد الله بن هاشم في صحنه على طرف الحفرة (قلت) : وقبره مزار وعند قبره بويقات لطاف تقول العامة نسمع انه كان في القديم اذا استنقع فيها ماء المطر فيستشفى بذلك الماء من وجع العين بان يمسح بشيء من ذلك على العين من فوق ثم ترك الناس ذلك .

## ● ٢٣٢ ● ومنهم أبو بكر عمرو المتعبد

(قال) : سمع من ابي عبد الله العسال وابي محمد بن الحجام وكان يختلف

(109) وهو ابن النعمان ، قاضي الشيعة المعروف ، وقوله بعد ذلك وكان رحمه الله يبيع الحنطة الخ كلام مستأنف يعود على المترجم .

(110) المعروف في التاريخ ان والى القيروان حين وفاة المترجم هو بلقين بن زيري الصنهاجي الذي استخلفه المعز العبدي لما انتقل لمصر واسمه في التاريخ يوسف وربما انتحل اسم عبد الله حين ولى الامارة ، فيكون قوله : ابن زيد تحريفا عن ابن زيري وهو قريب .



الى ابي محمد بن التبان ثم لزم داره فكان يزار وكان ذا نقشف وعبادة وحسن حال ولم ير في العباد اجمل منه كان يلبس الاسماط والشروف وتصدق بثلاثة آلاف دينار عينا ذهباً من مال ورثه من ابيه توفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة رحمه الله تعالى .

### ● ٢٣٣ ومنهم أبو عبد الله محمد بن حسن الزويلي السرتي رحمه الله

(قال) : سمع بافريقية من ابي عبد الله محمد بن مسرور العسال وابي محمد ابن الحجام واحمد بن نصر وابن اللباد ومحمد بن ابي المنظور القاضى وابي العرب ابن تميم واحمد بن عبد الرحمان القصرى وغيرهم ، ورحل الى المشرق ، فسمع من ابي اسحاق بن شعبان وغيره وكان من اهل العلم والقرآن والفرايض وكان يجلس في مؤخر الجامع وتجتمع اليه الناس ويفتي في المسائل ، وما تزوج قط ولا تسرى ، صحب مروان العابد ، وكان مروان يقدمه للصلاة به ، وكان يسرد الصوم حتى ذهب بصره ، وكان فقيراً صابراً على البساء والضراء ولما احتضر رأى بعض الجيران في داره جواري يتلاعبن فقال لمن انتن قلن لهذا الشيخ اونسه حتى يخرج من هذه الدار ، توفي سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وقد بلغ خمسا وثمانين سنة ودفن بباب سلم رحمه الله تعالى .

### ● ٢٣٤ ومنهم أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي سعيد ابن أخى هشام

(قال) : كان اوحده العباد في وقته من اهل مكابدة الليل والتهجد بالقرآن وسرد الصيام ، رقيق القلب غزير الدمعة كثير الخشوع ممن يمشي على الارض هونا واذا نظر الناظر الى وجهه كانه شكلي ذو سكينه (قلت) : زاد غيره : وكان

زاهدا ورعا عفيفا (قال) : وكان يختم القرآن كل ليلة ختمة ، قال ابو بكر التجيبي  
انشدني لعمران بن حطان :

حتى مات تسقى النفوس بسكاسها      ريب المنون وأنت ساه تترتع  
أفقد رضيت بان تعلل بالمنى      والى المشيئة كل يوم تدفع  
احلام لوم او كظل زاييل      ان اللبيب بمثلها لا يخدع  
فتزودن من قبل يومك دائما      ام هل لغيرك - لا ابا لك - تجمع  
توفى رحمه الله سنة اربع وثمانين وثلاثمائة ودفن بباب سلم مع والده .

### ● ٢٣٥ ومنهم أبو القاسم ابن حمديس القطان العابد رحمه الله تعالى ورضى عنه

(قال) : كان من ازهد الناس في الدنيا واحسنهم حالا مع الله يوالى في الله  
ويعاد في الله ويغضب له لا يخاف ولا يرهب الا الله عز وجل ، ذو حنين وزفير  
وانين لجراحات من الذنوب دامية قدمها ، وميدان لهو جر فيه اذباله ، ثم تاب  
وارعوى ، وعطف من عنانه فسما ، وتخلي عن الدنيا ورفضها ، ولبس المنبوذ  
ورضي بالتافه حتى فارقتها ، قال عبد الله بن التبان قال لي ابو القاسم ركعت ليلة  
ما قدر ونمت ، فبرز لي كف وقيل اقرا فقرات (هذا عطاؤنا فامنن او امسك  
بغير حساب) ، وكانت اشارة الى المحبة والشوق مع خوف وحزن واسف وانابة ،  
توفى سنة اربع وثمانين وثلاثمائة ودفن بالرمادية على قارعة الطريق وقبره معلوم  
رحمه الله .

### ● ٢٣٦ .. ومنهم أبو العباس عبد الله بن عبد الرحمان الاجذابي المؤرخ

(قال) : كان عالما فاذا لا عارفا بالتاريخ وكان في كل فن واحد وقته مع

صحبة للصالحين وكان ثقة ، توفي في السابع عشر من جمادى الاولى سنة اربع وثمانين وثلاثمائة ودفن بباب سلم وقبره معروف رحمه الله تعالى .

## ● ٢٣٧ ومنهم أبو بكر بن علي بن نصر الزعفراني رحمه الله

(قال) : كان صالحا صاحب نسك وتقشف وعبادة ومجاهدة وكرم اخلاق ومعاشرة محققا في مقامات الصديقين ومنازل العارفين (قلت) : زاد غيره وكان ورعا زاهدا في الدنيا راغبا فيما عند الله من رآه فكانما رأى السلف الصالح من الصحابة والتابعين رد كثيرا من الخلق الى الله عز وجل بعدوبة الفاظه ورقة طبعه وحسن هديه وكان كثير الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تاخذه في الله لومة لائم ولا يهاب احدا في قول يقوله ولا يترك شيئا مما يجب عليه فعله او يندب اليه من اجل احد من الناس سلطانا كان او غيره ( قال ) : قال ابو بكر التجيبي حدثني ابو عبد الله محمد بن مسرور العسال عن المقدم قال لما حج ابو جعفر المنصور اشخص الحسن بن زيد امير المؤمنين (111) وكان في مجلسه ابن شبرمة القاضي ومالك بن انس وابن ابي ذئب وعبد الملك بن جريح فسأل ابن ابي ذئب عنه فساء القول فيه فقال الحسن يا امير المؤمنين هذا قوله فينا اهل البيت فلو سألته عنك فقال له المنصور وما تقول في ؟ فقال له وما عسى ان اقول ؟ ومعن ابن زائدة خطيئة من خطاياك : فاطرق ابو جعفر قال ابن جريح فقبضت ثيابي وجمعتها الي لثلا يصيبني دمه ، فوضع المنصور يده الى قفاه وقال له والله لولا انا لاخذت ابناء فارس والروم والترك والديلم هذا المسكان منك ! قال ابن ابي ذئب قد ولي ابو بكر وعمر فاخذنا بالحق وقسما بالسوية واخذنا ابناء فارس والروم فازال ابو جعفر يده وقال والله

(III) الظاهر انه يعنى بامير المؤمنين زيدا بن علي زين العابدين الذى ادعى الخلافة وقتله هشام وصلبه بالكوفة : وذكر النسابون من ولده - الحسن فلعله هذا .

لولا اني اعلم انك صادق لقتلتك ، (قلت) : في كلامه بتر لانه بقى منه وكان لاينى  
جعفر خادم كريم فجعل يمسح صدر ابن ابي ذيب وهو يقول هذا رجل لا تاخذ  
في الله لومة لائم (112) (قال) : توفي ابو بكر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة  
رحمه الله تعالى .

## ٢٣٨ ● ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الحياط الواعظ ويعرف بابن قمره (\*)

(قال) : لقي بمكة ابن الجلا و ابا يعقوب النهرجوري ولقي الدينوري  
وابن الكاتب وابن جابان وعبدة وكان ذا تقشف وعبادة متصوفا تصوفا مشوبا بتقوى  
رقيقا شفيقا رد كثيرا من الخلق الى الله تعالى بعذوبة الفاظه ورقة طبعه ، يضع دواءه  
على داء القلوب وجراح الذنوب حتى كثر الخير بمجالسته والنسك في اهل عصره  
بوقفة حكاياته قال ابو بكر التجيبي انشدني :

ماذا تقول - وليس عندك حجة - لوفسد اناك منغص اللذات ؟  
ماذا تقول اذا دعيت فلم تجب واذا سئلت - وانت في غمرات -  
ماذا تقول - وليس حكمك جائزا فيما تخلفه من التركبات - ؟  
ماذا تقول اذا حللت محلة ليس البغاة من اهلها بثقات ؟

قال ابو بكر التجيبي شهدت بمسجد السبت وقد قال بعض القراء :

امن بعد ستين تبكى الطلولا وتندب ربعا يبابا محيلا  
وقد ضحكك الشيب في عارضيك وجر على مفريقك الذيولا

(112) هذا المجلس ليس من الترجمة وانما اورده تنظيرا للمترجم بهذا الامام الجري .  
(\*) بالاصل أبو عبد الله أحمد ويعرف بابن قمره - والاصلاح من ق وهي اصح .

فقام وهو مستغرق في حاله ، ثم قال : من لم يصلح الماضي بالآتي أخذ بالوقتین ، ودخلت عليه حين موته وقد سجي بثوب وانه لمبتسم على سريره حتى غسل ، ولم يوجد له كفن ولا ما يحضر به قبره فكفنه ابو محمد بن ابى زيد ، توفي يوم السبت السابع عشر من شعبان سنة ست وثمانين وثلاثمائة وتوفي ابو محمد بن ابى زيد بعده بثلاثة ايام يوم الاثنين .

### ٢٣٩ ● ومنهم أبو محمد عبد الله ابن أبى زيد واسم أبى زيد عبد الرحمان النفزاوى (\*) نسبا القيروانى مولدا ومنشأ ومدفنا

(قال) : سمع بافريقية من ابى بكر محمد بن محمد بن اللباد وعليه كان اعتماده في الفقه ، وسمع من عبد الله بن مسرور بن الحجام ، وابى عبد الله محمد بن العسال ، وحبيب بن الربيع ، ودارس بن اسماعيل الفاسي الجراوى ، والحسن بن نصر التوزري ، وابى الحسن علي بن محمد الخولاني ، وابى الفضل العباس بن المحسى ، وابى ميسرة احمد بن نزار ، وابى العرب محمد بن احمد بن تميم ، وعبد الله بن سعيد الحداد ، والحسن بن بدر ، وحبيب بن ابى حبيب الجزري ، ومحمد بن موسى القطان ، وسعدون الخولاني ، وابى الحسن الكنايسي وابى عبد الله محمد بن الفتح المرجي ، وعثمان بن سعيد الغرابلي ، وابى بكر بن سعدون ، واجازه من اهل المشرق ابو سعيد بن الاعرابي ، وابراهيم بن ابى بكر بن المنذر عن ابيه ، وأبو بكر الابهرى ، وجماعة من البغداديين (قلت) : وتفقه عليه جلة من القرويين والاندلسيين واهل المغرب فمن القرويين ابو بكر بن عبد الرحمان وابو القاسم (113) خلف البراذعي وابو القاسم اللبيدي وغيرهم .

(\*) ق : النفزى ولا سواء بينهما لانه يوجد بالقطر التونسي شمالا نفزة - وجنوبا نفزاوة وأكثر النقول النفزى .  
(II3) ق : وأبو سعيد .

(ذكر ثناء العلماء عليه )

(قال) : كان من اهل العلم والعبادة والورع والفضل والاحسان بالمحل  
الاعلى انتشرت امامته فى العلم شرقا وغربا ، وظهرت فضائله وفواضله بعدا  
وقربا ، واحد الزمان جلاله وعلمه ، وفريد العصر عقلا وفهما ، مع ورع حاجز ،  
وحسن سمت ووقار ، وارتفاع هممة ، وعذوبه الفاظ ، وملاحة ايراد ، وجزالة  
معان ، ضربت اليه الاكباد من سائر البلدان ، (قلت) : وقال بعضهم : كان  
ابو محمد امام المالكية فى وقته وقوتهم وجامع مذهب مالك وشارح اقواله ،  
وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية ، كتبه تشهد له بذلك ، فصيح اللسان ذا  
بيان ومعرفة بما يقوله ، ذابا على مذهب مالك قائما بالحجة عليه ، بصيرا بالرد  
على اهل الاهواء ، يقول الشعر ويجيده ، ويجمع الى ذلك صلاحا تاما وورعا  
وعفة ، وحاز رئاسة الدين والدنيا ، واليه كانت الرحلة فى الاقطار ، وقال  
الشيخ ابو الحسن القاسبي : كان ابو محمد اماما مؤيدا موثوقا به فى درايته  
وروايته ، وقال غيره : اجتمع فى ابي محمد العلم والورع والفضل والعقل  
شهرته تغنى عن ذكره ، وقال ابو الحسن علي بن عبد الله القطان : ما قلدت ابا  
محمد حتى رايت السبائي يقلده ، وقال الشيرازي : كان يعرف بمالك الاصغر ،  
وزاد غيره : وبقطب المذهب ، وكان اذا اشكل عليه شىء من كلام السلف  
يرى بيانه فى النوم ، ويقال : لولا الشيخان والمحمدان والقاضيان لذهب المذهب !  
فالشيخان ابو محمد بن ابي زيد وابو بكر الابهرى ، والمحمدان محمد بن سحنون  
ومحمد بن المواز ، والقاضيان ابو محمد عبد الوهاب وابو الحسن بن القصار ،  
وكان مؤيدا فى فتاويه وتوايفه من ذلك ما ذكره ابن بزيمة فى تفسيره لقوله تعالى  
(يسالونك عن الانفال) قال سمعت بعض شيوخنا يحكى : انه توفيت امرأة بالقيروان  
كانت مشهورة بالزنا ، فلما جاءت الغاسلة لتغسلها - وهي ميتة - ضربت بيدها  
على فرجها وقالت : قد طالما عصيت الله سبحانه بهذا الفرج ! فالتصقت يد الغاسلة  
بفرج الزانية ! فجاء الناس الى ابي محمد بن ابي زيد فاخبروه بالقضية فامر بان

يقام على الغاسلة حد القذف : ففعل ذلك فزالته يدها (قلت) : ويعني بعد طلب الوارث ذلك .

(قال) : وله تواليف كلها نبيلة ، منها كتاب النوادر ، وكتاب المختصر للمدونة ، وكتاب الرسالة ، وكتاب الاقتداء وكتاب الذب عن مذهب مالك ، ورسائله في رد السائل ، وكتاب المضمون من الرزق ، وكتاب المعرفة واليقين والتوكل ، وكتاب المناسك ، وكتاب شرح مسألة الحبس ، وكتاب اعجاز القرآن ، وكتاب التنبيه ، وكتاب رد الخاطر من الوسواس ، وكتاب قيام رمضان والاعتكاف ، وكتاب اعطاء الزكاة للقراءة ، وكتاب كشف التلبيس ، وكتاب الرد على ابي ميسرة المارق ، وكتاب حماية عرض المؤمن ، ورسالة وعظ - وعظ بها محمد ابن الطاهر القايد - وكتاب فيه حكايات عن ابن الحداد ، واول تواليفه الرسالة كان الشيخ ابو اسحاق السبائي سأله وهو في سن الحدائة ان يؤلف له كتابا مختصرا في اعتقاد اهل السنة مع فقه وآداب ليتعلم ذلك اولاد المسلمين ، فالف الرسالة وذلك سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وسنه اذ ذلك سبع عشرة سنة

(قلت) : وقال ابو عبد الله محمد بن سلامة التونسي وابو علي ناصر الدين البجائي : انما سأله تاليفها الشيخ المؤدب محرز بن خلف التونسي - وهذا هو الصحيح عندي - لان قول الشيخ ابي محمد كما تعلمهم حروف القرآن يدل على ذلك لاني لا اعلم ان احدا ممن تعرض الى مناقب ابي اسحاق السبائي ذكر انه كان مؤدبا ، ولا يقال : لا مانع ان يكونا معا سالاه واسعفهما لان أفراد الضمير في قوله (وايساك) ياباه (قال) : فانتشرت الرسالة في سائر بلاد المسلمين حتى بلغت العراق واليمن والحجاز والشام ومصر وبلاد النوبة وصقلية وجميع بلاد افريقية والاندلس والمغرب وبلاد السودان ، وتنافس الناس في اقتنائها حتى كتبت بالذهب ، واول نسخة نسخت منها بيعت ببغداد في حلقة ابي بكر الابهرى بعشرين دينارا ذها ، (قلت) : ولما فرغ من تاليفها كتب منها

نسختين وبعث بواحدة الى ابى بكر الابهري ببغداد فوصلت اليه فاطهر الفرح بها وأشاع خبرها بين الناس واثنى عليها وعلى مؤلفها ، وامر ببيعها ليحسن بثمنها الى الواصل بها ، فبيعت بمائتي دينار دراهم فقال لا تباع الا وزنا بوزن ففعل ذلك فجاء وزنها ثلاثمائة دينار ونيفا ، وبعث بالاخري الى ابى بكر ابن ابى زرب بقرطبة فوصلت اليه فاخفاها واخذ في تاليف كتاب الخصال عوضها ، فبعد ذلك اظهرها ، فقال لسان الحال : (وطئوا ووطأنا وسيظهر ما كان لله) فكتب ابو محمد الى الأبهري يخبره بما فعل ابن زرب فراجع الابهري برسالة يقول فيها

اعجب ما في الامور عندي	اظهار ما تدعي القلوب
تأب نفوس نفوس قوم	وما لهم عندهم ذنوب
وتصطفى انفس نفوسا	وما لها عندهم عيوب
ما ذاك الا لمضمرات	يعلمها الشاهد الرقيب

ومدحها القاضي ابو محمد عبد الوهاب بن نصر المالكي فقال :

رسالة علم صاغها العلم النهدي	قد اجتمعت فيها الفرائض والزهد
اصول اضاءت بالهدى فكانما	بدى لعيون الناظرين بها الرشدي
وفي صدرها علم الديانة واضحا	وماداب خير الخلق ليس لها ندي
لقد أمّ بانيتها السداد فذكره	بها خالد ما حجج واعتمر الوفدي

وشرحها القاضي ابو محمد هذا في نحو من الف ورقة منصورى ، واول نسخة من هذا الشرح بيعت بمائة مثقال ذهبا ولما كان القصد بها ان تعلم لاولاد المسلمين لم يبق بلد من بلاد الاسلام الا بلغت اليه ولم يكن احد من الفقهاء الا وهو يثني على ابى محمد ويصف كماله في العلم ، وذكر ان القاضي ابا بكر بن الطيب الباقلاني ذكر ابا محمد في بعض تواليفه واعتذر عنه فيما نسب اليه من انكار الكرامات



ولم يكن مذهبه انكار سائرهما وانما كان يبلغه عن ابن الصقلي اشياء الله اعلم بها وبصحتها كانها عنده من جنس المحالات فكان ينكر ذلك وكيف وهو يحكي كثيرا من الكرامات عن ابي اسحاق السبائي ، ومنها ما جرى له معه في قصة ابنته حيث مرضت عيناها فرقاها ابو اسحاق من داره وهي في دارها فبرئت من حينها ، (قلت) : وتقدم عند التعريف بالسبائي عن ابي محمد انها برئت في ثلاث (قال) : ولاي محمد جزء في اثبات كرامات الاولياء ، وكان رحمه الله تعالى متفنا في علوم كثيرة منها علوم القراءات ، وتفسير القرآن ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ، ومعرفة رجاله واسانيد وغريبه ، والفقهاء البارغ واثار العلماء ، وكتب الرقايق والمواعظ والاداب .

(ذكر) جوده وسخائه .

(قال) : كان رحمه الله من الاجواد واهل الايثار والصدقة كثير البذل للفقراء والغرباء وطلبة العلم ، كان ينفق عليهم ويكسوهم ويزودهم ، وقد ذكر انه بعث الى القاضي ابي محمد عبد الوهاب بالف دينار عينا ، (قلت) : وكان شيخنا ابو الفضل ابو القاسم بن احمد البرزلي يزيد : فلما بلغته قال : هذا رجل وجبت عليّ مكافاته فشرح الرسالة ، (قال) : ووصل يحيى بن عبد الله المغربي حين قدم القيروان بمائة وخمسين دينارا ذهبا ، وجهاز ابنة الشيخ ابي الحسن القاسبي باربعمائة دينار عينا وقال كنت أعددتها من حين إملاكها لثلا يشتغل قلب ابيها من قبلها ، وبعث الى الفقيه ابي القاسم بن شبلون - في مرضة مرضها - بخمسين دينارا ذهبا ، وذكر الفقيه ابو بكر بن ابي العباس الصقلي يوما ابا محمد في مجلس فتاويه وذكر فضائله فبكي وقال : كان اعطاني ايام طلبي عليه بالقيروان جارية وان ولدى هذا منها و اشار الى ولده ، وله صنائع مشكورة ، ولقد حدثني الشيخ ابو بكر محمد بن احمد بن سيد الناس اليعمري عن ابيه عن الحافظ ابي الربيع سليمان بن محمد المقرئ عن ثقة شيوخه ان بعض طلبة الاندلس

وصل الى الفقيه ابي محمد للقراءة عليه فاكرمه وانزله واجرى عليه ما يحتاج اليه من نفقة وجعله امام مسجده فبينما هو ذات يوم خارج من داره الى الصلاة - وكانت داره التي انزله فيها مجاورة للمسجد في قبالة حمام ابي محمد - اذ نظر الى امرأة خارجة من الحمام وقد كشفت عن وجهها لما نالها من حر الحمام ولم تظن ان احد ينظر اليها ، فلما راته سترت وجهها وانصرفت فقيدت بصره واخذت من نفسه مأخذاً عظيماً ، فتبعها الى ان دخلت دار الفقيه ابي محمد بن ابي زيد - والفقيه ابو محمد ينظر اليه في تلك الحالة - فلما رآه ينظر اليه سقط في يده ، وداخله من الحياء والخجل ما لا مزيد عليه ، ورجع الى داره حزينا كئيبا ، فلما تاخر عن الصلاة اتاه المؤذن يؤذنه بها ، واعلمه ان الشيخ أبا محمد بعث اليه ، فاتى فصلى بالناس ، ثم اخذ الفقيه معه في المذاكرة والمؤانسة الى ان صلى العشاء الآخرة ، فقال له ابو محمد : انصرف الى دارك حتى اصل اليك ، فلم يشك انه يقول له في ذلك وظن سوءا وعاد اليه حزنه وكتابته ؟ فلما وصل الى داره لم يجلس الا وابو محمد في اثره ، فقال له : يا بني انما جئتكم معتذرا من تقصيري في حقك اذ لم أقم بجميع ما تحتاج اليه ، وذلك اني لم أفقدك انك تحتاج الى النساء فانك شاب - وها انا شيخ احتاج الى الزيادة من ذلك - فكيف انت ؟ واما الصبيبة التي رايتها خارجة من الحمام فاني ربيتها صغيرة لنفسى ، وهي لك ، وما اخترتها لهذا الوقت الا انهم في الدار من ذلك الحين يصلحون من شأنها فلم يبرح حتى وصلت الصبيبة بجميع ما تحتاج اليه من ثياب وحلي وفرش وتركها في منزله وانصرف .

(قلت) : يعني بعد ان عقد له النكاح عليها وانما سكتوا عنه لوضوحه ، واعجابه ! هكذا كان خواص العلماء في اخلاقهم وانصافهم واعانتهم ، ولو وقع اليوم اقل من هذا لتلميذ مع شيخه لما نظر له في وجهه ولا صلى وراءه ابدا ولا يقدمه في خطة شرعية ولا يقبل له توبة ابدا ! وكان شيخنا ابو الفضل

البرزلي حفظه الله تعالى اذا نقل هذه الحكاية يقول : انما تبعها ليعرف دارها حتى يسأل عنها هل لها زوج ام لا فان لم يكن لها زوج خطبها ، فتبعها حتى دخلت دار الشيخ فحجل فرفع بصره واذا بالشيخ ينظره وهو جالس من طاقة في علو داره ، وكان شيخنا المذكور ينقل غير ما مرة حكاية اخرى ، وهي ان ابنة الشيخ ابي محمد دخلت حماما في اول الليل فاطالت الاقامة وهي معتقدة ان اول الليل لم يزل فلما خرجت لم تجد احدا يمشي فخافت ان هي مشت الى دار ابيها قد يقع بها من يؤذيها ، فضربت بساب علو فخرج لها منه رجل فقال لها ما تريدين ؟ فقالت كنت في الحمام واعتقادي ان اول الليل لم يزل ونخت ان مشيت الى داري يضرني من يجديني فاحببت ان ابيت عندكم حتى يطلع النهار ، فقال افعلي ، فوجدت رجلا من طلبة العلم وكتبه بين يديه ، فاخذ ينظرها وليس معه في الموضوع احد ، فخافت منه ، فلما كان بعد ساعة وسوسه الشيطان لعنه الله تعالى وقال له هذه طفلة جميلة الصورة جاءت لمكانك ! فقال : لا افعل فان النار عظيمة وطرده ذلك عنه فعاودته الوسوسة فاخذ يعظ نفسه بالنار فلم تنته ، فاخذ اصبعه فوضعه على ذبالة المصباح وقال لنفسه : نار القيامة اعظم فهل لك صبر عليها ؟ وجعل ينقل اصابعه العشرة على الذبالة والنار تشوطها وهي تنظر ، وما زال كذلك حتى طلع الفجر فقال لها سلمني الله واياك وان الفجر قد طلع فامش الى دارك ، فمشت فوجدت امها خلف الباب وهي تلتهب عليها ، فقالت لها يا بنية لعلك سالمة ؟ قالت سالمة واعلمتها كيف جرى لها ، واعلمت والدتها والدها ابا محمد ، فجعل الشيخ ينظر في طلبته لعله يعرف الرجل فلما جاءت الدولة اليه اخذ الكتاب ليقرأ فيه بيديه وهما مغطمانان في كفه فعلم انه هو ، فلما فرغ الميعاد واخذ الناس في الخروج واراد الرجل الخروج كغيره اشار اليه الشيخ بالجلوس ، فساله عن كونه لم يخرج يديه ؟ فكلمه بكلام علم انه صاحبه ، فعرفه انها ابنته وزوجه اياها ، واعجباه هكذا كان خوف العلماء من النار فغلب نفسه رحمه الله تعالى وصبر فربح خيرا الدنيا والاخرة .

## (ذكر كراماته وبقية اخباره)

كان رحمه الله تعالى يفتح مجلسه بجواب سؤال السائلين عن غوامض المسائل ودقايقها ، وربما قال حدثتني نفسي ان في هذا المجلس كذا وكذا سؤالاً فايكم صاحب سؤال كذا؟ فيقول بعض الحاضرين انا فيجيبه ، قال : ذكر ان المؤدب محرز بن خلف التونسي رحمه الله قصد الى زيارة ابي محمد فلما دخل الى داره اتوه بابنة الفقيه ابي محمد ليدعو لها - وكانت قد اقعدت - فدعا لها فقامت على قدميها ومشيت من ساعتها ! فكثير التعجب من ذلك ! فقال المؤدب محرز والله ما قلت الا : اللهم بحرمة ابيها عندك اكشف ما نزل بها ، فشاها الله ببركة ابيها . (قلت) : ومثل هذه سمعت ممن يوثق به ان مؤدب اولاد الشيخ ابي محمد ضرب واحدا منهم بسوط فاخطا السوط فجاء على عينه فسالت ! فبادر ورد العين لموضعها ورمق ببصره الى السماء ودعا بدعاء خفي وأزال يده فرد الله بقدرته العين كما كانت ! وكان ابو محمد ينظر من طاق وهو جالس في علوه شارف على المكتب ، فوقع بصره على جميع ذلك ، فبادر الى دواة وقلم وورق واتى الى المؤدب فاخذ المؤدب يعتذر ، فقال ابو محمد : كل ذلك رايتہ ولكن أمل على الدعاء الذي دعوت به لثلاث تنسأه لادعو به لنفسي فقال : يا شيخ لما رايت مصيبتى عظمت دعوت الله تعالى فقلت اللهم ببركة والده رد عينه كما كانت .

(قال) : روي ان المؤدب محرزاً زار الشيخ ابا محمد بالقيروان على عادته فبات عنده ليلة ، فلما كان بعد ذهاب النصف الاول من الليل قام الشيخ محرز لحزبه ، فطلب الماء فلم يجده فقال لابي محمد : قل للخادم تكنس السطح وتفتح الميزاب ففعل ، ورقى محرز السطح ودعا ما شاء الله فاقبلت سحابة بماء غزير وامتلا ما جل الدار ، ثم نزل محرز واستقى الماء وتوضا جميعاً وقضيا ورددتهما ، فلما اصبح خرج ابو محمد لمجلسه فاخبر اصحابه بما نزل من المطر ! فقالوا

ما نزل عندنا منها شيء ! ولم يكن المطر الا بمقدار دار الشيخ أبي محمد ولم ينزل بالدار الملاصقة لها شيء ! (قلت) : هذه الكرامة انما هي مختصة بالشيخ محرز فليس لابي محمد فيها شيء فتذكر في كرامات المؤدب محرز (114)

(قال) : حدثني ابو الحسن احمد بن محرز بن السراج اخبرنا ابو القاسم خلف بن عبد الملك اخبرنا ابو علي الصدفي اخبرنا ابو عبد الله بن سعدون اخبرنا الشيخ ابو بكر ابن عبد الرحمان اخبرنا الشيخ ابو الحسن علي بن محمد القاسبي ان رجلا راي النبي صلى الله عليه وسلم تسليما في المنام فقال له : اقرا على ابن ابي زيد السلام وقل له جزاك الله عن نبيك خيرا ، (قلت) : وكان بعض الثقات من اصحابنا يزيد في هذا الحديث لانك حفظت على امتي دينهم في قولك ويسترخى قليلا (115) — ويذكر ان ابا محمد لم يسبقه احد الى هذا التنبه — (قال) : وكان رحمه الله تعالى كثير الاشفاق على ما كان عليه من الاجتهاد في الخير قال ابو القاسم عبد الرحمان بن محمد اللبيدي : اجتمع عيسى بن ثابت بالشيخ ابي محمد بن ابي زيد فجرى بينهما بقاء عظيم ، فلما اراد فراقه قال له عيسى احب ان اكتب اسمي على البساط الذي تحتك فاذا رايت دعوت لي ، فبكي ابو محمد وقال له : قال الله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فهب اني دعوت لك فاي عمل صالح يرفعه ؟ (قلت) : وذكر عن ابي محمد انه قام ليلة للوضوء فصب الماء من القلة في الاناء فانهرق ثم صبه ثانيا فانهرق ثم جرى له ذلك ثالثا فاستراب وقال : من يتمرّد علينا ؟ فسمع من يقول له ولا يراه : ان الصبي بال فرش القلة فسكرهنا وضوءك منها .

(ذكر وفاته وما يتعلق بذلك)

(II4) بل هما مشتركان في الكرامة ولعله دعا بمثل دعاء المؤدب ولا مانع من اشتراكهما  
معا في الدعاء .

(II5) نص من الرسالة في كتاب الطهارة .

(قال) : توفي ابو محمد يوم الاثنين عند الزوال الموفى ثلاثين من شهر شعبان سنة ست وثمانين وثلاثمائة (قلت) : وعاش ستا وسبعين سنة (قال) : وصلى عليه الشيخ ابو الحسن القاسبي بالريحانية عند باب اصرم يوم الثلاثاء في جمع لا يحصون ودفن بداره وروى عنه (116) انه لما سمع بوفاته سقط الى الارض وقال الان انكشفت عورتى لما كان ينوب عنه فى الفتوى ، وبكى عليه حتى كاد ان يغمى (قال) : ظاهر هذا انه لم يخلق اعمى ولا عمى قبل موت ابي محمد وهو خلاف ما ياتي لعياض في قوله كان القاسبي فقيها اصوليا متكلمًا مؤلفًا مجيدًا وكان اعمى لا يرى شيئًا ، وذكر ابو محمد انه رأى في منامه ان باب داره سقط فمات عن قريب ( قال ) : وقد رثى بمراث كثيرة تركتها لشرط الاختصار ، منها مريثة ابي زكريا يحيى بن علي الفقيه الشقراسي يقول فيها :

خطب المّ فعم السهل والجبلا	وحادث حلّ انسى الحادث الجبلا
ناع نعمى ابن ابي زيد فقلت له	اشمنا كسفت ام بدرنا افلا
ام مادت الارض وارتجت بساكنها	ام الحمام بعبد الله قد نزلا
فان يكن صدرنا حمام الحمام به	فالصدر صاد ومن نار الاسي شعلا
رزية عظمت اتراحها : أفلا	ابكي ؟ وهل سلوة والبدر قد افلا؟
رجت لموقعها الارحاء وارتجفت	وزلزلت لضجيج بالعويل علا
والناس من فرق سكرى على فرق	وكلهم كلّهم خطب به ذهلا
على الجليل الذي جلت مفاخره	ومن مآثره اضحت لنا جملا
كل البسيطة بسط الحزن قد بسطت	وقبره بسنا انواره ابتهلا
وكيف لا وولي الله حل به	قطب المشايخ نور للهدى اكتملا
ما بالصلاة ولا بالصوم فاتهم	لو كان هذا المكان الامر قد سهلا
لكن بسر من الرحمن اوقره	بصدره فليهن الصدر ما حملا

(قلت) : وكنت كثير الزيارة لقبره والجلوس بداره وحفظت فيها كثيرا من ابن الحاجب ويغلب على ظني ان ما فتح الله علي الا بملازمتي للدعاء عند قبره وقبر الشيخ ابي الحسن القابسي ونحوهما ، وكنت نويت في صغري ان كان مني شيء اضع على رسالته تاليفا فوفقني الله لذلك فالفته وانا بتونس في حال القراءة بها وفرغت منه في زمن قريب خشية حضور أجلي اذ الفته في زمن الوباء ووصل الموت وانا اؤلف فيه ثلاثمائة كل يوم ، فاذا وجدت في هذا التاليف بعض تقصير مني في حفظ المذهب فطالعه في شرح التهذيب تجده على اكمل وجه ، ولما فرغت منه رايت في منامي ابا محمد بن ابي زيد وكانه اعطاني قلنسوة وفيها اسطار مكتوبة في بعضها بعض محو فاخذت اجدد ذلك المحو وعملتها على رأسي فقدمت قاضيا بجزيرة جربة باثر ذلك ، واقبل اشياخي وغيرهم على التاليف المذكور فسكان ينقل منه بحضرتي وغيتي على شيخنا ابي مهدي عيسى الغبريني قاضي الجماعة بتونس وشيخنا ابي الفضل ابي القاسم البرزلي وغيرهما وله منذ الفته ما يزيد على سبع وثلاثين عاما ووضعت بعده شرحا على تاليف الشيخ ابي القاسم بن الجلاب وذلك في ثلاثة اسفار في القالب الصغير في شرح الرسالة ووضعت على التهذيب تاليف الشيخ ابي سعيد البراذعي فشرحت منه على اكثره وكل ذلك ينقله طلبتي بين يدي وينقل في مواعيد اصحابنا والله سبحانه قال (واما بنعمة ربك فحدث) ونسال الله عز وجل ان لا يميتني حتى اكمله ليكون رحمة لي وللناس ، ولما مشيت لتونس للقراءة مكثت خمسة اعوام لم ازر القيروان - وفيها والدتي ووالدي واخوتي مع قرب الموضوع ، فحاسبت نفسي يوما من اجل والدتي ، وقلت : من محبتها في لا تبعث لي بالوصول اليها لاني قد لا نريد ذلك، فمن طريق البر اني امشي اليها ، فمشيت فلما سلمت علي قالت لي : يا ولدي ما سبب وصولك وما بعثت وراءك ؟ فاعلمتها بما تقدم ، فقالت لي : كذلك كنت اقول ، فلما لم تنصف من نفسك بغير بعث مشيت الى قبر الشيخ ابي محمد بن ابي زيد ، وقلت يا شيخ ولدي - الذي كان يقرأ عندك تأليف ابن الحاجب - غاب عني يقرأ بتونس فله اليوم خمسة اعوام لم يزرني ، اللهم يا رب

بحرمة هذا الشيخ قلب قلب ولدي للوصول اليّ ، فغلب على ظني انه الوقت الذي تحرك فيه قلبي ، فاقمت عندها سبعة ايام خاصة ، واذنت لي في الرجوع فرجعت .

وكان رجل من اصحابنا عنده ابنة فعرضها عليّ للتزويج فابيت ، فاخذ يشكرها شكرا تاما ، وكنت صغير السن فتعلق بي مذي وصار يلازمني - وكنت اماما - فشق ذلك علي لاجل الصلاة بالناس - لما قد عرفت من الخلاف في امامة صاحب السلس - فاتيت قبر الشيخ ابي محمد وبسطت له المسألة وتوسلت الى الله تعالى بما قرا وما قرىء عليه ان يرفعه عني ، فرفعه الله فوراً وما رايته الى الان ، ولذلك نحو من اربعين سنة ، وما اتيت قبر الشيخ ابي محمد ودعوت الله عنده في شيء الا جعل الله من امري فيه فرجا ومخرجا ، واذا كنت خائفا من شيء ونقل نصل لقبره ندعو ثم نزاهد ولا نصل (117) ننتسب في غالب الحال ككوني اعزل عن قضاء بلدة اكون فيها وقد عزلني السلطان امير المؤمنين ابو فارس عبد العزيز من بعض ولاياتي وامتلا علي غيظا لكثرة ما سمع ، وما علم ما عندي ، ووصلت الى القيروان باهلي فكنت اعمل فيها الميعاد كعادتي ، فاكثرت عند قبره بالدعاء والتضرع الى الله عز وجل - بما قرأ الشيخ وقرىء عليه - ان يعرف السلطان حالي وما انا عليه ، فقدمني شيخنا ابو مهدي عيسى (118) رحمه الله تعالى قاضيا ببلد الاربص وامرني بالوصول لتونس لاختد الظهير (119) بها فحضرت مجلس السلطان يوم توديع مشيخة تونس له لسفره - وهو في محلته خارج تونس - فقال للكاتب اكتب في ظهير ابن ناجي : انه يعمل الميعاد (120) فقال له شيخنا ابو مهدي هو مدرس مليح وطالب ، على ذلك

(II7) يقول : انه تارة يزهد يعني يتقاعس عن الزيارة فينكب الخ والعبارة عامية ومنها استعمال ضمير الجمع في مقام ضمير المتكلم والمخطب سهل .

(II8) الغبريني .

(II9) أمر الولاية .

(I20) مجلس ذكر مخصوص .



فما يفتقر للكتب (121) ، وقال آخر انه الف على رسالة ابن ابي زيد وقال شيخنا البرزلي والف على غيرها ويخطب في خطبه (122) ، فقال السلطان واذا كان هكذا اذا مله اهل بلد فلينقل لبلد آخر فان عزل هذا او مثله عجيب (123)

## ٢٤٠ ● ومنهم أبو عبد الله محمد الارشاني المتعبد

(قال) : كانت له سياحات ورياضات ورباط وعزلة وانفراد ، وحج فوق العشرين حجة ، وصام حتى نحل وغارت عيناه وعلاه شحوب ، قال ابو بكر التجيبي انشدني .

ارض بقوت تعش عزيزا      سقيا لحر كفاه قوت  
كم يرغب الراغب المعنى      حسبك فالرزق لا يفوت  
احسنت ظني فطاب عيشي      علما بانى غدا اموت

توفى رحمه الله سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وصلى عليه ابو الحسن القاسبي في جمع كثير ودفن بباب نافع رحمة الله عليه ورضوانه .

## ٢٤١ ● ومنهم أبو بكر بن يوسف الخزاعي المتعبد

(قال) : كان حسن البيان رقيق الكلام ذا عبادة وتلاوة وصلاة طويلة - وله لسان في علم القرآن والمعاملة ، يظهر الغنى ولا شيء عنده ، كثير الايثار ، صاحب كرامات كثيرة مشهورة ومعرفة بالله واخلاص في معاملته ؛ وروي ان

(I21) على ذلك اى بناء على حسن دراسته مع عالميته لا يحتاج الى كتب ، وبذلك اعفاه

من هذه الزيارة .

(I22) يعنى يجيد الخطابة .

(I23) ق : عيب .

سائلا وقف ببابه في مجاعة ولم يكن عنده الاثمنتان (124) من قمح فاراد صرفهما للسائل فاعترضته زوجته ، فقال لها خذي انت ثمنة وأنا ثمنة وحلف ان لا ياكل من ثمنتها شيئا واعطى ثمنته للسائل ، فصلى العشاء الاخيرة ودخل داره فوجد فيها قفيزا (125) قمحا ، وذلك ان بعض الناس قال له قالت لي نفسي ، ادفع قفيزا قمحا للشيخ ابي بكر في الحين والا تموت في هذه الليلة ، ثم عاوده الخاطر بما لم يقدر على دفعه فقام فحمل القفيز الى دار الشيخ ابي بكر ، فقال الشيخ ابو بكر لزوجته لو دفعنا الثمنتين للسائل لجاعنا قفيزان ، وحكى انه اشتهى يوما فقاغية فوقف على الجزار ليشتري لحما بسببها فساله سائل فدفع اليه ما كان معه من الدراهم ولم يترك ما ياخذ به اللحم فتركه ومضى فلما كان عند الفطر قدمت له زوجته فقاغية محكمة وخبزا سميدا ! فسالها عن ذلك ؟ فقالت وصل فلان بها ، فلقيه بعد ذلك وساله ، فقال اشتهيت ذلك اللون فلما حضر واعجبني خطر ببالي ان ابعثه لك فبعثته ، وحكى موفق الحجام - وكان يخدم الصالحين ويحلق رؤوسهم - قال اصبحت يوما في حانوتي فلم ياتي احد ، فقلت : اتفقد الشيخ ابا بكر لعله يحتاج الى حلق راسه ، فاخذت ماعوني وقصدت الى داره فلم اجده ، وقيل لي في دار اخته ، فلما وصلت الى الدار نظرت من خلل الباب واذا بالشيخ ابي بكر جالس على كرسي واخته تصب الماء على راسه ليحلقه ، فضربت الباب فقال لي الشيخ : ادخل ! فدخلت فحلقت راسه ، قال ابو بكر التجيبي انشدنا الشيخ ابو بكر :

ذهب الذين عليهم وجدي      وبقيت بعد فراقهم وحدي  
سلف مضوا وبقيت بعدهم      وكذلك يمضي من بقي بعدي

(قلت) : وقال ابو بكر التجيبي ايضا شهدته والقاريء يقول .

(124) الثمنة مكيل ستة اصواع .

(125) القفيز ستة عشرة وية ، الوية ثمنتان .

ان لاهل الخلود منزلة  
يقول يا صفوتي رضيتُ لكم  
داري ففردوسها لكم نُزُل  
فدو رايتهمُ وهو يكلمهم  
وقد جزى القوم بالذي عملوا  
يالك من مشهد ومن ملا  
من ربهم في الجنان اذ نزلوا

فبكي واضطرب وخلته فارق الدنيا (قال) : وكان الشيخ ابو الحسن القابسي يعظم الشيخ ابا بكر ويصب الماء على يديه عند الطعام ، وكان من دعاء الشيخ ابي بكر اللهم امتني ميتة هنيئة ولا تحوجني الى القصيرية (126) فاجاب الله دعاءه فوجد جالسا مستقبل القبلة ميت ولم يحتج الى قصيرية ولا غيرها ، وصلى عليه الشيخ أبو الحسن القابسي ودفن بسدس الليل ، وخرج العامل على القيروان الى قبره بالمشاعل ، ولما اصبح الصبح من ليلة دفنه اخبر ابو حفص عمر بن حسين المفسر قال رايت البارحة في المنام اشخاصا لم ار مثلهم مروا على دكاكين الجامع وفي ايديهم بطايق وهم يكتبون فقال لي قائل منهم لقد غفر الله لكل من حضر هذا الجنازة حتى عبدي ابي جبوس وكاننا ممن حضرها ودفن بباب نافع جوار قبر السبائي وسجنون رضي الله عنهم (قلت) : قبره عند رجلى السبائي ولا شك انه جوار لهما وهو مزار رحمه الله تعالى .

## ٢٤٢ ● ومنهم أبو القاسم عبد الخالق ابن خلف ابن شبلون رحمه الله

(قال) : جمع الفقه الحسن والاحوال السنية وسرعة الاجابة والتواضع وعلم الاحكام والنوازل والوثائق ، وكان مفتي الحاضرة والبادية مع نزاهة وقلة رغبة وعفة وطهارة صدر(127) وحسن خلق سريرته اشبه شيء بعلائيته من العلماء الراسخين

(126) انية للفضلات .

(127) ق : وطهارة وصدق .

المقتدى بهم في الدين وله مسائل في نوازل كثيرة (قلت) : ومعلوم اختلافه مع صاحبه الشيخ ابي محمد بن ابي زيد في بعض مسائل المدونة فكان هو - رحمه الله - لا يتأولها ويحملها على ظاهرها ، وراى ان ذلك اسلم له ، وكان ابو محمد يفسرها على المعنى فيتأولها كقول المدونة في مسح الخفين أرانا مالك فوضع يده اليمنى على ظاهر اطراف اصابع رجله اليمنى ، واليسرى تحتها من باطن خفه فامرهما الى حذو الكعبين ولم يبين لهم صفة رجله اليسرى ، فقال ابن شبلون : صفة مسحها كاليمنى ، ولو كانت مخالفة لها لبينها مالك ، وقال ابو محمد بل صفة مسحها على العكس لانه امكن في التناول وانما لم يبينه مالك لوضوحه (قال) : وكان يفتي كل يوم في مائة واقل واكثر ، (قلت) : وكان شيخنا ابو الفضل البرزلي يحمله على انه يجيب فيها بلسانه لا انه بالسكتب لانه لا يطبق ذلك مع ما هو فيه من إقراء العلم ، وكنت اقول له : الصواب انه يجيب فيها بخطه لا بلفظه لاهل البلدان بسائر افريقية ، ولذلك ذكر له هذا والا فانا اليوم مع صغري اجيب في مثل هذا بلفظي فيما نعرفه اذا سئلت عنه ولايقطعني عما انا فيه ، فالغرابه انما هو اجابته فيما ذكر بخطه لا بلفظه ولم يقبله مني ، والله اعلم بما كان منه (قال) : وكان الشيخ ابو اسحاق السبائي يحبه ويعظمه وقال مرة : لو قاسمته في كل ما امسكه ، فقال له خادمه ابو سعيد القلال : وهل عندك غير مصحف وجلد مصوف ؟ فقال نعطيه نصف دعائي والنصف لسائر المسلمين ، توفي ليلة الاربعاء الثامن عشر من ربيع الاول سنة تسعين وثلاثمائة ودفن يوم الخميس في داره ثم نقل الى باب سلم وصلى عليه في جمع لم يجتمع على غيره ، روي انه لما احتضر شخص يبصره نحو الباب وقال هذا ملك الموت : ادخل يا ملك الموت : سالتك بالله الا ما رفقت بي ، ثم قضى كذا حكى ابن ابنته عبد الله (قلت) : وقبره مزار ، وممارثي به رحمه الله تعالى .

مالي ارى الدنيا تفسير حالها والنور في المقبل النواظر يظلم  
وارى نفوس الخلق ذابت حسرة فجزى بها دمع يمازجه دم

عرج ببلدنا ترى لفتيها  
وانظر الى العلماء حول سريره  
شقت عليه يد العلوم جيوبها  
ذهب المحامي عن شريعة احمد  
اودى بحفظ الخلق طود رعاية  
سكن العلوم أصيب فهي ثواكل (129)  
يفشاه طلاب العلوم كانما  
في برده تقوى وبين ضلوعه  
منعى له في كل دار ماتم  
تنظر الى شمس حوتها انجم  
وبكت بكاء مذلة لا يسأم  
وسراجها بحر العلوم المفعم  
وانفلت للاسلام سيف مخدم  
ركن المعالي انقض فيهم  
بفنائه للحج عاد الموسم  
قلب معنى بالعبادة مغرم

## ٢٤٣ ● ومنهم أبو الحسن علي ابن عبد الله القطان المعروف بابن الحلاف

(قال) : كان من اهل العلم والفضل والورع والزهدي والعقل الرصين والتهجد بالقرآن وسرد الصيام فتاشا عن مطعمه ومشربه وملبسه مراعيًا للفظه ولحظه متفقدا لخواطره وسرائره ووسواس نفسه ، عامل الله بالصدق وعرف الناس فانزوى عنهم ثم انبسط في آخر عمره ، لم يُر في وقته اكبر همة ولا اصدق حالا منه ، وله سؤالات سأل عنها ابا محمد بن ابي زيد تدل على تدقيقه في الورع وتحفظه لدينه (قلت) : وكان (129) سؤاله لابي بكر بن اللباد قبله حسبما تقدم ، وهو ، قول ابي الحسن ، اجتمع الي جماعة في حانوتي بالقطانيين بعد وفاة والذي قسموا قطنا بينهم فنفضت الموضوع الذي قسم فيه القطن فاجتمع فيه من القطن نحو من وزن اربعة دراهم ، فذهب الى ابي بكر بن اللباد فسأله ما الذي اصنع بالقطن ؟ فانتهرني وقال لي يا هذا سل عن وضوئك وصلاتك ودينك فان هذا وسواس ،

(129) سكن العلوم مكانها الذي تسكن اليه وهو هنا المرثي .

(129) ق : وكذلك .

قال ابو الحسن فضاق صدري ولم اطق صبرا فغلبني البكاء والعبرة فوثب الي وجدبني الي نفسه وقبلني بين عيني وقال لي احسنت يا بني ما عرفتك فقد قيل حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزن عليكم وتجهزوا للعرض على الله (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) قال ثم امرني بما اصنع بالقطن ، (قال) قيل انه لم يخلق الورع في الدنيا الا لرجلين ابي اسحاق السبائي وابي الحسن ابن الحلاف — روي عنه انه قال — رجل لسليمان الخواص ، الا تغزو معنا ؟ قال : باى شيء اغزو معكم ؟ اني لفي جمع ثلاثة دراهم — من حلها — منذ سنة ! فقال له الرجل لو كان الناس هكذا ما غزى الروم احدا فقال له سليمان لو كان الناس هكذا لكبر المسلمون تكبيرة يهدم لها سور القسطنطينية ، وقال في وصيته ان ابن اخي يبيع الدار فاعلموا المشتري ان النمل في سقفها وان الحناش سكنها فاذا ظهرت له فليؤذنها (130) فكان كما قال الشيخ واشترى الدار الصنوبري فلما ظهرت له آذنها فلم تعد للخروج ، وكان مولده سنة ثلاثمائة ، وتوفي يوم الاربعاء في ربيع الاول سنة احدى وتسعين وثلاثمائة وصلى عليه ابو الحسن القاسبي وكثر الناس حتى سدوا الفضاء وكان يوما صاحيا والنهار قد ارتفع واذا بشيء يسقط على النعش من السماء كأنه اللؤلؤ ، وقبره بباب سلم مشهور يتبرك الناس به ويدعون عنده رحمه الله تعالى .

## ٢٤٤ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر الانصاري ابن أخى مروان (\*)

(قال) : كان كثير القيام ، ذا تهجد وجدّ وتلاوة للقرآن ، مع نسك وفقير وصدق احوال ، وله حج وعاداب ورقة ، كف بصره في آخر عمره نفعه ، الله

(130) آذنه بشر توعدده له كما في قوله تعالى : فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله سورة البقرة آية 278 .  
(\*) في ق : زيادة ، بن نصر العابد .

بصحبة عمه ، وبصحبة ابي اسحاق السبائي ، قال ابو عبد الله سمعت عمي رحمه الله يقول العازم بين هوى يوقفه وحزم يطلقه ، وكان من اهل الادب والمروءة وغزارة الدمع والسكد والذكر بالمحل الرفيع ، توفي ليلة الجمعة - ودفن يوم الجمعة - الثالث عشر لذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ودفن بباب تونس رحمه الله ونفعنا به آمين .

## ٢٤٥ ● ومنهم عبد الرحمان ابن عبد الله الخولاني الجزيري والد الفقيه أبي بكر ابن عبد الرحمان

(قال) : كان من اهل الدين والعبادة والزهد والورع صحب جماعة من العلماء والعباد وكان مختصا بصحبة مروان بن نصر العابد كثير الزيارة للعباد في الساحل ، وكان يشتري الشواشي للاطفال الفقراء ويكسوهم اياها ، وكان كل غزل ضعيف يوصى العمالين عنده ان لا يغشوا به المسلمين ويترك ناحية حتى يجتمع فيعمل منه مقاطع للعبادات والفقراء كانت وفاته في ربيع الاخر سنة اربع وتسعين وثلاثمائة ودفن بباب تونس وقبره مشهور ، ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمائة فكان في هذه السنة قحط شديد وموت ذريع حتى خلت البوادي واكثر الحواضر وخلت الاسواق والمساجد وهدمت البهايم فمات في هذه السنة عدد كثير من العلماء والصلحاء (قلت) : زاد غيره وتحول كثير من وجوه الناس فضلا عن عامتهم وسوقتهم واهل البوادي الى جزيرة صقلية لرخاء سعرها وأمن سبيلها وعدل سلطانها .

## ٢٤٦ ● ومنهم جابر ابن عبد الله ابن هاشم

(قال) : كان شيخا جوادا كثير الصدقة والرفق بالضعفاء مع معرفة وحياء وسلامة وعفة وديانة توفي في ربيع الاول (131) وصلى عليه اخوه محمد بن عبد الله ابن هاشم القاضي ودفن بباب سلم رحمه الله تعالى .

(I31) لم يذكر السنة احالة عما تقدم بالترجمة قبلها من موت كثير من العلماء سنة 395 .

## ٢٤٧ ● ومنهم أبو موسى عيسى ابن مناس (\*)

(قال) : كان فقيها مفتيا بارعا له فصاحة وجزالة وله لسان وجميل لقاء وقديم طلب وعناية بالعلم ، (قلت) : قال الشيرازي وتفقه بآبن هشام وكان الاعتماد عليه في القيروان في الفتوى والتدريس بعد أبي محمد بن أبي زيد (قلت) : ولا يقال في هذا نظر مع وجود الشيخ أبي الحسن القاسبي لانه لا مانع ان يكون كل منهما مفتيا. وكان شيخنا أبو الفضل البرزلي يقول انما تولى بعد أبي بكر في طبقتهم الدلفيون (132) ، والف ابن مناس كتاب القصر وكان يفتي في اللازمة بطلقة (133) (قال) وتوفي في ربيع الآخر (قلت) : وبخط أبي عمران الفاسي توفي في ربيع الاول سنة تسعين ، وقال غيره توفي سنة احدى وتسعين .

## ٢٤٨ ● ومنهم عبد الواحد ابن الشيخ أبي الحسن القاسبي

(قال) : كان من اكرم الناس وانضروهم وجها واحلامهم معنى ، نشأ على طهارة وربى في حجر امام هدى ، وكان درسا حافظا للقرآن والفقهاء ، ووصل الى المشرق فحج ، توفي في ربيع الآخر من السنة المذكورة وصلى عليه والده ودفن بباب تونس (قلت) : وقبره في حوطة ابيه من جهة القبلة معروف وكان عينه لي شيخنا أبو الفضل البرزلي لما كان يزور بنا .

## ٢٤٩ ● ومنهم أبو بكر أحمد ابن أبي بكر الزويلي

(قال) : كان من العلماء العباد الزهاد المتبتلين المجتهدين المبرزين مع حفظ للقرآن ومعرفة بتفسيره وورع ورقة وكد وجد ، صلى حتى اقعده وصارت مباركة

(\*) مضبوط في ق : بدون تشديد .

(I32) هذا الاسم غريب وكتبه في ق : هكذا الزلفيوني والاقرب ابن شبلون وقد مر

قريبا انه كان مفتي الحاضرة والبادية .

(I33) وهو منزع اجتهادى مخالف للفقهاء .



كمبارك الابل ، وكانت له اشارة في المعاملات سالم الصدر قليل المثل ، (قلت) : وفي قوله ومعرفة بتفسيره بتر ، لقول غيره عارفا بناسخه ومنسوخه وقراءاته وتفسيره مقدا في ذلك على غيره في اهل عصره ، إذ ليس في كلامه ما يدل انه مقدم على غيره في عصره ، واما معرفته بقراءاته فيدخل في كلامه ، (قال) : توفي ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الاولى من السنة المذكورة ودفن بباب سلم رحمه الله .

### ٢٥٠ ● ومنهم أبو جعفر أحمد ابن خلف الاجدابی

(قال) : وكان ذا فقه بارع وجدل وأدب وكرم نفس وطلاقة وجه وجميل خلائق محببا في الناس مع تهذيب ، (قلت) : زاد غيره صالحا فاضلا جليلا صاحب احوال سنية وهمة عالية ، (قال) : توفي يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الاول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

### ٢٥١ ● ومنهم عبد الله ابن بنت أبي القاسم ابن شبلون

(قال) : كان من اهل العلم والمروءة وعلم الاقضية والاحكام والوثائق والادب والشعر توفي مع الاجدابی ودفن بدار جدده .

### ٢٥٢ ● ومنهم أبو القاسم عبد الله ابن القاضي محمد بن عبد الله ابن هاشم

(قال) : نسيح وحده وفريد وقته لا يعرف أحد على سيرته وطريقته في سمو نفسه ورقة طبعه وجميل فعله وشرف اخلاقه وجلالة قدره وسماحته وكثرة صدقته ، توفي ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الاول من هذه السنة وصلى عليه والده القاضي ودفن بباب سلم .

## ٢٥٣ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن اسماعيل المهدي

(قال) : كان جميل المنظر حسن المخبر كريم النفس وطيب الخلق ، من جلة طلبة الشيخ ابي الحسن القاسبي والمقدم فيهم لحفظه وصيانه وادبه وورثاسته ونفاسه نفسه ، وكان اوصى عند موته للشيخ ابي الحسن القاسبي بمائة دينار ذهباً ، توفي لسبع بقين من جمادى الاولى قبل موت ابي بكر الزويلي بلبلة رحمه الله تعالى (في السنة المذكورة) .

## ٢٥٤ ● ومنهم أبو سعيد خلف ابن منصور القلال المعتبد خديم الشيخ أبي اسحاق السبائي رحمه الله

(قال) : كان رحمه الله رجلاً صالحاً فقيراً زاهداً حريصاً على الخير وطيب الخلق نزيه النفس فاضلاً نفعه الله بصحبة الشيخ ابي اسحاق وخدمته ، توفي في هذه السنة ودفن بباب نافع بالقرب من قبر الشيخ ابي اسحاق السبائي رحمه الله .

## ٢٥٥ ● ومنهم أبو عبد الله محمد بن اسحاق ابن التبان أخو أبي محمد

(قال) : كان من المتعبدين ذا رقة وبكاء وتلاوة متفنناً في كل علم ، ختم اربعة آلاف ختمة : وقيل خمسة آلاف ! وبكى حتى عمى ، وكان رقيق القلب كثير الخشية على وجهه نور وعليه قبول قال ابو بكر التجيبي انشدني ابو عبد الله ابن التبان .

الموت لا بد آت فاستعد له ان اللبيب بذكر الموت مشغول  
وكيف يلهو بعيش أو يلذ به من التراب على خديه مجبول

توفي يوم الخميس ودفن عصر الجمعة السابع من المحرم سنة سبع وتسعين وثلاثمائة وصلى عليه القاضي عبد الرحمان بن محمد بن هاشم ودفن بالرمادية .

## ٢٥٦ ● ومنهم أحمد بن محمد النجار

(قال) : سماه ابو اسحاق السبائي أحمد بن بلفظ الثنية لحفظه الحديث والرقائق وكان يحدث ويعظ ويحكي اخبار العباد والابدال من صدره ، وكان طويل اللسان حسن البيان يسرد الصيام ويتعهد بالليل والناس نيام ، قد كسى وجهه نورا ، توفي في ليلة الثلاثاء ، وصلى عليه محمد بن الحلال لا حدى عشرة من المحرم سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، ودفن بباب نافع رحمه الله تعالى .

## ٢٥٧ ● ومنهم أبو الحسن علي ابن الساحلي غاسل الموتى

(قال) : كان من اهل التقشف وسرد الصيام والجد والسكدة والصلاة في جنح الليل ، وأقام يحضر مصلى الجنائز بباب سلم اربعين سنة ، ذو نسك وزهد وعبادة ، توفي في الثامن من المحرم سنة سبع وتسعين وثلاثمائة وصلى عليه عبد الرحمان بن الكاتب الفقيه ودفن بباب سلم وقبره معروف رحمه الله تعالى .

## ٢٥٨ ● ومنهم أبو عبد الله محمد الزيات رحمه الله تعالى

(قال) : كان من اهل الحديث وتصنيف الكتب والاداب والاخبار (قلت) : قال غيره كان خيرا فاضلا ثقة صالحا من اهل القرآن والعلم والتفقه والفهم عارفا بالحديث ووجوه مشهورا بذلك ، نشأ في العلم ومات عليه لم يُر مثله في المحدثين وقارا وسمتا كثير الانقباض والتصاوت حسن التصنيف اماما في العربية ، والاداب والاخبار ، (قال) : توفي يوم الجمعة في رجب من هذه السنة يعني سنة سبع قال وصلى عليه ابو سعيد الحرمي رحمه الله تعالى .

## ٢٥٩ ● ومنهم القاضى محمد بن عبد الله بن هاشم

(قال) : كنيته ابو بكر (قلت) : وقال العواني كنيته ابو عبد الله وما اظنه

الا وهما منه ، (قال) : كان من دعائم الكرم وقواعد الجود الماثور من السلف ذو عقل وصيانة وتواضع واتباع لسنن اهل الدين مع فقه وورع وإيثار وخشية كثير الذب عن الاسلام واهله ، تصدق باموال ورثها عن ابيه وبها جاد ، ولم يُر احد على مثل جوده في زمانه ، جمع العلم والقرآن وقام به ، توفي في نصف شعبان وصلى عليه ولده القاضي عبد الرحمان غداة يوم الجمعة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ودفن بباب سلم رحمه الله تعالى .

## ● ٢٦٠ ومنهم أبو الفضل العراقي المتعبد رحمه الله

(قال) : كان كثير الفضل والايثار ، وكانت له ضيعة ورثها من اجداده ياكل منها حلالا ويبعث من طعامه وصابته الى العلماء والمتعبدين بقدر ما يكفى كل واحد منهم في سنته ، وكان كثير العبادة صام ستين سنة حتى ضعف بصره فقيل له الا افطرت فان الصيام يضر ببصرك ؟ فقال لا والله لا افطرت الا بين يدي الله تعالى ، توفي ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، وصلى عليه ابو عبد الله الخوَّاص الفقيه ودفن بباب سلم خلف المصلى رحمه الله تعالى .

## ● ٢٦١ ومنهم أبو بكر الحذاء الزاهد المتعبد

(قال) : كان ذا حج واسفار وتغرب عن الاوطان ، من اهل الجد والاجتهاد والانزواء ، وله رياضة حسنة واحوال شريفة ، وكنت اذا نظرت اليه ذكرت الله ، قد غارت عيناه ونحل جسمه وجف جلده على عظمه ، أقام ملازما للصيام والقيام سبعين سنة لانه تعبد وهو مناhez الاحتلام ، يحذو (134) النعال في داره ، رحل الى

(I34) في ق : يخدم ، وهما بمعنى واحد .

المشرق فصحب ابا الحسن بن العزافي خمس عشرة سنة بمصر يحج في كل سنة حجة ، (قلت) : في كلامه بتر لزيادة غيره : ويزور زورة (قال) : ثم رجع بعد ذلك الى افريقية فسكن زغوان وكان ياتي الى القيروان مستترا للزيارة ، له بنات كلهن متزوجات لاولاد اخيه خوفا ان يراه الناس ، ولم يزل بزغوان متعبدا الى ان مات بها سنة اربعمائة في نصف جمادى الاولى رحمه الله .

(قلت) : قال ابو بكر التجيبي حدثني ابو بكر الحذاء ، قال حدثني ابو الحسن بن العزافي بدمياط ، قال حدثني عمرو بن علي الدينوري بالمسجد الحرام ، قال ابراهيم التميمي (135) بينما انا في الجبانة اعتبر بالموتى واذكر طول البلا إذ رايت شابا قد استغرقه الوله ، فسلمت عليه وقلت له : من اين اقبلت ؟ قال : من هذا العسكر - و اشار الى المقابر - فقلت : واي شيء قلت لهم ؟ قال قلت : متى ترحلون ؟ قالوا حتى تقدموا قلت : انى اراك حكيمًا فاخبرني من أين سلوك الطريق في كبد فجاج المضيق ؟ قال : من ضعف دعائم التصديق ، قلت : أخبرني عن الصادق لله في حبه متى يشاق الى قربه ؟ قال ، اذا نزع حب الدنيا من قلبه ، وتبرم ببقائه ، واشتاق الى لقائه ، قلت : متى النجاة من الناس ؟ قال : عليك بالفرار ، فى البراري والقفار ، فقد اشتدت مثونة الزمان ، فالتق نفسك مع القدر حيث القاك ، وانعم لعيشك واقلل لفنالك .

● ٢٦٣ ● ومنهم أبو محمد عبدون ابن الشيخ أبي محمد التبان  
رحمه الله تعالى

(قال) : كان من اهل العلم والرقه والادب وغزارة الدمع مع كرم ومروءة وصدق نية ومعونة ومعرفة بالكلام والفقه ، توفي يوم الاثنين السادس من ذي

القعدة سنة احدى واربعمائة وحمل لدار الشيخ ابي الحسن القابسي فصلى عليه ،  
ودفن بالرمادية مع ابيه رحمه الله تعالى .

### ● ٢٦٣ ومنهم أبو الحسن علي بن حمديس المتعبد المؤدب الفاضل

(قال) : كان من العبّاد المجتهدين المحزونين يختم كل ليلة ختمة ، وله في  
شهر رمضان تسعون ختمة واذ قرأ الوعد والوعيد بكى بكاء النائحة الشكلى التي  
لا ترقأ لها دمة ، وكان قوته في الشهر اثني عشر مدا ، وصام احدى وخمسين  
سنة ولم ياكل اللحم قريبا منها ، وختم نيفا وثلاثين الف ختمة ، توفي يوم الاربعاء  
ودفن غداة يوم الخميس بباب سلم لعشر بقين من ربيع الاول سنة ثلاث واربعمائة  
وصلى عليه ابو الحسن القابسي بوصيته له بذلك فى عدد لا يحصون ، واتصل التكبير  
الموارد بالتكبير على المنار لضيق الشارع رحمه الله تعالى .

### ● ٢٦٤ ومنهم الشيخ أبو الحسن علي ابن محمد بن خلف المعافرى المعروف بابن القابسى الفقيه رحمه الله

(قال) : عياض ولم يكن قابسيا وانما كان له عم يشدّ عمامته بشدّ قابس  
فسمى بذلك وهو قيرواني الاصل (قلت) : وهذا فيه نظر ، وظاهر قولهم المعروف  
بابن القابسى يقتضى ان والده كان من اهل قابس ، فاما ان يكون اتى للقيروان  
وتزوج بها وتزايد له بها واما ان يكون اتى به صغيرا ، ولما وليت قضاء قابس  
وجدت بقربها قرية خالية تسمى بالمعافرين وفيها مسجد يقصد الناس الصلاة فيه  
تبركا به ويقصدونه بالوعادات يقال له مسجد سيدى علي ولا يدرون من يكون عليا ؟  
فلما خطبت خطبة العيد انجر فى كلامي انه ينبغى للانسان ان يكثّر من زيارة قبور  
الصالحين ، وان يوصى بالدفن فى جوارهم ، ثم ذكرت الحكاية الاتية : وهي

ان الشيخ ابا الحسن القاسمي لما دفن بالقيروان رأى رجل في منامه كان رجلا خرج من قبره فقال : لي اليوم في العذاب اربعين سنة فلما دفن هذا الشيخ ابو الحسن عندنا غفر الله لي ولجميع من في المقبرة ، فسألني بعضهم من اي بلدة هو ؟ قلت هو ينسب للمعافرين فجزموا - من محبتهم في ذلك المسجد وفرحهم بالحكاية المذكورة - أنه صاحب ذلك المسجد فزاد تبركهم وصلاتهم به وجددوا ما اختل من بنائه وقالوا : لما كان الشيخ اسمه علي ويعرف بابن القاسمي وبلده المعافرين وهذا المسجد بالمعافرين وسمى عندنا بالتواتر مسجد سيدي علي فهو المراد لا غيره ، ونرجوا من الله ان يحشرهم في زمرة وقد قال عليه السلام ، من احب قوما حشر معهم .

(قال) : سمع بافريقية من ابي العباس عبد الله بن احمد الايباني ، وابي محمد عبد الله بن مسرور التجيبي ، وابي عبد الله بن مسرور العسال ، وابي الحسن علي بن بدر بن هلال وابن اسحاق السبائي وابي القاسم زياد بن يونس اليحصبي السدري وابي الحسن علي بن محمد بن مسرور العبدي الدباغ وابي الحسن علي ابن محمد الخولاني (قلت) : وتقدم ان اعتماده كان على الدباغ ، وظاهر تعيين من ذكر دون غيره يقتضي انه لم يقرأ على ابي بكر بن اللباد (قلت) : ثم رحل الى المشرق سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وحج سنة ثلاث وخمسين ، ثم عاد الى مصر فاقام بها يسمع الحديث ، فسمع بالاسكندرية من ابي الحسن علي بن جعفر الثاباني وسمع بمصر وبمسكة من جماعة يكثر عددهم ، (قال) : ثم عاد الى القيروان سنة سبع وخمسين ، (قلت) : وسمع منه خلق كثير منهم ابو عمران القاسمي ، وابو بكر بن عبد الرحمان ، وابو القاسم الليدي ، وابو عبد الله المالكي ، وابو علي حسن بن خلدون ، وابو القاسم بن الكاتب ، وابو عبد الله محمد بن ابي موسى عيسى بن مناس ابو عمرو السداني .

(قال) : وله تواليف منها الكتاب الممهد - بلغ فيه الى ستين جزءا ومات

ولم يكمله - وهو كتاب كبير كثير الفائدة مبوب على ابواب الفقه جمع فيه بين الحديث والاثر والفقه ، أجازته لجماعة منهم ابو عمرو عثمان بن سعيد السداني المقرئ ، وله كتاب الملخص ، وكتاب المنبه للفطن ، والمبعد من شبه التاويل ، ورسالة فى الاعتقادات ، والرسالة الناصرة ، ورسالة فى الذكر والدعاء ، ورسالة أحمية الحصون ، وكتاب المناسك ، والرسالة المفصلة لاحوال المعلمين والمتعلمين ، وغير ذلك من تواليه ، وقد اشغلته العبادة عن التأليف فان اوقاته كلها كانت عامرة بالخير .

#### (ذكر ثناء العلماء عليه)

(قال) : كان عالما عاملا جمع العلم والعبادة والورع والزهد والاشفاق والخشية ورقة القلب ونزاهة النفس ومحبة الفقراء ، حافظا لكتاب الله ومعانيه واحكامه ، حافظا للسنة عالما بعلوم الحديث والفقه واختلاف الناس ، سلم له اهل عصره ونظروه فى العلم والدين والفضل ، كثير الصيام والتهجد بالليل والناس نيام مع كثرة التلاوة ، وكانت فيه خصال لم تكمل الا فيه ، منها القناعة ، والرفق باهل الذنوب ، وكتمان المصائب والشدائد ، والصبر على الاذى ، وخدمة الاخوان والتواضع لهم والانفاق عليهم وصلتهم بما عنده ، قد نشر الله له لواء الولاية وحلّاه بحسن النية (قلت) : وكان ابو سعيد بن أخى هشام يعظم ابا الحسن القاسمى ، ويقول : ابو الحسن لا يحاسب على مكيال ولا ميزان وان كان لا يدخل الجنة إلاّ مثل ابي الحسن فما يدخلها منّا احد ، وقال الشيرازى جلس مجلس ابن شبلون بعد وفاته ، وقال ابن سعدون لما طلب للفتوى وعزم الناس عليه تابى وسدّ بابَه دون الناس ، فقال لهم اكسروا عليه بابَه لانه قد وجب عليه فرض الفتيا هو اعلم ممن بقى من القيروان ، فلما رأى ذلك خرج اليهم ينشد :

لعمري ابيك ما نسب المعلى الى كرم ، وفى الدنيا كريم  
ولكن البلاد إذا اقشعرت وصوّح نبتها رعى الهشيم



وقال ابو الحسن القاسبي لما رحلت لتونس الى ابي العباس الابياني انا وابو محمد الاصيلي وسعيد بن سعادة القاسي كنا نسمع عليه ، فاذا كان بعد العصر ذاكرنا في المشكل . فتذاكرنا يوما وطال الذكر فخصني بان قال لي : يا ابا الحسن لتضربن اليك آباط الابل من أقصى المغرب ! فقلت له ببركتك ان شاء الله ولما نرجوه من النفع ، ثم جرى لي معه مرة اخرى كذلك ثم ذاكرني يوما فاستحسن فهمي في ذلك فقال لي مثل ذلك فقلت ببركتك ان شاء الله ، فقال لي والله لتضربن اليك آباط الابل من أقصى المغرب (قلت) : في حلف الشيخ الابياني دليل على انه يجوز عنده اليمين على غلبة الظن وليس بغموس ، وفي النوادر عن محمد بن المواز انه غموس كالشك ، وعلى هذا القول فاختلف فيه وفي الشك اذا وافق ما حلف عليه فالأكثر على انه آثم ، وقال محمد لا شيء عليه ، وهو بعيد لان كون الحلف والحالة كما ذكر غموس يقتضي الاثم لجبرأته . وان وافق ، ودعا له الشيخ ابو اسحاق الجبنياني عند رجوعه عنه اول ما زراه بما دعا له به ابو اسحاق السبائي وهو أعلى الله قدرك في الدنيا والاخرة ، ولما قدمت اليه دابته ليركبها امسك الجبنياني بركابه كعادته لمن قبله من علم او خير .

(ذكر عبادته وتعظيمه للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه وورعه)

(قال) : قال ابو عبد الله محمد بن عبد الله المالكي كان يُحبي ليلة الجمعة فلا ينام فيها البتة ، وربما احبب غيرها من الليالي ، واما شهر رمضان فكان يقوم ليله كله يتهجده فيه بالقرآن مع قطع نهاره بالتلاوة والذكر والصلاة ، وكان اذا مر بآية في تهجده فربما ردها باكيا الى الصباح ، وقد صلى ليلة من الليالي بخصمة من اول الليل الى آخره ، فلما صلى الصبح جلس لالقاء المسائل الى الظهر ، ولما تفرق الناس عنه قال لي : يا بني اعمل فلو علمت ان هذا الضعف يدركني عند كبري لاستغنمت ايام شبيبتني ، وكان هذا قبل وفاته بنحو العامين ، وكان يصوم ويفطر الا في رجب وشعبان فما رثي فيهما مفطرا قط ، وكان

يصوم ايضا في شوال وذى القعدة وعشر ذي الحجة ويصوم المحرم ولقد صام سنة كاملة واراد التماسدي على الصوم فضعف جسمه وضاق خُلُقُه ، ولقد ختم القرآن بقصر ابي الجعد (136) من الظهر الى العصر ثم صار بعد ذلك يتفهم القرآن .

واما تعظيمه للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم فشيء كثير ، كان اذا استدعاني لعلم او لعبادة او لقربة قال يا محمد واذا استدعاني لقضاء حاجة يقول لي يا مالكي اعظاما لاسم محمد صلى الله عليه وسلم ان ينادي به في غير قربة ، وكان من اصحابه المتصرفين في خدمته رجل عثمانى (137) ولم يعلم بنسبه فلما علم بعد ذلك استدعاه وقال يا بنى لو علمت انك عثمانى ما صرفتك ، واما ورعه فشيء لا يطاق ، وذكر انه احتاج الى غسل يديه فاوتي بماء من المسجد فامتنع من الغسل به ! وقال انما جعل للشرب ولم يجعل لغسل اليد ، (قلت) : في هذا نظر ، وليس هذا من باب الورع وانما هو من باب الواجب إذا كان ماؤه محبسا على من يشربه فقط كما هو ظاهر لفظه ، قال - وظاهر نقله عن المالكي - وكان لا ياكل ما يباع بصبرة ولا ما يشتري منها ولا يشرب من ماء العين التي تاتي من صبرة ، واخبر انه كان في صغره أخذ سنبله من زرع فتصدق عن صاحبها بقمح كثير ، وكان بعد ذلك يقول : في نفسي منها شيء (قلت) : وكان شيخنا ابو الفضل البرزلي اذا نقل هذه الحكاية يقول عنه : اخذت سنبله من حد بين زرعين ورميت بها على احدهما وتصدقت عنه باقفزة قمحا ، ولا ازال اخافها ، (قال) :

(I36) هو من مجموعة رباطات المنستير قال الشريف الادريسي في نزهة المشتاق ومن سوسة الى قصر سقانص ثمانية أميال ومن سقانص الى قصر ابن الجعد أربعة أميال ومنه الى قصر المنستير ميلان الخ ، وقول الادريسي ( ابن الجعد ) أولى بالصحة .

(I37) يظهر انه منسوب الى الخليفة الثالث رضى الله عنه .

وقد كان بعث اليه عبد الله بن السكاتب صاحب القيروان ليساله عن حرف في القرآن فلم يجبه حتى قال له اخوه ابو سعيد : يا اخي اني اخاف منه على نفسي ان لم تجبه ! فسار الشيخ ابو الحسن اليه ، فلما دخل اخذ يعلم مواضع قاميه من الارض : فلما دخل عليه لم يسلم وجلس ، فسئل عن الحرف الذي أشكل عليهم فلم يجب بشيء فقرا القاري ذلك الحرف مرة بعد اخرى وهو ساكت ، حتى قرأه بالصواب فإشار اليه اي نعم ، ثم خرج من عنده وما وافاه بكلمة تورعا ! فلما رجع أخذ يتبع آثار قدميه في السير فيضع فيها قدميه لثلا يكثر الخطأ في الارض المغصوبة .

(قلت) : ظاهر هذا يقتضي ان الشيخ انما عمي في آخر عمره ، ومثله قوله فيما تقدم لما مات ابن ابي زيد بسكى عليه القابسي حتى كاد ان يعمي ، وهو خلاف ظاهر قول عياض - فان كلامه يقتضي احد امرين اما انه خلق أعمى واما انه عمي في صغره - في قوله : كان فقيها اصوليا متكلمًا مؤلفًا مجيزًا وكان أعمى لا يرى شيئا وهو مع ذلك من اصح الناس كتبًا واجودهم ضبطًا وتقييدًا يضبط كتبه بين يديه ثقات اصحابه ، والذي ضبط له البخاري - في سماعه على ابن ابي زيد (138) بمكة - أبو محمد الاصيلي بخط يده ، وسميت ممن اثق بنقله : أن الشيخ ابا محمد بن ابي زيد اتاه راعى غنمه بشاة فامر ببيعها الى الشيخ ابي الحسن فامر بذبحها ، فلما ذبحت وسلخت رمى بطرف منها الى قطنه فشمته ولم تأكلها فامر بردها الى ابي محمد ، فسأل ابن ابي زيد الراعي فقال له انها اختلطت حلي غنم ولم يات لها طالب ! فعجب ابو محمد وقال افني غنمي الحرام ؟ قطة ابي الحسن القابسي أروع منك يا ابن ابي زيد !

(I38) هكذا وهم فانهم لم يذكروا ابن ابي زيد في سماعات المترجم والصواب كما في طبقات مخلوف انه أبو زيد المروزي .

## (ذكر إجابة دعائه)

كان الشيخ ابو الحسن معروفاً بالاجابة ، فكان إذا دخل محرابه وانتفتحت عيناه واحمرت ولجأ الى الله عز وجل ورثي ذلك منه انتظرت اجابة دعوته ومنتهاها ثلاثة ايام ، وكان بالمهدية نصراني - ابن اخي حاضنة باديس صاحب القيروان - فافتض هذا النصراني صبية شريفة ، فلما سمعت بذلك العامة قتلوه ، فبلغ ذلك باديسا فعظم ذلك عليه وارسل قائدا بعسكر الى المهديّة وامر بقتل كل من بلغ ، فبلغ ذلك ابا الحسن فدخل المحراب واقبل على الدعاء في كشف هذا ، فلما وصل القائد الى قصر مسور قرب المهديّة بات فيه ، فقام بالليل وهو سكران يمشي على السطح ، فمشى في الهواء فسقط على راسه وانثر دماغه ، وجاء البريد بذلك الى باديس واعلم بدعاء ابي الحسن فرعب لذلك ، وقال لابسي العرب وكبراء رجاله : تمشون للشيخ ، فلما ضربوا عليه وأعلم بهم قال لهم : تمضون الى الجامع حتى ياتيكم العلماء - ولم يدخلهم الى داره - ووجه الى ابي بكر بن عبد الرحمان ، وابي عمران القاسي ، وابي القاسم بن الكاتب وأبي عبد الله المالكي ومكي المقدسي (139) وأبي عمر بن العتاب ، والخواص ، وابن سفيان ، وغيرهم وأملنى عليهم رسالة فيها باسم الله الرحمان الرحيم بالله استعين وعليه اتوكل ، الغوث الغوث بما حل بالمسلمين من الافتيات عليهم ، وفي فصل منها : كيف يحل لمن يعتقد الاسلام ان يقوم في دم كافر افتض صبية من سلالة المصطفى صلى الله عليه وسلم لو انطبقت السماوات والارض من اجل هذا الفعل لكان قليلا ، وقال لاصحابه اذا وصلتكم الى الجامع فليقراها واحد منكم على المنبر ممن له صوت ، ففعلوا ذلك ، فجعل القواد يقول ، بعضهم لبعض : والله ما السلطان الا هذا الشيخ (قلت) : هكذا كانت همة العلماء لماً لم يحضر السلطان باديس لم يحضر الشيخ معهم فابقي نفسه اشارة الى هذا والله اعلم .

(ذكر بقية اخباره)

(قال) : كان رجل من اصحاب الشيخ ابي الحسن غره القمر ليلة فاخذه الحرس بالقيروان فاستعاذ بهم واعلمهم بانه ضيف ومن اصحاب القابسي فلم يلتفتوا اليه وحملوه الى السجن واودعوه الحرس ، فاطلع رجل من غرفة على ذلك فلما اصبح اعلم الشيخ ابا الحسن بذلك ، فقال له اذهب فاخرجه من السجن وثق بالله - أو كما قال - فذهب الرجل فدخل السجن حتى وصل الى الرجل دون ان يعترضه احد ، فوجد الرجل في ثقل الحديد فلم يقدر الرجل على الخروج في حديده ، فرجع الرجل الى ابي الحسن فاخبره ، فقال له اذهب بحداد يحل عنه ، فاخذ الرجل معه حدادا حتى حل عنه حديده في السجن ، وخرج ثلاثتهم وحرس السجن ينظرون اليهم فلا ينكرون عليهم شيئا مما صنعوه او كأنهم لم يروهم او كأنهم القى عليهم النسيان ، (قال) : قال ابو عبد الله بن سعدون عن شيوخه : انا ابا الحسن جاءه سائل فساله فلم يجد ما يعطيه فقال له اقلع هذا الفرد باب وخذه ففعل ذلك السائل .

(قلت) : كانت عجوز بالقيروان سالحة وبلغ من حالها انها اتته يوما وهو في ميعاده فقالت له : يا علي يابني تعال : فقام اليها الطلبة ينكرون عليها فقال خلوها فانها عجوز الحارة فقام اليها ، فقالت : يابني فاني اخرج في الليل الى الجامع لصلاة العتمة وعرضت لي طريقان : طريق قريب فيها ضوء مصابيح اهل السوق وفي اموالهم اشتباه ، وطريق بعيد ليس فيها ضوءهم فهل اتجنب الطريق الاولى ام لا ؟ فقال لها تجنبي ذلك فان في اموالهم اشتباهه ورجع الشيخ ابو الحسن عنها وهو يبكي ويقول اي والله على علوش (140) والله ما خطر لي هذا الورع قط ، وهذا يدل على انه لم يخلق اعمى (141) ، واتت اليه رضى الله عنه يوما آخر فقالت

(140) العلوش حمل الغنم معروف وكان نذره كفارة عن غفلته عما فكرت فيه العجوز .

(141) سبقت هذه الملاحظة قريبا .

له يا علي ذلك الرجل الطويل الذي كان البارحة يحدثك من الطاق من هو ؟ فقال لها هو الخضر و انت اليه يوما آخر فصاحت له واسرت له شيئا فرجع الى اصحابه وهو حزين يبكي وقال ما بقي اليوم ميعاد ، فخرجوا الى العجوز وهم ينمونها ومضوا اليها وقالوا ما الذي قلت له حتى قطع علينا الميعاد ؟ فقالت لهم : فانه حلفتني ان لا اذكره في شيء من هذا الوقت ، فلما كان بعد ايام مات الشيخ ابو الحسن ، فمضى اصحابه الى العجوز فسالوها ما الذي قالت له ؟ فقالت لهم فاني رايت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي أتقرا للشيخ أبي الحسن السلام وقل له : تاهب فانك عندنا ليلة الاثنين : فحلفتني ان لا أذكره حتى يموت ، فهذا الذي معنى من ذكره ، (قلت) : ولما كان قوله عليه السلام تاهب يشعر بانه يجدد عملا صالحا حزن وبكى لا انه لفراقه للدنيا والله اعلم .

(اذكر موته وما يتعلق بذلك)

(قال) : وتوفي رحمه الله ليلة الاربعاء ودفن يوم الخميس صلاة الظهر لثلاث خلون من ربيع الاخر سنة ثلاث واربعمئة وما ذكره مثله نقل غيره ، وهو خلاف ما فوقه (142) (قال) : وله من العمر ثمانون سنة الا خمسة اشهر وذكر بعد هذا ان الذي غسله هو مكّي بن عبد الرحمان الانصارى (قال) : وصلى عليه ابو عمران الفاسى فيما بين الماغل ومقبرة باب تونس فى امم لا تحصى ودفن بباب تونس ، وضربت الاخبية على قبره وبات عليه عالم كثير ، ورثاه الشعراء بنحو المائة مرثية واقيم المبيت على قبره وانشدت المرثية سنة كاملة ، وقال المالكي راي رجل صالح ممن كان احتسب نفسه للمبيت على قبره والقراءة عليه كان رجلا خرج من قبره فقال لي اليوم في العذاب اربعون

(142) هذه العبارة غير ظاهرة وفى ق : خلاف ما قد قال وهى ايضا مشكلة فان المصدر كلها لا خلاف بينها فى تاريخ الوفاة والظاهر ان هناك نقصا ولكنه غير مخل بالسباق .

سنة فلما دفن هذا الشيخ ابو الحسن بيننا غفر لي ولجميع الموتى ، قال المالكي وقنط الناس بالقيروان سنة تسع او سنة ثلاث عشرة واربعمئة فرأى رجل صالح كأن قائله يقول له في منامه استسقوا بهذا الهرموس قال قلت ومن هو ؟ قال ابو الحسن القابسي : فاصبح الرجل فاتاه الى قبره وتوسل الى الله به فسقى الناس مطرا وابلا ، وما من احد تنزل به مهمة او ملمة او فاقة في معيشة فيتوضا ويأتي قبره ويصلي ركعتين ويتوسل الى الله به الا ويخرج من عسره ذلك ، هذا مجرب صحيح .

(قلت) : والصلاة في هذا هو ان لا يجعل القبر بين يديه بل يصلي عن يمين القبر او عن يساره كما هو موجود في قبر الشيخ بمحراب خارج عن قبره عن يمينه يصلي فيه من شاء ، وعلى هذا يحمل قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد من دونك ، وكان شيخنا ابو الفضل البرزلي ينقل ان ابا عمران الفاسي ممن اقام على قبره مدة السنة مع من اقام وان ابا الحسن القاسمي وقف له في المنام وقال يا ابا عمران ادخل القيروان وفقه اهلها في الدين نورت قبري نور الله قبرك وعوام القيروان عندنا يقولون ان من يدفن بمقبرة الشيخ ابي الحسن القابسي فانه يحتاج عنه منكرًا ونكيرًا وان ابا يوسف يعقوب بن ثابت الدهماني رآه في المنام فقال له يا ابا الحسن ما يقال عنك انك تحتاج عن كل من يدفن بمقبرتك منكرًا ونكيرًا اصحيح هو ؟ فقال له نعم حتى عنك يا ابا يوسف ، وانه السبب في دفن الشيخ ابي يوسف تحت رجلي ابي الحسن القابسي : وهذا الذي قالوه لا تدفعه النصوص ، ولعله من نقل بعض العلماء سمعوه ، وقد قال الشيخ القرطبي في تذكرته : من الناس من لا يرى منكرًا ونكيرًا ومنهم من يراهما ومنهم من يكلمه احدهما ومنهم من يكلمانه معًا ، وهذا الذي ذكره اخص من الحاجة فان الحاجة تقتضي ان من في مقبرته يراهما ولكنه يحتاج عن الميت (قال) : وفضايل ابي الحسن لا ينفي بها هذا الكتاب المختصر ، وقد ألف فيها تلميذه ابو عبد الله محمد المالكي كتابا اقتضيت منه نبذا يسيرة ،

## ٢٦٥ ● ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد اللمائي

(قال) : لقي عبد الله بن جعفر بن الورد البغدادي بمصر وحدثه باختصار السيرة لابن هشام عن البرقي عنه ، ولقي ابا بكر بن ابي الموت ، وكان من العلماء الاجلة ذا خلق حسن واشارة جميلة وسمت وسكينة ومنطق بليغ ، وكان الشيخ ابو الحسن القابسي يكرمه ويصله ، وكانت له دنيا وافرة فزالت عنه في آخر عمره ، قال ابو بكر التجيبي انشدني ابو محمد بن اللمائي .

المال للمرء في معيشته خير من الوالدين والولد  
ومن يطل سقمه عليه يجد خيرا من المال صحة الجسد  
وما لمن نال فضل عافية وقوت يوم فقير الى احد

## ٢٦٦ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن اللحام

### امام الجامع بالقيروان

(قال) : كان منور الوجه جميل الهيئة ذا تقوى وإيثار ووقار وهيبة توفي يوم الاربعاء السابع عشر من جمادى الاخرى سنة اربع واربعمئة ودفن بباب سلم عند العصر رحمه الله تعالى .

## ٢٦٧ ● ومنهم الشيخ العارف المحقق أبو القاسم عبد الرحمان

ابن محمد بن عبد الله البكري الصقلي امام الحقيقة

وشيخ أهل الطريقة رضى الله عنه

(قال) : سمع بالقيروان على ابي الحسن علي بن محمد بن مسرور الدباغ ، وحبيب بن نصر الجزري ، وأبي العرب محمد بن احمد بن تمم ، وزيايد بن يونس



اليحصي ، و ابي اسحاق بن ابراهيم بن احمد السبائي ، وسعد بن ملك بن عبادة ، و ابي بكر بن سعدون صاحب ابي عقال ، و جماعة كثيرة ورحل الى المشرق فلقى ابا عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم البلخي ، و ابا الحسن علي بن احمد بن زكرياء الهاشمي ، و علي بن الحسين بن فنदार القاضي ، و ابا بكر بن عتيق بن موسى بن هارون الخاتمي ، و سمع بمكة على ابي بكر محمد بن الحسين الاجري - سنة خمسين و ثلاثمائة - و جمع الحديث و الفقه و اصول الفقه و التصوف و الصلاح و الزهادة و له تواليف ابداع فيها و برع ، منها كتابه المسمى بانوار الصقلي اتى فيه بانواع المعارف و اسرار التصوف ما اربى فيه على غيره ، و فيه المعاني الجليلة بابداع عبارة و اللفظ اشارية ، و بنى قواعد التصوف على الكتاب و السنة و ما كان عليه السلف الاول ، و ترك الآراء و الاستحسان ، و له كتاب صفة الاولياء و مراتب احوال الاصفياء ، و له ايضا كتاب كرامات الاولياء و المطيعين من الصحابة و التابعين و من تبعهم باحسان ، و نحن نورد من هذا الكتاب نبذا .

قال الشيخ ابو القاسم رضى الله عنه : اخبرني الشيخ الامام ابو بكر بن سعدون التميمي قال : نزل بي ضيف و ليس في بيتي شيء فالتفت فاذا قطعة فالزوج - و اقبل يصف حسنها - قال : فناولنها للضيف ، و سمعته يقول قال لي ابو عقال : - يوم خروجي من مكة و قد ذهبت نفقتي - استودعتك لمن لا تخيب و دائمه ، فوالله ما خرجت من حيطان مكة الا و انا في محملي و لم ازل كذلك الى ان وصلت القيروان ، قال ابو القاسم و سمعت عبد الله بن سعيد ابن الحداد ، سمعت ابا المعذل يقول : سمعت واصلا اللخمي يقول : اقامت ستة اشهر لم اشرب ماء ! قلت : و لم ذلك ؟ قال رضت نفسي فساعدتني ! قال ابو القاسم و حدثني ابو ملك عن التاهرتي قال : شهدت محمدا بن ابي حميد - و قد احتضر - فذكروا عنده الموت ، فقال و ما الموت ؟ ادخل يا ملك الموت ! فنظروا فاذا به قد توفي رحمه الله ، و كان ابو محمد بن ابي زيد كثيرا ما ينكر عليه كرامات الاولياء لمعنى قلب الاعيان و ذلك قصور منه رحمه الله عن ادراك ما وهب الله

اوليائه من الكرامات وما افاض على قلوبهم من الانوار والبركات فلذلك كان يشير الشيخ ابو القاسم في كتبه الى قصور الفقهاء الذين ينكرون القدرة وما وهب الحق لاوليائه (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) (قلت) : سبب انكاره الكرامات وذلك عند اكثر المريرين في عصره من ادعائهم رؤية الله سبحانه في اليقظة ، قال ابن بزيرة : فالف كتابا يقتضي انكار الكرامات وانكار الرؤية ، وسمعت الشيوخ يحكون ان علماء زمانه انكروا ذلك عليه وارسلوا الجواب من القيروان الى بغداد ، فوصلوا اليها على الصحراء بعد اربعين يوما ، فاجتمعوا بالقاضي ابي بكر ابن الطيب ودفعوا له السؤال فاجابهم بجواز ذلك والف كتابا في ذكر جواز الكرامات وفيه فضل الشيخ ابي محمد بن ابي زيد ومعرفته بعلم الفقه ذكر هذا في تفسير قوله عز وجل (الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (قال) : ولم اقف له على تاريخ وفاته الا انه مات قبل ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله تعالى .

## ٢٦٨ ● ومنهم أبو القاسم خلف ابن أبي القاسم الأزدي المعروف بابن البراذعي (\*)

ويسكنى ايضا عند بعضهم بابي سعيد كذا قال عياض ، وفي زماننا غلبت كنيته بابي سعيد من جميع شيوخنا واصحابنا بافريقية والقيروان وغيرها فاذا اريد النقل عنه بسكنيته يقال : وظاهر كلام ابي سعيد البراذعي يقتضي كذا ، قال عياض : وكان من كبار اصحاب ابي محمد بن ابي زيد وابي الحسن القاسمي وحفاظ المذهب المؤلفين فيه ، له كتاب التهذيب في اختصار المدونة اتبع به اختصار ابي محمد ابن ابي زيد الا انه جاء به على نسق المدونة وحذف ما زاده ابو محمد ، (قلت) : ما ذكر من كونه تبعه غير صحيح ، وكثيرا ما يختصر خلاف ما في مختصر ابي

(\*) فى ق : المعروف بالبراذعي وهو كذلك فيما ينقل عنه من كتب الفقه كما ذكره المؤلف نفسه أى بدون ابن .

محمد مما هو معروف وانما هو مبين لاختصاره ، الا ترى الى قوله وصححتها على ابي بكر بن ابي عقبة عن جلبة بن حمود عن سحنون ، قال عياض وقد ظهرت بركة هذا الكتاب على طلبة الفقه وتيمنوا بدرسه وحفظه وعليه معول اكثرهم بالمغرب والاندلس .

(قلت) : يعني في زمانه ، واما في زماننا فما المعول (143) الا عليه شرقا وغربا ، ومن ينظر مدونة سحنون الذي هو اختصارها يعلم فضيلة البراذعي في اختصاره ، قال عياض : وانا اقول ان البراذعي عن انتقاد عبد الحق برىء فان جميع ما انتقد عليه لفظ ابي محمد رحمه الله (144) (قلت) ورده ابن عبد السلام بما كتبه على ظهر تهذيبه أشر كلام عياض هذا بانه لا ينجي البراذعي كون غيره سبقه الى اختيار ما اختار فكل من رضي قولاً توجه عليه ما يعترض به على ذلك القول ، لان التصويب والتخطئة انما هما على ذلك القول من حيث هو قول ، وكل من رضي عمل قوم فهو منهم والمرء مع من احب ، والّف عقيل بن ابي طالب كتابا سماه (بموازات الاعمال) ضمنه الرد على كتاب الحميدي (قال) وهو رد على ابن حزم لانه اقر بصوابه ، قال شيخنا ابو عبد الله محمد بن عرفة وهذا كما قال ابن عبد السلام لا سيما اذا اقام الثاني نفسه مقام المنشئ المستقل كما فعل ابو سعيد ، لانه ذكر في خطبته انه منشئ مستقل لا تابع لغيره يعني به قوله : وصححت ذلك على روايتي عن ابي بكر بن ابي عقبة عن جلبة عن سحنون قال : وابو الحسن بن القطان حافظ المغرب الف كتابا سماه الوهم والايهام تعقب فيه الاحكام الكبرى لعبد الحق الاشبيلي فمما تعقب عليه احاديث اوردها عبد

(I43) ق : فلا معول .

(I44) عبارة القاضي في المدارك ان ابا محمد عبد الحق ( السهمي الصقلي انظر المدارك ) ألف عليه جزءا فيما وهم فيه وأنا أقول . ان البراذعي ما ادخل ما اخذ عليه فيه الا كما نقله أبو محمد ابن أبي زيد هـ .

الحق على انها متصلة وهي منقطعة فتعقب منها احاديث ذكرها عبد الحق من صحيح مسلم فلم يجعل الناس اتباعه فيها لمسلم مخرجا له من التعقيب ، قال ابن عبد السلام واختصر البراذعي المدونة ثلاثة اختصارات احدها اطول من التهذيب وثانيها اصغر منه ولم تُثبت فيه رواية الشيخ ، قال شيخنا ابن عرفة وما ذكره من الاختصار لم اره لغيره بعد البحث عنه وما ذكره من كونه لم تثبت فيه رواية ، فان من لقيت من عدول بلدنا المتثقف بهم قائل (145) بثبوت روايته بالسند الصحيح .

قال عياض ولايبي سعيد كتاب تمهيد مسائل المدونة ، وكتاب الشرح والتمامات ، واختصار الواضحة ، ولم تحصل له رئاسة بالقيروان ، وكان مبعثا لاصحابه لصحبة سلطانها ، فكان مريض القلب لديهم ثقيل المسكان عليهم ، ويقال ان فقهاء القيروان افتوا برفض كتبه وترك قراءتها لتهمته لديهم ، وسهّل (146) بعضهم في اختصار المدونة وحده لشهرة مسائله ، ويقال ان الذي مكن غيظهم عليه انه وجد بخطه في بعض بني عبيد تعريض بهذا البيت المشهور (147) .

اولئك قوم إن بنوا أحسنوا الينا وان وعدوا وفوا وان عقدوا شدوا

ويقال بل لحقه في هذا دعاء الشيخ ابي محمد بن ابي زيد اذ كان البراذعي في ايام قراءته عليه يتسبب في الاعتراض عليه والتنبيه على اوهامه والازراء على بعض كلامه فعز ذلك على الشيخ وتفرغ الى الدعاء عليه ، فكانوا يرون ان ذلك لحقه فلفظته القيروان ولم يستقر بها فخرج الى صقلية وقصد اميرها فحصلت له عنده مكانة وعنده الف كتبه المذكورة .

(قلت) : ما ذكره من دعاء الشيخ عليه يحذر التلميذ من ان يوقع نفسه في اساءة الادب على شيخه ، وعلى قدر ما يعظم شيخه يعظمه هو تلامذته ،

(I45) كلمات : فان من بهم قائل : مزيدة بمحاذاة ق .

(I46) أي تساهل .

(I47) للمتنبى .

وما رأيت احدا من اصحابنا عمل هذا وجاء منه شيء بعد ان كان عند الناس لا يكون بعد شيخه الا هو ، وقد كان يقال في ابي عبد الله محمد بن ابي الفرج المازري - يعرف بالذكي - انه افقه من ابي عمران وغيره في زمانه ولكنه كان يسمى الادب على شيخه ابي القاسم السيوري ويتبع سقطاته حتى جمع نحو من ثلاثين مسألة من سقطاته فدعا الشيخ عليه بان لا ينفعه الله بعلمه فلم يقدر ان يسكن القيروان وغيرها حتى وصل الى اصبهان ، فكان يدرس فيها الادب ، وذهب علمه بالسنة هناك ضياعا ، وتوفي هناك ، قال شيخنا ابو عبد الله بن عرفة وما ذكره عياض من كونه كان مبغضا الى آخره نحوه ما اخبرني به شيخنا الفقيه الشهير ابو عبد الله بن الحباب انه رأى بخط الكاتب الاديب المؤرخ ابي الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي (148) ان ابا سعيد البراذعي كان غير مسالم في حاله وانه كان يعلم ذلك من الناس فكان ينشد من ياتيه من الطلبة البيت المشهور .  
فخذ بعلمي ولا تنظر الى عملي كمل الثمار واخل العود للنار

(قال) : وانه حضر جنازة الشيخ ابي محمد بن ابي زيد - أو بلغه وفاته - فقال له بعض اصحابه : مات لك ابن ابي زيد - يشير الى راحته منه - فقال له : هيهات وان مات لي ابن ابي زيد فلم يمت كتابه لكتابي ، قال ابن سعيد : فضرب الدهر بضرباته الى ان هجر الناس مختصر ابن ابي زيد واقبلوا على مختصر البراذعي

(قلت) : وعلى كل حال فخروجه من القيروان ولم يكن شيخا بها كاف في اجابة دعاء الشيخ ابي محمد فحذار من ذلك ، قال عياض : ويقال بل سببه انه الف كتابا في تصحيح نسب بني عبيد وانه كانت تاتيه هداياهم (قلت) قال شيخنا ابن عرفة

هذا لما شاع عند الناس من انقطاع نسب بني عميد ، قال صاحب كتاب الزيجة :  
 جمع ابو العباس القادر علماء النسب والعلويين والقرشيين فاجمعوا على ان العبيدين  
 ليسوا من قريش ولا من غيرهم من العرب وانما هم من ذرية ميمون بن القداح  
 الانصاري من يهود سلمية (149) وكتبوا بذلك عقودا مشهودة ، وادركت من بلدنا  
 من كان ينسب اليهم فكان شيخنا ابن عبد السلام يشير أو يصرح بهذا الطعن في  
 نسبهم (قلت) : مع ان المطلوب سد هذا الباب حينئذ ولو كان صحيحا حتى  
 تهرب العامة والخاصة من قربهم ، وسمعت شيخنا ابا الفضل البرزلي ينقل غير  
 ما مرة ان البراذعي لما الف اختصاره للمدونة اتى به الى الشيخ ابي محمد بن ابي  
 زيد فأمر بحرقه او محوه لما تقدم من احواله فمشى ابو سعيد وعاوده واتى به اليه  
 وانشده :

خذ العلوم ولا تعبنا بناقلها واقصد بذلك وجه الخالق الباري  
 اصل الرواية كالاشجار مثمرة اجن الثمار واخل العود للنار

فتركه ابو محمد ولم يعرض له ، قال عياض وكانت له دنيا ولم يبلغني  
 وقت وفاته (قلت) : وسياق ما تقدم يقتضي انه مات بصقلية من غير تحقيق  
 وكان شيخنا ابو الفضل المذكور اذا زار بنا جبانة الشيخ ابي الحسن القابسي  
 يقف عند قبرين عند رأس كل واحد منهما لوح فيه كتب خفي لا يجاز (150)  
 قبلة قبر الشيخ ابي داود الرهداني ويذكر ان قبراً منهما هو قبر ابي سعيد البراذعي  
 ويدعو عندهما كغيرهما ، فقلت له : سياق كلام عياض يقتضي ان الغالب انه انما  
 مات بصقلية ، فقال : ليس فيه تحقيق ولعله رجع الى القيروان ولو زائرا ومات  
 بها وما زلت اسمع ان قبره احدهما .

(149) بلد عميد الله المهدي بالشرق ومنها خرج بدعوته .

(150) كذا بالاصل وغيره ولعله لا يحاز من التمييز أى لا يقرأ .

## ٢٦٩ ● ومنهم أبو محمد عبد الله ابن بهلول رحمه الله

(قال) : كان من اهل الفقه والفتيا والعلم والعمل والورع الحاجز والكلام على الرقائق والمواعظ ، وله مجلس يوم الجمعة يجتمع الناس اليه يذكروهم ويخوفهم ، فكان يختم آخر مجلسه بالفقه والوعظ والدعاء وتوفى في رجب سنة سبع واربعمائة .

## ٢٧٠ ● ومنهم أبو القاسم عبد الرحمن الغافقي

(قال) : كان فقيها عالما بالقراءات اخذ ذلك عن ابي بكر الهواري وابي بكر محمد بن الفتح بن الصواف ، وسمع الحديث واخذ المدونة ، وكان مشهورا بالدين والورع والفضل ، توفى يوم الجمعة لسبعة عشر خلون من صفر سنة سبع واربعمائة وعمره تسعون سنة ، ودفن بباب سلم وقبره معروف رحمه الله تعالى .

## ٢٧١ ● ومنهم أبو علي حسن ابن خلدون البلوي

قد تقدم انه قرأ على الشيخ ابي الحسن القاسمي ، (قال) : كان ركنا من اركان اهل السنة مع فقه كثير ، وصدقة ومعروف ، وهمة عالية واحسان الى العلماء والمعارف ، واخباره في ذلك كثيرة ، (قلت) : وقال غيره : كان رأسا في افريقية جليل القدر في فقهاؤها مطاعا ، وكانت العامة تتبعه ، وكان شديدا على اهل البدع والروافض مغربا بهم .

(قال) : حكى انه سافر مرة الى الساحل هو والفقير ابو بكر عبد الله العوني ، فنزل - في ليلة باردة كثيرة الريح والمطر - في قرية فريانة فاستضافا فتي فانزلهما وذبح لهما دجاجة وباعت امه غزلا لها في علف دوابهما ، فلما اصبحا عرض ابو علي على الفتى دراهم كثيرة فابى من قبولها ، ثم لما كان بعد

ذلك بزمان وصل الفتى الى القيروان مخلصا في فرخين (151) من البقر ، فعرفه الفقيه ابو علي ولم يعرفه الفتى ، فدفع له ابو علي ثمن الفرخين ، ثم قال له : شاركني ، قال له : نعم ، فاشترى له ابو علي ثورين لم ير احسن منهما باحدى واربعين مثقالا ذهباً واعطاه زريعة قمح وشعير ما طلب ، واوصى عليه من ينظرني امور مسكانه ، فلما كان حين الفراغ من الدرس اتى الفتى الى ابي علي فقال : قد اصبنا مائتي قفيز قمحا وشعيرا ، وكان ذلك باثر عام خمسة وتسعين وثلاثمائة سنة الشدة العظيمة التي قدمنا ذكرها ، فقال له ابو علي - بعد ان عرفه بنفسه - الزرع كله لك وما جعلت اسمي مع اسمك في الشركة الا ستر عليك ، ولم يأخذ له حبة واحدة .

(وحكي) ايضا ان ابا علي قاسم الفقيه ابا عبد الله الخواص في شدة سنة تسعين في جميع ما عنده من طعام وكسوة وفاكهة حتى الفستق ونحوه واعطاه مائة دينار ذهباً ، وقد كان احمد بن عوانة الفقيه نسخ للفقيه ابي علي جزءا من كلام الاشعري يساوي اربعة دراهم فدفع له اجرة ذلك فلم يقبل ، ثم ان احمد بن عوانة ذهب الى تونس في زيارة المؤدب محرز ، فأتى الى القيروان - وقد اصابه رمد شديد في شدة الحر - فانزله ابو علي معه في الدار ، واستدعى الطبيب ابن أعين يداوي عينيه ، فداواه حتى برىء ، وكان يجري عليه النفقة ، فلما اراد السفر اعطاه رزمة فيها جامع ابن وهب يساوي نحو ثلاثمائة درهم فسار به الى باديته ، وكان يُجري النفقة على جماعة من اهل العلم والطلبة ويحضر مائده جماعة من العلماء والطلبة ويصلهم بالدرهم الكثيرة وكان اذا سافر أعدّ انواعا من الاطعمة وصنوف الحلواء فيفرق ذلك على اهل رفقته ، وكانت هديته تصل اقصى اهل محلته وتعم جيرانه .

(151) المعروف في فقه اللغة ترتيب أسنان ولسد البقرة هكذا : تبيع ثم جذع ثم ثني الخ ولا يقال فيه فرخ فلعله استعمال عامي .



(وحكى) ايضا انه اشتهى مرة بالمنستير تنا (152) مقلوا فاشترى حبة فيها ازيد من قطارين وقلى ذلك كله وفرقه على المرابطين بالقصر ولم يأكل منه الا أكلة واحدة ، واعطى ليحيى بن عبد الله العمري الوafd على القيروان مالا جليلا ، وفضائله كثيرة ختم الله اعماله بالشهادة ، دخل اليه قوم من المشاركة (153) والشرط مع محمد بن لصوية (154) عامل محمد بن حسن على القيروان بعد صلاة العصر يوم الخميس الثاني عشر من شوال سنة سبع واربعمائة وهو في مسجده ومعه جماعة من الناس ، فقتلوا ابا محمد الغرياني (155) الفقيه وآخر بدويا ظانين انه ابو علي ، فلما عرفوا مالوا على ابي علي بسكاكينهم ، وجردوا جماعة ممن كان في المسجد فحملوا ابا علي الى داره وقد وقعت فيه ثلاث جراحات احداها في صدغه اخذت الى قفاه واثنان في جانبه الايسر انفذنا مقاتله توفى في داره بعد العشاء الاخيرة وبقي دمه بالمحراب الى قريب زماننا هذا .

(قلت) : سبب قتله انه لما قدم المعز بن باديس القيروان بعد موت ابيه واستفتاح ولايته وذلك يوم الجمعة منتصف محرم عام سبعة واربعمائة (156) قتلت العامة الراضة بالقيروان اقبح قتل وحرقوهم وانتهبوا اموالهم وهدموا ديارهم وقتلوا نساءهم وصبيانهم وجرحوهم بالارجل ، وكانت صيحة من الله سلطها عليهم وخرج الامر من القيروان الى المهديّة وسائر بلادهم فقتلوا حيث وجدوا

(I52) حوتا كبيرا معروفا يصبر ويدخر ، وكانت بالمنستير لعهد قريب تنارة يصاد بها هذا الحوت ، فاشترى حبة المراد بها وحدة تقدر بها كمية المشتري وما زالوا يعبرون بها في المشرق .

(I53) شيعة العبّيديين .

(I54) شرطى بربرى من كتامة .

(I55) فى ق : الفرياني .

(I56) هذا هو تاريخ قيام الثورة على الشيعة بافريقيا وقطع تبعيتها للدولة الفاطمية بمصر .

واحرقوا بالنار فلم يترك احد منهم بمدائن افريقية الا من اختفى ، ولجأت  
الرافضة الى مساجد المهديّة فقتلوا فيها ، وهدموا دار الامارة وتقدمت العامة  
بذلك الى جماعة من اهل السنة ومن غيرهم فلقد حكى أن العامة جاءت متعلقة برجل  
اتهموه برايهم ، فمروا به على شيخ من العامة فسألهم عن تعلقهم به فقالوا نسير  
به الى الشيخ ابي علي بن خلدون فنظر ما يأمرنا به (157) فقال لهم الشيخ العامي :  
لا ! اقتلوه الآن ! فان كان رافضيا اصبتم ، وان كان سنيا عجلتم بروحه الى الجنة  
الآن او كما قال : فانتقم الله منهم على ايدي عامة المسلمين وقتلوهم كل مقتل ،  
فرعب المعز منهم واراد كسر شوكتهم فدبر قتل زعيم اهل السنة وشيخ هذه الدعوة  
فلما كان يوم الخميس الثاني عشر من شوال من السنة المذكورة اتى عامل القيروان  
الى مسجد الشيخ ومعه خيل ورجال ففعلوا ما تقدم ذكره ، ولما توفى رحمه الله  
ارتجّت المدينة وثارَت الصيحة من نواحي القيروان ، فمال اهل المنصورة (158)  
من الرجال والعبيد فنهبوا جميع ما في حوانيتها حتى لم يدعوا حانوتا ، والقيت  
النار في كبار الاسواق ونهبت اموال التجار فذهب الناس واشتغلوا بأنفسهم  
عن مقتل الشيخ ابي علي وخبره ، واراد عامل القيروان استرضاء الناس فجاء  
برجلين فقال انهما اللذان قتلاه فقتلتهما .

(قلت) : وما تقدم من قولنا خرج الامر من القيروان الى المهديّة وسائر  
بلادهم خلاف ما كان يقول شيخنا ابو الفضل البرزلي ان الوقت الذي قام  
عليهم فيه اهل القيروان قام كل شيخ على من في بلده كالشيخ محرز على اهل

(157) مفهومة ان المترجم كان زعيما لاهل السنة ولكن طغيان الفتنة صير الامر الى  
العامة .

(158) كذا بالاصل وصوابه المنصورية وهي التي بناها المنصور العبيدي سنة 336 وتعرف  
بصبرة وهي مقر الحكم وموئل الشيعة فكان تداخلها انتقاها من الثائرين ولكن  
المعز بت في الامر بقطع الدعوة العبيدية واستقل بافريقيا فأراح واستراح  
الى حين .

تونس من غير ان لا يكون اتفاق منهم على ذلك بل هي كرامة في حق جميعهم (قال) : وصلى على ابي علي ابو بكر بن عبد الرحمان (قلت) : الصواب عدم الصلاة عليه لقوله ختم الله اعماله بالشهادة (قال) : ودفن بداره وقبره الآن بباب سلم مشهور وقد رثي بمراث كثيرة لم احكها لطولها رحمه الله تعالى .

## ٢٧٢ ● ومنهم أبو القاسم عبد الرحمان بن علي بن محمد الكناني المعروف بابن الكاتب رحمه الله ورضي عنه

(قال) : اخذ عن ابن شبلون ، وسمع من القاسمي وكان احد الفقهاء المستنبطين والعلماء الراسخين ، وكانت له فتاوى مشهورة ، ثم رحل الى المشرق فلقي الناس وعاد الى القيروان ، (قلت) : قال ابن سعدون كان موصوفاً بالعلم والفقه والنظر وفضله مشهور ، ورحل الى المشرق وحج ، وسأله الطائي بمصر عن فروق اجوبة في مسائل مشتهرة من المذهب فقال الطائي : وقد كان اعضل جوابها كل من لقيت من علماء العراق ، فأجابني ابو القاسم فيها ارتجالاً على ما كان عليه من شغل البال بالسفر ، وقد وقفت على جوابه في جزء منظوم على احد واربعين فرقا ، وكان قويا في المناظرة وناظر ابا عمران الفاسي مرة وطالت بينهما المناظرة حتى علا العرق ابا عمران وبل قميصه ورداءه وصار كمن غسله في ماء ، وبينهما في ذلك نزاع وخلاف ومراجعات في مسائل مشهورة نقلت عنهما ، ولابي القاسم كتاب كبير في الفقه نحو مائة وخمسين جزءا (قال) : ولما عاد بعد رحلته من المشرق الى القيروان ركب البحر هو وابو عبد الله المالكي فحين اشرفوا على مدينة صفاقس توفي ابو القاسم فادخل المدينة فغسل وكفن وصلى عليه في جمع كثير ثم حمل الى القيروان فوصل اليها ليلة الخميس من صفر سنة ثمان واربعمئة وكانت وفاته ليلة الاثنين لست بقين من صفر سنة ثمان واربعمئة ودفن في داره ، (قلت) : وداره هي اليوم خارج القيروان قبلتها وليس معه احد وعلى قبره نور ما رايته على قبر احد رحمه الله تعالى .

## ٢٧٣ ● ومنهم أبو سعيد خلف ابن محمد الخولاني (\*)

(قال) : قرأ على ابي محمد بن ابي زيد ، وزكرياء بن يحيى بن سلام ، جمع العلم والزهد والقناعة والنزاهة وكنم الفاقة ، وكان حافظا ، وكان رأس ماله مقصا بنصف درهم وحلقة بربع وابرة بخروبة وكان اذا خاط بدرهمين لا يخيظ شيئا حتى ينفقهما في اثنين وثلاثين يوما كل يوم خروبة (159) فاذا فرغ ذلك عاد فخطا كذلك بدرهمين ولو قيل له تخيظ ثوبا بمائة دينار لم يفعل حتى تفرغ الدرهمان ، وكان يدرس الشهر كله ، وانصرف يوما من مجلس ابي محمد بن ابي زيد وعليه اطمار كانما نبشت من القبور فنظر اليه ابو محمد والى ثيابه وسأل عنه ؟ فقيل له : والله ما يلبس هذه الا يتجمل بها في الميعاد ، واما ما يقطع به الايام ففرو يساوي درهمين ، فبعث اليه ابو محمد بن ابي زيد بصرة فيها خمسون دينارا ذهباً فأبى ان يقبلها على شدة فقره وحاجته ، وقال : انما قوتي كل يوم خروبة آخذ بها خبزاً تصب عليه الوالدة مرق بقل او ما تيسر ونهياً رحمه الله تعالى .

## ٢٧٤ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن سفيان المقرئ الفقيه

(قال) : كان من اوجد زمانه في القراءات والآف في ذلك كتابه الهادي ، أخذ القراءات على ابي الطيب بن غلبون المقرئ وتفقّه على ابي الحسن القاسمي ، اخذ عنه القراءات كثير من الناس ، (قلت) : زاد غيره : وكان حسن الصوت بالقرآن ، (قال) : وكان ابو الحسن القاسمي يحبه ويدعو له ويقول من اراد ان

(\*) في ق : الحرقى بدل الخولاني .

(159) مفهومه ان مصارفة الدرهم في ذلك العصر ست عشرة خروبة وكذلك كان الريال عندنا لعهد قريب .

ينظر إلى زهرة من زهرات الدنيا فليُنظر إلى أبي عبد الله محمد بن سفيان (قلت) وتوفي سنة ثمان واربعمائة .

## ● ٢٧٥ ومنهم حربون ابن خلفون القرشي وهو خادم الشيخ أبي الحسن القاسبي رحمه الله

(قال) : كان رجلا صالحا فاضلا ، وكان الشيخ ابو الحسن يقول : لم اعلم انه عثمانى (160) الا من قريب بعدما اختلط بنا ولو علمت ذلك من قبل لم استخدمه احتراماً لنسبه ، توفي يوم الخميس الخامس من شوال سنة خمس عشرة واربعمائة ودفن بباب تونس وقبره معروف .

## ● ٢٧٦ ومنهم أبو عبد الله ابن أبي صفرة بن أسيد التميمي الاندلسي من أهل المهديّة رحمه الله

(قال) : وهو اخو المهلب بن ابي صفرة (161)، (قلت) : وهو بالفضل المذكور كأبي عبد الله (قال) : كان ابو عبد الله عالما فاضلا جليلا اخذ بالاندلس على ابي محمد الاصيلي وصحبه ، واخذ بالقيروان عن ابي الحسن القاسبي وغيره ، (قلت) : وكان له مع ذلك حظ وافر من علم العربية وآداب وحسن هدى واستقامة وظهر نسك وصدق لهجة وطيب اخلاق وكان من السكّائين الخاشعين الورعين ، قال الحميدي توفي قبل العشرين واربعمائة ، (قلت) : ونقله العواني وتكرر التعريف به مرة أخرى ، (قال) : ولم يعزه توفي سنة ست عشرة واربعمائة (162) .

(160) نسبة إلى الخليفة الثالث رضى الله عنه .

(161) ليس هذا بالمهلب ابن أبي صفرة الامير الاموى الذى اباد الازارقة ( من الحوارج ) فالاخير ازدي يمانى توفي سنة 83 والمعلق عليه هنا تميمى افريقى والامد بينهما بعيد جدا .

(162) لا تعارض بين الثقليين .

## ● ٢٧٧ ومنهم أبو العرب محمد ابن تميم بن أبي العرب التميمي الفقيه رحمه الله تعالى

(قال) : كان من اهل العلم والفضل والثقة واسع الرواية عارفا بالتاريخ صحيح النقل كثير التحري معروفا بالصدق ، يروي عن ابيه وغيره ورحل الى المشرق سنة احدى وسبعين وثلاثمائة ولقي العلماء بمصر والشام والحجاز ودخل الاندلس ثم عاد الى القيروان فمات في احوازها سنة سبع عشرة واربعمائة وكان مولده سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة .

## ● ٢٧٨ ومنهم أبو الطيب عبد المنعم ابن خلدون البلوي الفقيه المفتي

(قال) : كانت له عناية بالفقه والدين ، اشتهرت امامته بالقيروان وانتشر فضله وعنايته بالعلم ، واقواله معتبرة في مذهب مالك ، وهو احد اشياخ القيروان الفقهاء ، توفي بالقيروان سنة احدى وعشرين واربعمائة .

## ● ٢٧٩ ومنهم أبو عبد الله محمد ابن أبي موسى عيسى بن مناس اللواتي

(قال) : كان فقيها جليلا حافظا اخذ عن ابي الحسن القاسمي وانتفع به ، اخذ عنه حاتم الطرابلسي وغيره من العلماء رحمة الله عليه .

## ● ٢٨٠ ومنهم أبو بكر عتيق ابن خلف التجيبي الواعظ المؤرخ

(قال) : الف كتاب الافتخار وكتاب الطبقات ، كانت له عناية بالعلم والفقه ومناقب الصالحين ، سمع من ابي محمد بن أبي زيد ، وابي محمد بن التبان ، وابي

سعيد بن اخي هشام ، وميسرة بن مسلم ، وابي العباس بن تميم ، وابي الحسن القابسي ، وكانت له رحلة الى المشرق . اخذ فيها عن جماعة من العلماء ومشايخ كثيرة ، روى عنه ولده عبد الملك ، وكانت وفاته في الثاني والعشرين لجمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين واربعمائة ودفن بباب سلم قرب شقران رحمه الله تعالى .

## ● ٢٨١ ومنهم أبو القاسم عبد الرحمن الاصغر الزاهد العابد

(قال) : كان رحمه الله من الفقراء المتجردين المتقشفين المقلين ، كان الشيخ ابو الحسن القابسي يعظمه ويثني عليه ويرغب في صحبته ، روى انه قال يوما للشيخ ابي الحسن ، والله اني لا شح على الفقرا ان يزول عني كما يشح صاحب الغنى على غناه ، وكان من فضلاء المؤمنين ذا ورع وموالة على الدين ، وله كرامات رحمه الله تعالى .

## ● ٢٨٢ ومنهم أبو عمران موسى ابن عيسى ابن أبي حاج الغفجومي (\*) الفاسي نزيل القيروان

اصله من فاس وبيته بها بيت مشهور يعرفون بها ببني حاج ، (قال) : تفقه بالقيروان على الشيخ ابي الحسن القابسي وغيره - يعني ابا بكر الزويلي - وعلى ابن احمد اللواتي السوسي ، (قال) : ثم رحل الى قرطبة فقرا على ابي محمد الاصيلي ، وسعيد بن نصر ، وعبد الوارث بن سفيان ، واحمد بن قاسم الازباري (163) ، ثم رحل الى المشرق واخذ بمصر القراءات على ابي الحسن عبد الكريم بن احمد ابن ابي جدار ، واخذ بمكة عن ابي اسحاق عبيد الله بن محمد بن احمد السرقسطي ،

(\*) الغفجومي نسبة الى قبيلة بربرية .

(163) في ق : البزار .

ثم حج حجج كثيرة ودخل بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، وحضر مجلس ابي بكر بن الطيب بن الباقلاني القاضي وسمع منه ومن غيره وعينهم ، ثم انصرف الى القيروان فقرأ بها القرآن مدة ثم درس الفقه وسمع الحديث واشتهر بها الشهرة التامة ورحلت اليه طلبة العلم من البلاد وظهرت إمامته ، (قلت) : وتفقه عليه جماعة كثيرة كعتيق السوسي ، ابي القاسم السيوري وجماعة من الفاسيين والاندلسيين ، وطارت فتاواه في المشرق والمغرب ، وكان يجلس للمذاكرة والسماع في داره من غدوة الى الظهر فلا يتكلم بشيء الا كتب عنه الى ان مات .

(ذكر ثناء العلماء عليه وهيبته)

(قال) : كان فقيها عالما بفضون العلم منها القرآن وعلومه والحديث وعلمه ورجاله والفقه البارع ، مع الورع التام والهيبة والوقار والسكينة قليل الضحك - قيل انه مارئي ضاحكا قط الا مرة واحدة - عارفا باصول الدين ، (قلت) : وكان ابو بكر الباقلاني يعجبه حفظه ويقول : او اجتمعت في مدرسة انت وعبد الوهاب بن نصر لاجتمع فيكما علم مالك انت تحفظه وهو ينصره ، لو رآكما مالك لسر بكما ! ولما وصل الى بغداد شاع ان فقيها مالكيًا من أهل المغرب قدم ، فقال الناس لسنا نراه الا عند القاضي ابي بكر - وهو اذ ذاك شيخ المالكية بالعراق وامام الناس - فنهض من اهل بغداد جماعة لمسجد ابي بكر ومعه اصحابه وابو عمران فجرت مسائل واجاب ابو عمران عنها ، ثم سأل رجل شافعي عن مسألة من الاستحقاق فأجاب ابو عمران بجواب صحيح مجرد عن الدليل ، فطلبه السائل بالحجة عليه ، فاطرق الشيخ ابو عمران فقام شاب من أهل بغداد من المالكية فقال للسائل : اصلحك الله هذا شيخ من كبار شيوخنا ومن الجفاء أن تكلفه المناظرة من اول وهلة ، ولكن اخدمه انا في نظر هذه المسألة وانوب عنه فيها ، الدليل على صحة ما أجاب به الشيخ حفظه الله كذا وكذا ، فاعترضه الشافعي فيه ، ثم انفصل المالكي من اعتراضه حتى خلص الدليل ، فلما اكمل



الكلام على المسألة قام اليه الشافعي فقبل رأسه وقال احسنت يا سيدي وحببي انت والله شيخ المذهب حين نصرته ، وجرت في ذلك المجلس مسائل ، ولما ورد القيروان وجلس بها وبان علمه قال اصحاب ابى بكر بن عبد الرحمان : نسير اليه ، وقالوا انه يعز على شيخنا ذلك ، وتراضوا في الحضور عنده ثم عزموا على ذلك وقالوا انه لا يحل لنا التخلف عن مثله ، فاسخطوا شيخهم حتى يحكى انه دعا عليهم وهجرهم .

قال : وكانت له هيبة قال ابو عبد الله محمد بن علي المازري عن بعض شيوخه : ان المعز بن باديس بعث ابن عطاء اليهودي طبيبه وخاصته الى ابى عمران يستفتيه في مسألة ، فلما دخل على الشيخ في داره ظنه الشيخ بعض رجال الدولة إلى أن قال بعض الحاضرين : اكرمك الله انه من خيار اهل ملته ، فقال الشيخ : وما ملته ؟ فقال : هذا ابن عطاء اليهودي ، فغضب ابو عمران وقال لابن عطاء : اما علمت ان دارى كمسجدي فكيف اجترأت على دخولها ؟ وامره بالخروج فخرج وهو يردد ، وكان غير معلم (164) فأمر الشيخ بصبح طرف عمامته لشهرته ، وقال انصرف الى مرسلك فقل له : يبعث الي برجل من المسلمين يأخذ جواب مسألته فاني لاستحيي ان احملك اسماء الله وحكما من احكامه ، فلما دخل اليهودي على المعز ذكر له القضية وقال : والله يا سيدي ما ظننت ان بافريقية ملكا غيرك الا يومي هذا ولقد وقفت بين يديك في حال غضبك الشديد فما ادركني الفزع ولا اصابني من الرعب ما اصابني في يومي هذا ! فقال له المعز : انما فعلت ذلك لاريك عز الاسلام وهيئة علماء المسلمين وما البسهم الله من شعائر الاولياء لعلك تسلم .

( ذكر بقية اخباره )

قال ابو العباس الجعفري الاندلسي : قال رجل بالقيروان : انا خير البرية فهتمت به العامة ثم لبث فحمل دار ابي عمران فقيل ذلك له ، فقال له : انت مؤمن ؟ قال نعم ، قال : تصلي وتصوم وتفعل الخير ؟ قال نعم ، قال : اذهب بسلام قال الله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية) فانفض الناس عنه ، (قلت) : و ابو العباس المذكور من أهل بياسه ، وجرت بالقيروان مسألة أخرى في الكفار هل يعرفون الله ام لا ؟ ووقع فيها تنازع عظيم من العلماء وتجاوز ذلك للعامة وكثر التنازع بينهم فيها حتى كاد يقوم بعضهم على بعض في الاسواق ويخرجون عن حد الاعتدال الى القتال ، وكان القايم بذلك رجل مؤدب يركب حماره ويذهب من واحد الى آخر فلا يترك متكلمما ولا فقيها الا سأله فيها وناظره ، فقال قائل لو ذهبتم الى الشيخ ابي عمران لشفانا من هذه المسألة فقام أهل السوق بجماعتهم حتى اتوا باب داره واستأذنوا عليه فاذن لهم فقالوا اصلحك الله انت تعلم ان العامة اذا حدث بها حادث انما تفرغ الى علمائها وهذه المسألة قد جرى فيها ما بلغك وما لنا في الاسواق شغل الا الكلام فيها ، فقال لهم : ان انصتتم واحستتم الاستماع أخبركم بما عندي قالوا : ما نحب الا جوابا بينا على قدر أفهامنا ، فقال لهم : وباللله التوفيق ، ثم اطرق ساعة وقال : لا يكلمني منكم الا واحد ويسمع الباقرن ، فقصدوا احدا منهم فقال له : رأيت لو لقيت رجلا فقلت له : أتعرف ابا عمران الفاسي ؟ فقال : اعرفه ، فقلت صفه لي ، فقال : هو رجل يبيع البقل والخنطة والزيت في سوق ابن هشام ويسكن صبرة أكان يعرفني ؟ قال : لا ، قال : فلو لقيت آخر فقلت له : أتعرف الشيخ ابا عمران ؟ قال نعم فقلت : صفه لي ، فقال : نعم رجل يدرس العلم ويفتي الناس ويسكن بقرب السماط ، أكان يعرفني ؟ قال : نعم ، قال والاول ما كان يعرفني ؟ قال لا ، قال لهم . الشيخ فكذلك الكافر اذا قال لمعبوده صاحبة او ولد أو انه جسم ، وعبد من هذه صفته ، فلم يعرف الله ولم يصفه بصفته ولم يقصد بعبادته الا من هذه صفته ، وهو بخلاف المؤمن الذي يقول ان معبوده

الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فهذا قد عرف الله ووصفه بصفته ، فقامت الجماعة وقالوا جزاك الله خيراً من عالم فقد شفيت ما في قلوبنا ودعوا له ولم يخوضوا في مسألة بعد هذا المجلس (قال) : ورحل الى المشرق مرة ثانية سنة ست وعشرين واربعمئة فلقني بمكة عبد الله بن احمد الهروي واخذ عنه ثم قدم القيروان قبل وفاته بيسير .

(ذكر وفاته وما يتعلق بذلك)

(قال) : ولما حضرت ابا عمران الوفاة جعلت زوجته تمرغ خديها على رجليه فقال لها مرغي اولا تمرغي أما والله اني ما مشيت بهما الى معصية قط ، (قلت) : لو لم يكن في فضل ابي عمران الا هذا مع ما تقدم من كونه ما رثي ضاحكاً قط الا مرة واحدة لكان كافياً في ذلك (قال) : وتوفي في الثالث عشر من رمضان سنة ثلاثين واربعمئة ومولده سنة ثمان وستين وثلاثمئة ، (قلت) : كذا قال ابو عمر بن عبد البر ، وقال ابو عمرو الداني : مولده سنة خمس وستين ، قال وحضر للصلاة عليه جميع اهل القيروان والسلطان في موكبه وتجاذبت العامة نعشه وهو على رؤوسهم الى ان كسروا تحته نعشين من بكرة الى قرب الزوال ، وصلى عليه ابو بكر عتيق السوسي الفقيه الزاهد بوصيته له بذلك ودفن بداره وقبره مشهور بالقيروان يتبرك به .

(قلت) : وما زلت أسمع ممن نثق بقوله انه ورثه زوجته وابنته وعصبة بيت المال وانه وجد في تركته الكبريت الاحمر فاستردّه السلطان المعز بن باديس لبيت المال ! وهذا غير صحيح لقول المازري في شرح الجوزقي : لما افاق ابو عمران من اغمائه في مرضه الذي مات فيه سمع ام ولده عيسى تبكي وتقول واشماتة اعداء عيسى بعيسى ! فقال لها قولي لاعداء عيسى لا يموتون ! وجعلت تمرغ خديها على رجليه فقال لها ما تقدم ، ولو نقله الشيخ الدباغ على نحو ما قلناه لكان اتم

فائدة ، وقد تقدم انه لما مات الشيخ ابو الحسن القاسبي مكث ابو عمران على قبره سنة كاملة وان ابا الحسن القاسبي وقف له في المنام وقال له : نورت قبوري نور الله قبرك ، ادخل القيروان وفقه اهلها في الدين ، فجرت العادة في زماننا وقبله اكثر ما يؤتى له بالزيت فيشعل على قبره منه ويباع ما يفضل منه بالدنانير وتصلح منه داره المدفون فيها ويأخذ منه الواقف في الموضع (165) ومن يكن في سفر وخاف من اخذ الاعراب له يعد الشيخ أبا عمران بصاع من الزيت او اقل او اكثر ان سلمه الله فيسلمه الله عز وجل ويوصل ذلك لداره فيفرغه في جرة معدة لذلك وينصرف ، وكذلك ان مرض انسان او مرض له ولد او ما اشبه ذلك وكل من نزلت به نازلة بالقيروان من سرقة ماله او غير ذلك يكثر من الزيارة للشيخ والدعاء عند قبره يفرج الله عنه ما نزل به في غالب الحال .

### ● ٢٨٣ ومنهم أبو حفص عمر بن محمد العطار

(قال) : كان من المجتهدين المبرزين من ائمة القيروان المعدودين ، انتفع به خلق كثير من الناس (قلت) : منهم عبد الحميد المهدي المعروف بابن الصائغ وابن سعدون ، (قال) : حتى كان الذكر لابي بكر بن عبد الرحمان والعلم لابي حفص العطار لان ابا بكر بن عبد الرحمان هو شيخ ابي حفص هذا لكنه برع فناهز شيخه أو كاد ، وكان موقفا في اجوبته ، لم ير معلما بالقيروان أحسن منه تعليما ، ومات قبل وفاة الشيخ ابي بكر بن عبد الرحمان فقال الشيخ ابو بكر : رحمك الله يا ابا حفص فلقد كنت تنصرتني وتكفيني امورا كثيرة من الفتيا ، ولابي حفص تعليق على المدونة أملاه سنة سبع وعشرين او ثمان وعشرين واربعمائة وهو كتاب نبيل جدا ، (قلت) : ودفن بباب سلم وقبره مشهور مزار وعلى مشهده مكتوب :

الموت بحر عامق موجهه      تحار فيه حيلة السابح  
يا نفس انى واعظ فاسمعى      مقالة من مشفق ناصح  
ما يصحب الميت في قبره      غير التقى والعمل الصالح

وبقربه حوطة فيها مشاهد على قبور متعددة يقول العامة انهم قبور خناطين كانوا صلحاء فحفظ الناس واستسقوا اياما فلم يجابوا ، فخرج هؤلاء الخناطون وبأيديهم الوينات والصيعان وخرجوا يطلبون الله عز وجل بالدعاء فكان من دعائهم ان قالوا اللهم ان كنت تعلم انا لا نكتال الا حقا ولا نغش في بيع طعامنا - أو ما في معناه - فامطرنا فامطروا من القور في تلك الحالة بمطر وابل ، فكان مما علم لهم ذلك فجرت عادة العامة يتبركون بقبورهم ويزورونهم ويدعون عندهم ، ولا اعرف احدا من المؤرخين ذكرهم .

## ٢٨٤ ● ومنهم أبو بكر أحمد بن عبد الرحمان بن عبد الله الخولاني رحمه الله ورضى عنه

قال : قرأ على الشيخ ابي سعيد ابن اخي هشام ، ثم على الشيخ ابي محمد بن ابي زيد ، ثم لزم الشيخ ابا الحسن القاسمي وانقطع اليه حتى لم يكن في اصحابه مثله وابع له ابو الحسن الفتيا في حياته ، وعرض عليه ان يقاسمه في جميع ما يملكه فامتنع ، وسمع ايضا من ابي بكر الزويلي ، وابي محمد عبد الله بن احمد الصدفي ، وابي جعفر بن عبد الله الكاتب ، وابي الحسن بن ابي بكر وابي محمد بن البادسي ثم رحل الى المشرق سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فلقني ابا بكر عتيق بن موسى الحاتمي المصري ، و ابا بكر محمد بن بكر النعالي و ابا القاسم عبد الرحمان بن محمد بن احمد الجوهرى وغيرهم وكلهم اجازوه اجازة عامة وانتفع به الناس ، وكان اصحابه نحو المائة والعشرين كلهم يقتدى بهم ، (قلت) : منهم ابر القاسم بن محرز ، و ابو حفص العطار ، وعبد الواحد الكفيف ، و ابو اسحاق

التونسي ، وابو القاسم السيوري ، وابو الفضل ابن بنت خلدون ، وابو عبد الله محمد بن سعدون ، وابو محمد عبد الحق وابو حفص عمر بن طيبون ، وابو بكر عبد الله بن محمد المالكي .

(ذكر ثناء العلماء عليه)

(قال) : كان احد الفقهاء المبرزين ، والحفاظ المعدودين ، اجمع اهل عصره على انه لم يكن في وقته احفظ منه ، مع اجتهاد في العبادة وقيام الليل وصيام النهار ورقة القلب وغزارة الدمع وكثرة الصدقة واجابة الدعاء ، وقال ابو الحسن القاسبي ان ذكر العابدون فأبو بكر بن عبد الرحمان اولهم ، وان ذكر المجتهدون فأبو بكر اولهم ، وان ذكر المتفقهون فأبو بكر اولهم ، وقال ابو القاسم السيوري ما رأيت ابا بكر بن عبد الرحمان اخطأ في مسألة واحدة من المدونة ، وقال ابو بكر : لو عدت المدونة لكتبتها من صدري ، (قلت) : وكذلك قال في كتاب ابن المواز حسبما تقف عليه ، وقال بعضهم . مازال الذكر ورئاسة الدين في وقته مع صاحبه أبي عمران الفاسي في المغرب ، حتى لم يكن لاحد معهما اسم يعرف .

(ذكر عبادته وصدقته واجابة دعائه وقلة هيئته للسلطان)

(قال) : كان يمشي للمنستير كل سنة في رمضان فكان طول رمضان لا يتام الليل ، وكان يصوم الدهر فلا يفطر الا الايام المحرمة الصوم ، وكان كثير الصدقة لا يخلو ميعاده من صدقة ابدا ، وروى ان رجلا تكلم في عرض الشيخ ابي بكر ، فقال : اللهم أره في فمه العبرة ، فأصاب الرجل انفاليج فنغوج منه فمه ، ودعا على جعفر بن الكوفي فقال اللهم لا تمهله فمات تلك الليلة ، ودعا على رجل ظالم كان يغصب الناس فأصابه اسفنجون (166) فمات من الغد .

(قلت) :- وحكى الشيخ الفقيه الامام ابو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي في كتابه المسمى بسراج الملوك قال اخبرني شيخ قديم كان يصحب العلماء بالقيروان يقال له جرير ، قال اخبرني عبد الكافي الديباجي ، قال رأيت بالقيروان آية عظيمة وذلك ان رجلا جاء بصبي قد اسكت ولم يتكلم فدخل به الى الفقيه ابي بكر بن عبد الرحمان واخبره انه لا يتكلم منذ ايام وسأله ان يدعو الله ان يفرج ما به ، قال فدعا له ساعة ثم مسح على وجهه فاستفاق فقال له قل : لا اله الا الله ، فقال الصبي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ، ثم التفت (167) الى ابيه وقال له اكنمها حتى اموت فلما كان عند وفاة الشيخ ابي بكر بن عبد الرحمان واحتفل الناس بجنازته قام الرجل وساق لهم القصة كما ذكرنا .

(قال) روي انه قال يوما للمعز ابن باديس - وقد اراد ان يعثه رسولا الى صقلية - والله ان أقلامنا لامضى عند الله من رماحك ! ودس اليه المعز يوما من كتب سؤالاً نصه : ما يقول الفقيه في هذا الطرز التي فيها اسماء بني عبيد مثل الظاهر والحاكم وغيرهما مما يلبس أبصليتي فيها ؟ فكتب الشيخ ابو بكر جوابا : هذا سؤال أحمق أخرق قليل المعرفة ، وكتب الشيخ ابو عمران الفاسي جوابا عن هذا السؤال : انما يجب على من بسط الله يده ان يمنع من ذلك ! فشق على السلطان جواب الشيخ ابي بكر فارسل اليه والى الشيخ ابي عمران فقال للشيخ ابي بكر ، لم اجبت بهذا ؟ فقال لان السكة تضرب باسمائهم وبنودهم تخفق على رأسك فقال السلطان ما ابقيت السكة والبنود الا مداراة لاجل حجاج بيت الله الحرام والمسافرين ، ثم قال السلطان الم اقتل المشاركة ؟ الم افعل كذا الم افعل كذا ؟ فقال الشيخ ابو بكر : فعلت وبقي عليك ! أتأذن لي ان اتكلم ؟ قال له السلطان لا ثم عطف عليه الشيخ ابو عمران فقال له :

لم لم تكتب بمنع ذلك ؟ (قلت) : فالشيخ ابو عمران اعان بكلامه هذا ابا بكر ، ولذلك قيل كان ما بينهما تباعد جدا حتى طمع بذلك المعز فيهما ليجري الحججة على العامة بشهادة احدهما على الآخر اذا كانت العامة طوعهما فلما اختبرهما بذلك لم يجد عندهما ما يوافقه ووجد دينهما امتن مما يظن ، (قال) : وبعث اليه المعز يوما رسولا فقال له : يقول لك المعز هل أنا عندك مسلم ام كافر ؟ فقال للرسول قل له تتبع العلماء هذا التبع وتستقصي عليهم والله لئن لم تتركني لاعرضنك على الله عز وجل ! فلم يعرض له بعد ذلك بشيء .

(ذكر بقية اخباره)

يذكر ان اصحاب ابي بكر تعجبوا من حفظه فاتفقوا على اختباره ، فلما كان من الغد اخذوا غير الكتاب الذي يتذاكرون فيه - وكانت مذاكرتهم اياه في كتاب ابن المواز - فلما قرأوا الكتاب قال لهم الشيخ ليس كتابنا هذا فجمحووا عليه وأروه أنه هو الذي حضروا للمذاكرة فيه اولا ، ففطن الشيخ لمرادهم ، واخذ الكتاب في يده ونظر فيه ، ثم طواه والقاء عليهم من حفظه ، وقال : علمت ما اردتم لو عدعتم هذا الكتاب لامليته عليكم من حفظي !

(قال) : ورات امه وهي حامل به كأنها حامله بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ورأى الشيخ ابو بكر كأن مالك بن انس خلق في داره ، وقال ابو عبد الله ابن سعدون : رأيت في المنام كأن قائلا : بين السماء والارض اسمع صوته ولا ارى شخصه يقول : الا ان ابن عبد الرحمان قد ورث جد رسول الله صلى الله عليه وسلم - كررها مرتين او ثلاثا - وانه من اهل الجنة ، فذكرتها للشيخ فدمعت عيناه (قلت) : وقال ابن سعدون ايضا اخبرنا الشيخ ابو بكر انه كان رأى في المنام كأن قائلا يقول له : اكتب اسمك في ذلك اللوح الذي فيه اسماء العلماء فانظر فيه الى اسم مالك فاكتب اسمك تحته أو بجواره ، (قال) : وقال ابو حفص ابن الشامي المتعبد كان بيني وبين الشيخ ابي



عمران الفاسي اختصاص ومودة ، وكان له في قلبي موضع عظيم من الجلالة لعلمه وفضله ودينه ، ثم نظرت الى الشيخ ابي بكر بن عبد الرحمان فرأيت شيئا جليل القدر فبقيت متعجبا من اختلافهما ! فرأيت ليلة من الليالي في المنام قائلا يقول : ابن عبد الرحمان من الموقنين ابن عبد الرحمان من الابرار ابن عبد الرحمان من المجتهدين .

(ذكر وفاته رحمه الله ) ،

(قال) : توفي يوم الاثنين لثلاث بقين من شوال سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة ، (قلت) : كذا قال ابو عبد الله محمد بن سعدون وابو اسحاق الشيرازي وقال غيرهما توفي سنة خمس وثلاثين ، (قال) : وصلى عليه ولده بالريحانية في جمع لا يحصون وكسرت تحته نعوش كثيرة وقطع السلطان بعض الايدي لعدم تسليمهم للنعش وعصيانهم لامره ، ودفن بباب تونس الى جانب ابيه عبد الرحمان ، (قلت) : فقبر الشيخ ابي بكر بن عبد الرحمان من جهة القبلة والسارية التي عند رأسه مكتوب فيها اسمه ، ووالده عند رأسه سارية أيضا مكتوب عليها ، وكلاهما مزار (قال) : وكان الناس يخرجون الى قبره بالمشاعل والشموع ليالي عدة حتى منعهم السلطان من ذلك ، (قلت) : ومسجده مسجد كبير قرب سور البلد بحارة الغرانة اذا دخلته ترى فيه انوارا وهيبة تعرف انه مسجده رحمه الله تعالى .

## ● ٢٨٥ ومنهم أبو عبد الله محمد بن العباس الانصاري الخواص

(قال) : سمع من ابي محمد بن ابي زيد وابي الحسن القاسبي وغيرهما ، اشتهر بالعلم والعبادة والفضل والزهادة ، سمع عليه عالم كثير منهم عبد الله بن محمد المالكي وعمر بن ابي محمد بن ابي زيد ، وتوفي بعد عام ستة وعشرين واربعمائة رحمه الله تعالى .

## ● ٢٨٦ ومنهم أبو عبد الله الحسين بن عبد الله

### ابن عبد الرحمان الاجذابي المؤرخ

(قال) : كان واحدا زمانه علما وفضلا ، وكان ثقة ثبتا يروى عن ابي بكر بن ابي عقبة عن جبلة بن حمود وعن ابي الحسن القاسبي ، وابي العباس ابن ابي العرب ، وعنه اخذ ابو بكر بن محمد المالكي وغيره توفي يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة ودفن بباب سلم قرب البهلول ابن راشد رحمه الله تعالى .

## ● ٢٨٧ ومنهم أبو الحسن علي بن محمد ابن أخي مروان

### الانصاري الفقيه

(قال) : كان من أهل الدين والفضل ، توفي ليلة السبت لثلاث بقين من شعبان سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة ودفن بباب سلم جوار قبر عمه مروان العابد رحمه الله تعالى .

## ● ٢٨٨ ومنهم الشيخ الفاضل أبو طاعة بن أحمد

### ابن طولون

(قال) : هكذا وجدته مكتوبا على قبره . يحتمل ان يكون من ولد احمد بن طولون امير مصر المشهور بالفضل وفعل المعروف ، وهو الذي ينسب اليه جامع ابن طولون بمصر . ويحتمل ان يكون غير ذلك توفي ابو طاعة هذا ليلة الاحد لعشر بقين من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين واربعمائة ودفن بباب تونس وقبره معلوم رحمه الله تعالى .

## ● ٢٨٩ ومنهم أبو بكر محمد بن عبد الله القصرى

(قال) : كان من أهل العلم والقرآن واتباع السنة وخدمة الصالحين صحب الشيخ ابا الحسن القابسي توفى في صفر سنة ست وثلاثين واربعمئة ودفن بباب نافع رحمه الله تعالى .

## ● ٢٩٠ ومنهم أبو علي الحسن بن محمد ابن الجدود اللواتى الفقيه القاضى رحمه الله تعالى

(قال) : كان احد فقهاء القيروان وذوي العلم والدين والنباهة توفى يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة سبع وثلاثين واربعمئة وقبره مشهور رحمه الله تعالى .

## ● ٢٩١ ومنهم أبو محمد مكى ابن أبى طالب واسمه محمد ويقال حموش بن محمد بن مختار القيسي اللغوى النحوى

(قال) : سمع من ابي محمد بن ابي زيد وابى الحسن القابسي وغيرهما كان فقيها مقرئا أديبا متفننا وغلب عليه حكم القرآن ، وكان من الراسخين فيه ورحل الى المشرق سنة سبع وسبعين فلقى ابن غلبون بمصر وغيره ، وحج عامه ثم عاود مكة سنة سبع وثمانين فأقام بمكة اربعة اعوام وتجول في رحلته فلقى جملة من المحدثين والفقهاء وانصرف الى القيروان سنة اثنتين وتسعين وثلاثمئة ودخل قرطبة ايام المظفر بن ابي زيد (168) من سنة ثلاث وتسعين فأجلسه ابن ذكوان

(I68) صوابه ابن أبى عامر وهو المظفر الذى دخل المترجم قرطبة فى مدته لا فى مدة المنصور لانه توفى سنة 392 قبل دخول المترجم .

القاضي في المسجد الجامع فنشر علمه وعلا ذكره ورُحِل إليه ثم ولي الخطبة والصلاة مدة الى ان اقعده عنها الحرب (169) وصنف تصانيف جليلة في علوم القرآن وغير ذلك ، ومن اشهر تصانيفه كتاب الهداية في التفسير ، وكتاب الكشف في وجوه القراءات ، وكتاب اعراب القرآن ، وكتاب الايضاح في ناسخه ومنسوخه وهو كتاب حسن ، وذكر ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر انه له تصنيفا في الفقه ، (قلت) : وهو كتاب معروف سماه الهداية ، روى عنه جلة الناس كأبي عبد الله ابن عتاب وأبي الوليد اليساجي وغيرهما ، وكان معروفا بالصلاح واجابة الدعوة الى ان توفي بها صدر محرم سنة سبع وثلاثين واربعمائة وقد اناف على الثمانين سنة رحمه الله تعالى .

## ● ٢٩٢ ومنهم أبو بكر ابن أبي طاعة

(قال) : سمع من ابي الحسن القاسبي وجمع الفقه والدين والفضل ، وكان امام جامع القيروان ، (قلت) : وقال غيره وكان رجلا صالحا فقيها ورعا فاضلا زاهدا وكان له حظ من الناس وقبول ، وكان ينتحل مذهب الصوفية ويقول بالايثار ولا يمسك شيئا وكان لا يضع جنبه على الارض غالبا وانما ينام محتبيا ، وكان من الايثار والسخاء والجلود بما معه على امر عظيم ويقتصر من لباسه على ما خشن ويؤثر بما سوى ذلك ، وكان من اهل المعرفة بالقراءات وطرقها في غاية التجويد للتلاوة وكان صاحب الصلاة والخطبة بالجامع الاعظم بالقيروان ، موصوفا بالدين والخير والفضل والحلم والوقار وحسن النقل ، وضعف عن الامامة في آخر عمره فتركها ولزم داره الى ان مات على خيار عمله ، (قال) : وذلك يوم

الاثنين ثلاث خلون من ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين واربعمائة ودفن بباب تونس قرب ابيه ، (قلت) : وهو مزار يعرفه الخاص والعام قرب حوطة الشيخ ابي الحسن القاسبي من جهة الشرق ومكتوب في مشهده اسمه واسم ابيه وتاريخ وفاته على جري العادة في ذلك رحمه الله تعالى .

## ● ٢٩٣ ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله المالكي رحمه الله تعالى

(قال) : هو صاحب الشيخ ابي الحسن القاسبي الملازم له وكان فقيها صالحا فاضلا كثير الخدمة للصلحين والمجبة لهم ، (قلت) : زاد غيره مشكورا بالالسة محبوبا بالقلوب وقدمه الشيخ ابو الحسن للامامة فكان يصلي به ، (قال) : وهو الذي جمع مناقب شيخه ابي الحسن ، وابو الحسن هو الذي سماه المالكي - وكان يقال له ابن الشافعي - فقال ابو الحسن هو المالكي ابن المالكي فاشتهر بذلك ، وابنه ابو بكر المالكي صاحب كتاب تاريخ صلحاء افريقية (170) ورحل ابو عبد الله بعد وفاة الشيخ ابي الحسن الى مكة ولقي ابا ذر الهروي وسمع عليه البخاري ، وقدم القيروان صحبة ابي القاسم ابن الكاتب في صدر ثمانية واربعمائة ، وروي عنه انه قال : كان الشيخ ابو الحسن اذا دعاني لقراءة علم او قرية يقول لي : يا محمد واذا استدعاني لخدمة او لقضاء حاجة يقول لي يا مالكي احتراما منه لاسم محمد ، وكان اعلم الناس بباطن احوال الشيخ ابي الحسن والمطلع على عبادته وخفي

(170) هو رياض النفوس الذي نشر الاستاذ حسين مونس الجزء الاول منه سنة 1951 ومنه نسخة بمكتبة باريس كاملة واخرى بمكتبة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة مختصرة .

امره ، توفي بالقيروان سنة اربع واربعين واربعمائة ، (قلت) : وقال غيره : توفي ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شعبان سنة ثمان وثلاثين واربعمائة وقد اناف على السبعين ، (قال) : ودفن بباب تونس جوار قبر الشيخ ابي الحسن القابسي .

(قلت) : وتبعه العواني ، وكذلك كان شيخنا ابو الفضل البرزلي يقول وبعبه انه من جهة الجوف من قبر الشيخ الملاصق له وعند رأسه عمود لطيف ليس فيه كتب ، واذا زار بنا جبانة باب نافع وهي التي فيها قبر عبد الله بن غانم وسحنون ابن سعيد وابنه محمد ومحمد بن عبدوس وحماس بن مروان وابي اسحاق السبائي وغيرهم يقف على قبر ويقول : هذا قبر ابي بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي ، وعليه مشهد مكتوب بخط معتبر فكنت نعتد كلامه ونعرف به من يزور معي كذلك ، واذا زرت والده عند القابسي اقول هذا قبر ابي عبد الله متبعا له ، فلما خرجت لتونس للقراءة على شيخنا هذا بعد انصرافه من عندنا ، قمت فيها اربعة عشر عاما ثم تغربت في البلاد للقضاء من بلدة الى بلدة نحو سبعة عشر عاما لا اسكن القيروان اذا انصرفت من بعض البلاد الا قليلا حتى اتولى ببعض البلاد ، فكانت زيارتي لقبور المشيخة قليلة ، فلما زرت قبورهم بعد توطن الإقامة ورفعت يدي عن القضاء باختياري جئت الى زيارتهم باجتهاد ووقفت على قبر المالكي الذي بجبانة سحنون فوجدت في مشهده مكتوبا ما نصه : هذا قبر الشيخ الفاضل الفقيه ابي عبد الله محمد بن عبد الله المالكي رحمة الله عليه توفي ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين واربعمائة ، فبان بهذا ان الامر بالعكس وان الذي عند القابسي انما هو ابو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي لانه ليس على قبره كتب وسمعوا هذا قبر المالكي فتوهموا انه قبر ابي عبد الله محمد لانه خديمه وهذا لا يلزم والكتب في المشهد مقدم على غيره ويبعد غلط الكتاب لانه كان يعاود بكتبه في آخر والله أعلم .

## ٢٩٤ ● ومنهم أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المصري (٥) المعروف بالبيدي

وقال بعضهم المعروف بابن البيدي - ولادة قرية من قرى الساحل (171) - (قال) :  
 سمع على الشيخ ابي الحسن القاسمي ، وابي محمد بن ابي زيد وغيرهما ، (قلت) :  
 وسمع منه ابو عبد الله محمد بن سعدون وغيره من القرويين والاندلسيين ، ووجهه  
 ابو الحسن القاسمي لتفقيه اهل المهديّة ، وامتد عمره بعد اقرانه فحاز رئاسة العلم  
 والتشيخ به بالقيروان ، (قال) : وكان فقيها فاضلا زكيا ومحبا في الصالحين ويزورهم  
 في السواحل و يبحث عن مناقبهم واحوالهم ، وهو الذي ألف مناقب الشيخ ابي  
 اسحاق الجبنياني ونفعه الله تعالى بخدمة الصالحين ، وله كتاب في الفقه كبير  
 جمع فيه بين النوادر لابي محمد بن ابي زيد وموطا مالك وغيره ، فجمع فيه  
 مذهب مالك كله ، (قلت) : وألّف كتابا في اختصار المدونة سماه الملخص ،  
 وكان ينشد الشعر ويحسن القول فيه ، (قال) : توفي بالقيروان - فيما اخبرني  
 ثقة من شيوخنا - سنة اربعين واربعمئة ليلتين بقيتا من شوال منها وسنه ثمانون  
 سنة وصلى عليه ابنه ابو بكر - وكان من اهل العلم - وحضر جنازته صاحب افريقية  
 وجميع رجاله ، ودفن في داره ، ورثي بمراث كثيرة ، (قلت) : قبره ليس  
 بظاهر ولا تعلم داره .

(\*) بالاصل المصري وهو بعيد والتصويب من طبقات مخلوف وفي ق : الحضرمي  
 وهو ابعد .

(171) لا تعرف الآن بالساحل التونسي والمعروفة انما هي بالساحل الليبي جنوب  
 مدينة طرابلس وهي ازلية وبها آثار عظيمة على ان النسبة مخالفة والمترجم  
 منسوب الى لبيدة لا لبيدة وهي كذلك في المدارك وما هنا تحريف .

## ● ٢٩٥ ومنهم أبو محمد عبد الباري ابن حسن (\*) التميمي العابد المؤدب رحمه الله تعالى

(قال) : توفي في صفر سنة سبع وثلاثين واربعمائة ، ودفن بباب تونس وقبره مشهور رحمه الله تعالى .

## ● ٢٩٦ ومنهم أبو عبد الله مكي بن عبد الرحمان الانصاري الفقيه الصالح

(قال) : سمع من يحيى بن محمد بن سلام ، كان من خواص اصحاب الشيخ ابي الحسن القاسبي ، وكان هو الذي (172) يصلّي بالشيخ أبي الحسن ويُصلي عليه ابو الحسن تواليفه ، وهو ايضا الذي غسله ، وله فضل وعلم ودين توفي سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة نفعنا الله به آمين .

## ● ٢٩٧ ومنهم أبو عمر عثمان بن أبي بكر بن رشيق (\*\*) رحمه الله تعالى

(قال) : كان صالحا فاضلا وليا من اولياء الله تعالى ، سمع من ابي الحسن الجوهري ، كلمة وعظ - وهو على المنبر في جامع القيروان - فصاح صيحة خرجت فيها روحه في الجامع ، وذلك في جمادى الاخرة سنة احدى واربعين واربعمائة ، ودفن بباب سلم وقبره معروف رحمه الله تعالى ورضي عنه .

(\*) ق : حسين .

(172) يصل بالشيخ ابي الحسن .

(\*\*) هذه الترجمة مزيدة عما في ق .



## ● ٢٩٨ ومنهم أبو اسحاق ابراهيم بن حسن بن يحيى المعافرى التونسى رحمه الله

(قال) : صاحب كتاب التعليقة ، (قلت) : يعنى على المدونة ، وله تعليق ايضا على كتاب ابن المواز ، (قال) : وهو من طلبة ابي بكر بن عبد الرحمان ، (قلت) : ظاهر هذا انه لم يقرأ على غيره ، وليس كذلك ، بل تفقه عليه وعلى ابي عمران الفاسي وطبقتهما ، واخذ عنه عبد الحق وابن سعدون وعبد العزيز التونسي وابن ابي الحاج وغيرهم ، (قال) : كان فقيها صالحا موصوفا بالفهم مقدما في اجوبته من اهل النسك والارادة ومحبة الصالحين مستجاب الدعاء ، وله براهين ومناقب حسنة ، قرأ القراءات واجاز بها وقرأ الفقه البارع والنحو ، (قلت) : وفي كلامه بتر لكونه كان متكلمما في اصول الدين يميل الى النظر عارفا بالحديث ووجوه مشهورا بذلك ، وكان نشأ في العلم ومات عليه ، لم ير مثله في الفقهاء وقارا وسمتا ، وفيه يقول عبد الحميد الديباجي رحمه الله تعالى .

حاز الشريفين من علم ومن عمل وقلما يتاتي العلم والعمل

(قال) : وكان ابو حفص العطار يقول : اذا وافقني ابو اسحاق التونسي وعبد الواحد الكفيف ، ما أبالي بمن خالفني ، (قلت) : وذكره ابو عمار الميرقي في رسالته هو وابو القاسم السيوري فقال : لحقا من تقدمهما في العلم والورع واعجزا من يأتي بعد آخر علماء المغرب .

(قال) : وطرأت عليه محنة ، (قلت) : كان حقه ان يزيد كما قال غيره : عظيمة ، وسببها انه ورد عليه سؤال من مدينة باغاية استفتى فيها ، وكانت المسألة مسألة طلاق ومراجعة ، وذكر السائل : ان ولي النكاح كان من الفرقة المعروفة بافريقية بالمشاركة - وهم أهل دعوة بني عبيد - فأجاب الشيخ ابو اسحاق رحمه الله : أن هذه الفرقة على قسمين : احدهما كافر مباح الدم ،

والقسم الآخر وهم الذين يقولون بتفضيل علي بن ابي طالب على سائر الصحابة ، لا يلزمهم القتل ولا يبطل نكاحهم ، فانكر عليه جميع فقهاء افرقية بالقيروان وغيرها ، واحتجوا عليه بان جماعة من اهل الزهد والعلم والعبادة بالقيروان كانوا اشد الناس مباينة بالعداوة والتكفير لبني عبيد واتباعهم . منهم ابو اسحاق السبائي ومروان العابد وربيع القطان واضرابهم ، وارسلوا اليه ان يعاود النظر وان يرجع عن هذا القول (173) فابى عن ذلك وانتهت القضية الى المعز بن باديس فجمع - بعض الجمع - عنده في المقصورة وناظروه فآظهر الانابة الى قولهم والرجوع ، ثم خلا بأصحابه فانكروا عليه رجوعه الى قولهم وانه الحق الذي لا يجب سواه ، وكان راي الفقهاء سد هذا الباب للعامة على هؤلاء الكفرة بني عبيد الزنادقة وان الداخلى في دعوتهم - وان لم يقل بقولهم - كافر لتوليه الكفر ، فآظهر ابو اسحاق التماذي على قوله وانكار الرجوع عنه فآطلق الفقهاء الفتيا على مقاله هذا بالتضليل والتبديع ، وقال فيها الشعراء قصايد كثيرة تضمنت ابا اسحاق والتبري منه وانشدها الشعراء والطلبة عند الفقهاء في دورهم ، وامر السلطان بسجل في القضية من التبري من قوله ، وقيل فيه ما يعظم به اجره ، وامر بقراءته يوم الجمعة على المنبر قبل الصلاة مستهل صفر عام ثمانية وثلاثين واربعمائية ثم امر السلطان باحضاره بالمقصورة في ذلك اليوم اثر الصلاة وأحضر معه الفقهاء ابا القاسم البيدي فقيه مشيخة الفقهاء وكبيرهم والفقهاء ابا الحسن والقاضي ابا بكر بن ابي محمد بن ابي زيد خاصة من بين سائر الفقهاء - وكان هذان الفقيهان من اشد الناس ميلا الى مذهب الجماعة - وحكم في المسألة البيدي ، فحكم بان يقر بالتوبة على المنبر بمشهد جميع الناس وان يقول : كنت ضالا فيما رأيت ورجعت عن ذلك الى مذهب الجماعة ، فاستعظم

(173) المراد بهذا القول تقسيم الشيعة الى قسمين وتخفيف الحكم على احدهما حيث يرون تكفير الجميع .

الامر على المنبر وقال : ها انا أقول هذا بينكم ، فساعدوه وقنعوا منه بقول ذلك بمحضر السلطان والجماعة وأن يقوله بمجلسه ويُشيعه عنه، فاقتروا على ذلك (174) ، وحصلت على الشيخ منه غضاضة فخرج في صبيحة يومه متوجها الى منستير الرباط ، وهو المراد بقول من قال خرج الى قصر الرباط ، ولا يحمل على ظاهره وهو انه خرج الى قصر الرباط الكائن بسوسة اذ هو معد للعبادة كقصر المنستير لانه يكون خلافا وعلى ما حملناه عليه يكون وفاقا - وكان ذلك في يوم السبت الثاني من صفر من السنة المذكورة - وانما خرج من الفور مسكنا للقضية ومُنسيا لها فتغيّب بشخصه ثم عاد الى القيروان .

قال عياض : ولا امتراء عند كل منصف ان الحق فيما قاله ابو اسحاق ، ولا امتراء ان مخالفته أولا لرأي اصحابه في حسم الباب لمصلحة العامة لجاج وان راي الجماعة كان اسد للحال وأولى وفتواه هذه جري على العلم وطريق الحكم ، ومع هذا فما نقصه هذا عند اهل التحقيق ولا حط منصبه عند اهل التوفيق ، وقد حكى ابو عبد الله بن سعدون قال رأيت ابا القاسم اللبيدي بعد موته فسألته من هو على الحق انت او ابو اسحاق ؟ فسكت (175) بقصده فكأنه يقول لي بصوت خفي ؛ التونسي ، وقال الشيخ ابو عبد الله محمد السطى يُحكى ان الشيخ ابا اسحاق التونسي بلغت منه الحاجة الى ان واجر نفسه في طرح الميتة ، (قلت) : لعله في سفره لما حج والله اعلم .

(174) هذه الواقعة الفظيعة وقعت سنة 438 هـ كما ذكرنا قبل وفيها تعصب على المترجم من المشيخة وكانه رد فعل ضد المشاركة رغم انقطاعهم من البلاد وانظر ترجمة ابن علي ابن خلدون - المارة قريبا - كيف ذهب ضحية لتعصب الطرف المقابل من المشاركة ورغم مرور الزمن على ثورة سنة 407 هـ فان ردود الفعل بقيت متلاحقة الى سنة 438 هذه الواقعة .

(157) في ق : فسكت واسكت اي اسكت السائل بالبناء للمفعول انتظارا لما يقصد ان يقول .

(ذكر وفاته وما يتعلق بذلك) ،

(قال) : توفي يوم الاثنين الثاني من ربيع الآخر سنة ثلاث واربعين واربعمائة وحضر جنازته المعز بن باديس في جمع عظيم ودفن بباب سلم وقبره معلوم ، (قلت) : وعند رأسه سارية كبيرة وعلى قبره نور واشراق ، (قال) : ولابي الحسن علي بن رشيق القيرواني مرثية يرثي بها ابا اسحاق

يا للرزية في ابي اسحاق	ذهب الحمام بانفس الاعلاق
ذهب الحمام بخاشع متبتل	تبكي العيون عليه باستحقاق
ذهب الحمام ببدر تم لم يدع	منه الردى الا هلال محاق
وحوت جنوب للحد بحرا زاخرا	ترك البحار الخضر وهي سواقى
فاليوم اغلق كل فهسم بابيه	لما فقدنا فاتح الاغلاق
ما القيروان اذقت شكلك وحدها	قد ذاق شكلك سائر الآفاق

(قلت) : ورثي بمراث كثيرة تركتها خشية الاطالة وظهرت للشيخ ابي اسحاق بركات في زماننا .

## ● ٢٩٩ ومنهم أبو بكر عتيق بن احمد بن اسحاق التميمي المعروف بالقصرى رحمه الله تعالى

(قال) : كان امام جامع القيروان وكان من اهل العلم والدين والفضل والعبادة وقيام الليل وقلة الكلام لا يكاد يتكلم في احد مشغولا بعبادته ، وكان عالما بعلوم القرآن انتفع على يديه خلق كثير لانه كان يقرأ عليه من سدس الليل الآخر الى الضحى ومن العصر الى الليل ، وهو معدود في جملة العباد مجمع على دينه وفضله ، وهو من اصحاب ابي عبد الله ابن سفيان المغربي توفي في الخامس من شعبان سنة سبع واربعين واربعمائة ودفن بباب سلم وقبره معلوم رحمه الله تعالى .

## ● ٣٠٠ ومنهم أبو بكر عتيق السوسى رحمه الله تعالى

(قال) : جمع العلم والعبادة والزهد والورع والتقشف وكبر الهمة من الفقهاء المبرزين والحفاظ المعدودين ، وكان حافظا للفقہ والحديث ، عارفا بمعانيه ، عالما بالنحو واللغة ، مع دين متين وورع حاجز ، وهو الذي صلى على ابي عمران الفاسي فاعلم المعز بمكانه من الدين والعلم واخبر بفقره وانه لا مسكن له فبعث اليه بمال يشتري به دارا فقال ابو بكر للرسول : ما كان اغثناني عن الصلاة على ابي عمران التي عرفت بيني وبينك ! وقال ردّاها عليه وقل له : يدفعها لاربابها فان لم يعلم اربابها تصدق بها على الفقراء ، فأعلم الرسول المعز بما قال فبعث اليه كتبا جليلة مثل المدونة والنوادر والموازية وغيرها مما له قيمة كثيرة عن رءوس الحمالين فلما وصل اليه الرسول اغلق الباب في وجهه فلم يزل يلاطفه وقال له يقول لك المعز : هذه السكتب في خزانتنا ضائعة وبقاؤها عندنا مما يزيدنا ضياعا وانت اولى باقتنائها ، فقال له اكتب على كل جزء منها : حبس على طلبة العلم فكتب ذلك ، فلما بلغ المعز ذلك قال اردنا امرا فغلبنا فيه ، وكان رحمه الله مرة يفتي ومرة لا يفتي وذلك من شدة ورعه لانه كان مرة يعتقد وجوب الفتوى عليه ومرة لا يعتقد وجوبها عليه فلا يفتي

## ● ٣٠١ ومنهم أبو القاسم عبد الخالق ابن عبد الوارث

التميمي المعروف بالسيورى رحمه الله اء اخر  
طبقة من علماء افريقية وخاتمة ايمة القرويين

(قال) : اخذ الفقه على ابي بكر بن عبد الرحمان ، (قلت) : هذا قصور بل اخذ ايضا على ابي عمران الفاسي وطبقتهما ، (قال) : وكانت له عناية بالحديث والقراءات واخذها على ابي عبد الله ابن سفيان المقرئ وقرأ النحو والكلام واصول

الدين واصول الفقه لكن كان الغالب عليه الفقه ، وانتفع به خلق كثير لانه كان افرد نفسه للدرس فانتفع به الناس ، (قلت) : منهم عبد الحميد المهدي (176) وابو الحسن اللخمي واخذ عنه قديما عبد الحق (177) وابن سعدون وغيرهما وبعدهم حسان البربري وابو القاسم الماهري ، (قال) : وكان من الحفاظ المعدودين والفقهاء المبرزين وكان يحفظ المدونة من صدره ، (قلت) : هذا أيضا فيه بتر ، لانه كما كان يحفظ المدونة كان يحفظ دواوين المذهب الحفظ الجيد وغيرها من امهات كتب الخلاف حتى انه كان يقول لمن ينقل شيئا غريبا أين وقع هذا ليس هو في كتاب كذا ولا في كتاب كذا يعدد اكثر الدواوين المستعملة من كتب المذهب والمخالفين والجامعين فكان في ذلك آية ، وعرفني من نثق به عن نقل شيخنا ابي محمد الشيبيني - أن الواردين لقراءة العلم بالقيروان - من محبتهم في المدونة - أكثروا في ثمنها فاشتروا ما بالقيروان منها حتى عدت منها ، فاتوا الى الشيخ ابي القاسم السيوري وعرفوه ، فاملاها عليهم من رأسه ، ثم وجدت نسخة بالقيروان ان فقابلوا ما أملى عليهم الشيخ بها فوجدتا سواء .

(قال) : وكان مع ذلك عاقلا معلوما بالدين والورع والفضل ، وبلغ من ورعه انه لما اختلطت اموال الناس بالفتنة امتنع من اكل اللحوم ، فكان لا يأكل منها إلا ما تحقق طيب كسبه ، وكان لا يلبس الفرو ولا النعال ولا الخفاف إلا من جلود الوحش ، ولا يكتب جواب مسألة ولا غير ذلك الا في رق قديم او ما كان من جلود الوحش ، وكان مع ذلك شديد الورع في كل ما يحاوله .

(قلت) : قال عياض : وله تعليق على نكت من المدونة اخذه عنه صحابه ، يريد والله اعلم انه لم يؤلفه وانما اصحابه قيدوا عنه ذلك مما

(176) هو المعروف بابن الصانغ .

(177) الصقلي .

يسمعونه منه في درسه ، لقول المازري في تعليقه على المدونة : لم يؤلف السيوري الا كراسة وليس له تأليف ، وسببها انه بلغ من ورعه ما تقدم (178) ، وقد بنى دار الدبغ الجلود يكريها ، فقام عليه من عاصره من المفتين حينئذ فانكروا عليه ، فأخذ يستقريء من المذهب قولاً لمالك بان اولاد الماشية المغصوية غلة تطيب للغاصب - كمذهب الشافعي - فالذي يشتري جلود الخرفان ليدبغها فقد قلد مالكا في انها غلة تطيب للغاصب فهو مباح لهم ، قال : فانا انما اخذت منهم - في اجارة داري - ما كان مباحا لهم بتقليدهم لمالك في ذلك ، وانما يحرم علي ما حرم عليهم ، (قلت) : حاصل جوابه انه يكتسب بالشرع يأكل ويلبس بالورع وهو مذهب سحنون سعيد ، فقد كان يملك من الزيتون بالساحل اثني عشر ألف زيتونة ويعمد الى شجرة منها فيخدمها ويقوم بها ويقول : انا فيها مساقى ! فيأخذ نصف ما يخرج منها ياتدم به وينتفع به والنصف الآخر مع بقية الزيتون يخرج للفقراء والمساكين ، وقال احمد بن نصر الداودي : العكس أولى وهو الاكل بالشرع والتكسب بالورع لان الاكل ضروري لابد منه والكسب اختياري .

قال عياض : ويقال انه مال اخيرا الى مذهب الشافعي ، (قلت) : ليس هو بتقليد ولا خلاف في اكثر المسائل ، وانما يخالف في قليل كقوله : القمح والشعير جنسان ، ومازلت نسمع انه رمى لقطعة لقمة من شعير واخرى من قمح فشمت اللقمة الاولى وانصرفت عنها ، ثم شمت الاخرى فأكلتها ولم تعد الى الاخرى فقال هذا الحيوان البهيمي فرق بينهما ، وكذلك خالف المذهب في التدمية وقال لا يعول عليها ، وكذلك قال بخيار المجلس كما قال المخالف ، وهو قول ابن حبيب من اصحابنا للدلائل الدالة على رجحان مذهب من خالف مالكا فيها ، قال ابن المواز (179) في كتاب الخيار من تعليقه وحلف السيوري بالمشي الى مكة

(178) من تورعه في الكتب بجلود الحيوانات المغصوبة .

(179) ق : المازري .

لا يفتي بقول مالك في هذه الثلاث مسائل (180) .

قال : وبقي ابو القاسم بعد خراب القيروان مدة وكانت وفاته سنة اثنتين وستين واربعمائة ، (قلت) : وقال غيره توفي سنة ستين ، (قال) : ودفن بداره وقبره مشهور يزار ويتبرك به ، (قلت) : وداره المشار اليها ما زلت نسمع سماعا مستفيضا أنه لما اخذ الناس في بناء القيروان اختصارا عما كانت عليه اراد الشيخ ان يدخلوا داره في البلد فاختلفوا فغلب من اراد خروجها فدعا عليهم بان لا تتفق لهم كلمة فيقال ان دعوته اجيبت فيهم الى الآن لا يتفقون ، فليست ببلد مشيخة وانما يذب عن الناس المفتي الذي يكون بها وجرت العادة أن يقبل كلامه عند السلطنة في الاعم الاغلب فاذا كتب في قايد انه ظلم الناس يعزل - وان كان بقرب ولايته - وان كان من اعز الناس عنده .

## ٣٠٢ ● ومنهم أبو الطيب عبد المنعم بن محمد الكندي (\*) رحمه الله تعالى

(قال) : كان فقيها عالما بفنون من العلم منها الفقه والحديث والنحو واللغة والغريب وعلم الكلام والحساب والهندسة ، قرأ القرآن على ابي عبد الله ابن سفيان والفقه على ابي بكر ابن عبد الرحمان وكان مع هذا زاهدا ورعا متهجدا بالليل كثير الحياء ما يكاد يرفع رأسه من الحياء ، وكان عالما باختلاف الناس وله تواليف عدة في فنون من العلم الا انه مات ولم يهذب تواليفه ، توفي سنة خمس وثلاثين واربعمائة ورثاه الفقيه ابو محمد عبد الله بن يحيى الشقراطي فقال :  
باي سلاح والحمام محارب أطاعن في نحر الردي واضارب

(180) هي اختلاف الجنس في القمح والشعير والتدمية وخيار المجلس .

(\*) ق : الباغاثي .



سلوني عن الارزاء اني شقيقهما  
 احاطت بي الارزاء من كل جانب  
 وقلت بعبد المنعم بن محمد  
 فمن للموطا والبخاري بعده  
 ومن لاصول الفقه ينظم سلكها  
 وعندي من انبائهن غرائب  
 كأني في القربى اخوها المناسب  
 تنال جسيمات وتقضى مبارب  
 اذا بهرت منها الرجال للغرائب  
 اذا اشتبهت اعجازها والغوارب

### ● ٣٠٣ ومنهم أبو القاسم بن محرز

(قال) : كان معلوماً بالفقه والفهم والعناية بالحديث ورجاله ، رحل الى الشرق ولقي المشايخ الجللة واخذ عنهم الحديث ، وكان مليح المناظرة حتى قال ابن علاق المصري ما رأيت من اهل المغرب من يحسن طريق المناظرة مثل ابي القاسم بن محرز وكان ابو الطاهر البسكري يفضله على جميع من بالقيروان في طريق المناظرة والكلام على مسائل الخلاف ، وله تواليف عدة كلها نبيلة منها التبصرة وغيرها .

### ● ٣٠٤ ومنهم عبد الواحد بن تميم التجيبي الكفييف رحمه الله تعالى

(قال) : كانت له عناية كبيرة بالفقه . وكان حافظاً ذا فهم ، وكان ابو القاسم السيوري يقول : ما في اصحابنا أكثر من عبد الواحد عناية بالعلم ، وكان كثير الدرس يدرس مع رجل فاذا أعيسى ذلك الرجل قام الى آخر ، وقال ابو حفص عمر بن محمد العطار : اذا وافقني ابو اسحاق التونسي وعبد الواحد الكفييف في مسألة ما أبالي من خالفني فيها . هذا في حياة الشيخ ابي عمران الفاسي وابي بكر بن عبد الرحمان ، وكان ابو اسحاق التونسي يقول : هو احفظ الناس بالمدونة ، وابع له الشيخ ابو بكر بن عبد الرحمان الفتيا ، والشيخ ابو بكر شيخ عبد الواحد رحمهما الله تعالى .

### ● ٣٠٥ ومنهم أبو حفص عمر بن عبد العزيز ابن طيبون رحمه الله ورضى عنه

(قال) : كان من اهل الفقه والحفظ والعلم بالمحل الرفيع ، وكان ذا ورع حاجز ودين متين وفضل وذكاء ، وعرض عليه القضاء فامتنع منه ، وكان شيخه ابو بكر بن عبد الرحمان يقول فيه : ابو حفص يرجى ان يكون اماما في العلم ، توفي رحمه الله سنة احدى وثلاثين واربعمائة ودفن بباب سلم .

### ● ٣٠٦ ومنهم أبو علي حسن ابن حسن (\*) بن حمدون الجلولي المقرئ

(قال) : كان من العلماء المعدودين عالما بوجوه القراءات عن ابي عبد الله ابن سفيان ، وكان اماما فيها وانتفع به خلق كثير ،

### ● ٣٠٧ ومنهم أبو عبد العزيز ابن محمد البكري المقرئ المعروف بابن أخي عبد الحميد

(قال) : كان من كبار اصحاب ابي عبد الله ابن سفيان وافاضلهم ، وهو أحد الفقهاء المعدودين مع دين وفهم وحسن خلق وفضل ، لم يكن في وقته اعلم بالقراءة منه ، اخذ ذلك عنه عالم كثير من الناس وانتفعوا به رحمه الله .

### ● ٣٠٨ ومنهم أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن رشيق الحافظ المؤرخ

(قال) : كان عالما بالتاريخ والفقه ، (قلت) : زاد العواني : حافظا للحديث وعلمه عارفا باسماء رجاله ونقلته ، وله مشاركة في سائر العلوم وتقدم في معرفة

(\*) حسن الثاني مزيد عما بنسخة ق .

الآثار والسير والاحبار وعناية كاملة بتقييد السنن والاحاديث المشهورة حافظا للقرآن حسن الصوت به مجوّد التلاوة حسن الخط مدلا بقلمه وعلمه ، نال السؤدد بأدبه وفطنته ، ممن يقول الشعر الحسن ، موصوفا بالمعرفة واليقظة ، (قال) : وله توالييف في اخبار العلماء والصلحاء ومناقبهم وكراماتهم شرقا وغربا ، وتوالييف في الفقه منها كتابه الذي سماه المستوعب لزيادات مسائل المبسوط مما ليس في المدونة ، وله سماعات في كتب الفقه ، وهو كثير المشايخ يروي عن ابي القاسم عبد الخالق بن شبلون وابي عمر بن معدي (181) المالكي وابي عبد الله محمد بن ابي صفرة الاندلسي وابي محمد الحسن بن عبد الله الاجدابي وابي عبد الله محمد بن ادريس الناظور وابي القاسم عبد الرحمان التجيبي التونسي وحج في سنة ست (182) وسبعين وثلاثمائة واخذ عن جماعة من علماء المشرق منهم ابو ذر الهروي وغيره .

### ● ٣٠٩ • ومنهم أبو بكر أحمد ابن أبي محمد عبد الله ابن أبي زيد

قال : له مشايخ جلة وروايات كثيرة وروى كتاب التهذيب عن مؤلفه ابي القاسم البراذعي ، (قلت) : وكان البراذعي يرفع بالقاضي ابي بكر هذا ويوالي الثناء عليه ، قال : اخذ عنه الناس ، وكان فقيها فاضلا ولاء المعز بن باديس قضاء القيروان ، وكان عدلا في احكامه كثير السياسة محبا الى الناس ، قلت : وكانت توليته القضاء بعد ابن هاشم في سنة خمس وثلاثين واربعمائة وكان لما توفي القاضي ابن هاشم خلف ولدا خلفا وكان له اشياخ احبوا ولايته . رائة لخطه ابيه فأشاروا

(181) ق : بن بدر .

(182) ق : تسع .

على السلطان بذلك ومال السلطان الى قولهم ، وكان خواص من الناس ممن عرف حقيقة هذا الولد قد عظم الامر عليه وتصور سوء المآل فيه ، وكان محمد بن شرف اشد الناس انكارا لولايته لتخلف الرأي وسوء الغلط فيه ، قال فاستخرت الله تعالى وافردت النية لابتغاء وجهه فجعلت شعرا امدح السلطان واغالطه فيما شاء من توليته فلما كانت ليلة اجتماع الناس لحضور توليته استأذنت على السلطان في انشاد ذلك فانشدته على خلوة منه :

لله من يوم أغرّ سعيد متميز من عصره معدود

قال محمد ابن شرف فانشدته حتى بلغت الى قولي :

كان القضاء إرثه فردته شورى ، ففاز بحقه المردود  
يا فضلها من سيرة عمرية هي للعباد رضى وللمعبود

قال : فلما بلغت في الانشاد الى هذا الموضع أكب السلطان على يده وقد قبضها كالمطرق والمفاجأ بأمر يحتاج الى الفكرة فيه وتماديت في الانشاد والسلطان لم يزل على حاله فيما احسب حتى اتممت الشعر ، فخرجت للامر وندمت على التغيرير وبقيت بعد تمام الانشاد اتشاغل بطي الدرج الذي الشعر فيه ، ثم رفع رأسه وقال لي : اصرف الشعر واعد به غدا ثم قم فانشده في آخر المجلس واياك ان يعلم أحد بما اوجبت لك به ، فانصرفت والناس يتواعدون الى البكور الى السلطان لحضورهم تولية ابن هاشم في ظنهم ، فلما كان في غد ذلك المساء حضر الناس وتهيأ ابن هاشم في خلعة القضاء وتأهب للولاية ، فلما استوى المجلس دعا السلطان بابن زيد هذا فقدمه للقضاء بغتة ما علم احد بالامر حتى كان ، ثم قمت فانشدت الشعر ، قال : فقوم يتعجبون من لغته ونسخ النية ، وقوم يتعجبون من تضمين الشعر للمعنى في وقته لا يدرون ما السبب ، فكان يوما معجبا سر الناس به بتولية ابن ابى زيد وابتهلوا فيه بالدعاء للسلطان حتى علت اصواتهم بذلك ، ولما ولي القضاء

على رغم كثير ممن ذكرنا ممن احب ولاية ولد القاضي ابن هاشم من اشياخه واتباعه أداهم ذلك - عند ولاية قضائه - الى التصويب عليه بجبايل نصبوها واكاذيب كذبوها ، وانتهى ذلك الى السلطان فامر بالنداء بصبرة والقيروان بالاجتماع بالجامع واكد في ان لا يتخلف احد ، فاجتمع خلق عظيم ، وحضر القاضي ابن ابي زيد هذا وسائر الفقهاء ورجال السلطان وخاصته وجنده ، وكان من الكلام ما يطول شرحه ، وجملته ان سائر الفقهاء اجمعوا على انه عادل في احكامه كامل في احواله ليس له جرحة يعزل بها الا من شذ من اتباع من ذكرنا ، وجرى بين العوام وسائر الفقهاء بعيدا من مجلس السلطان وعيانه (183) امر لولا هية المكان وحضور القواد لتفاقم الامر وآل الى سفك الدماء او ما يقرب منه ، ثم انجلت تلك الغيابة الناشئة في افق الغيبي الحاملة لما شاءه الجهل من صواعق الطغيان والبغي ، واعقبها تاخره عن قضائهم وقال له السلطان قد رأينا ان عزلك اروح لك في دينك ودنياك ، فاخرناك لا لجرحة ، وكان تأخيره عن القضاء في آخر شهر رمضان من سنة ستة وثلاثين واربعمائة ، (قال) : وكان كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات اذا تذكر من فقده من اشياخه :

واجزعى لفراق قوم	هم المصابيح والحصون
والاسد والمزن والرواسي	والامن والحفظ والسكون
لم تنكرون (184) لنا الليالي	حتى توفتهم المنون
فكل نار لنا قلوب	وكل ماء لنا عيون

قلت : قال العواني وتوفى رحمه الله فيما أقدّر بعد الستين واربعمائة ودفن داخل القيروان بدار الدفن المعروفة بهم حيث دفن والده رحمة الله عليهما .

(183) أى معاينته ومشاهدته .

(184) صوابها : لم تنتكروا .

## ● ٣١٠ • ومنهم أبو حفص عمر ابن الشيخ أبي محمد ابن أبي زيد رحمه الله تعالى

(قال) : كان فقيها صالحا فاضلا ، سمع على ابي عبد الله محمد بن العباس الانصاري وجماعة ، وهو اخو القاضي ابي بكر المتقدم الذكر ، (قلت) : توفي سنة ستين واربعمائة وكان له ولد اسمه عبد الرحمان ويكنى بابي القاسم ، وكان رجلا صالحا فقيها حسن الطريقة والسمت والهدى له اعتناء بالعلم ، وكان الغالب عليه حفظ الحديث وله مجلس حفييل يقرأ عليه فيه الحديث والفقہ وكان كثير الكتب كلها بخطه حافظا لمذهب مالك واصحابه ، قال العواني : وتفقه على ابيه القاضي عمر وتوفي بعده بنحو خمسة عشر عاما ، (قلت) : لا أحفظ كون ابيه كان قاضيا وانما كان قاضيا اخوه احمد كما تقدم رحمة الله عليهم .

## ● ٣١١ • ومنهم أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي (\*) الفقيه المؤرخ

(قال) : هو صاحب رياض النفوس المشهور بكتاب المالكي في طبقات علماء افريقية وزهادها ، كان ابو بكر فقيها فاضلا ثقة صحب ابا بكر بن عبد الرحمان وهو الذي كان يقرأ عليه الميعاد وانتفع به ، (قلت) : يريد انه الذي يقرأ بلفظه والناس يسمعون والله أعلم ، (قال) : وكان هو ممن بقي مع ابي عبد الله محمد بن العباس الخواص وابي عبد الله الحسين بن عبد الله الاجداني وجماعة من العلماء بقي بعد خراب القيروان مدة ، وكان خرابها في اول رمضان سنة تسع واربعين واربعمائة ، (قلت) : وسبب خراب القيروان اجابة دعاء الشيخ الواعظ

(\*) توفي بعد سنة 453 انظر الاعلام للزرکشی ، ج 4 ، ص 266 .

عبد الصمد فانهمز سلطان القيروان - مع كثرة عساكره وقلة من جاءه - وذلك انه كان لعبد الصمد هذا ولد اسمه محمد ويسكنى بابى الحسن ورد على القيروان وكان رجلا صالحا فاضلا واعظا زاهدا صوفيا عالما عاملا ، وكان له مجلس بالجامع الاعظم بالقيروان يُجتمع اليه فيه ويُسمع كلامه ، وله لسان فصيح وقلب قريح كثير الحزن والبكاء والخوف ، من اولياء الله عز وجل المنقطعين اليه الخائفين الخاشعين المتبتلين القائلين الصائمين ، قد ركب طريقة من الزهد والورع والخشية وصدق المقال في الوعظ لم يسلكها في وقته غيره فطبق ذكره الآفاق وكثر ازدحام الناس اليه في مجلسه لاستماع وعظه ، ومالت اليه القلوب والاسماع وكثرت له الاتباع ، حتى حذره السلطان وخاف على نفسه منه ، فاستعار السلطان منه بعض كتبه وأظهر انه احب مطالعة شيء منها فأرسل اليه بما احب منها ، فأقامت عنده اياما ثم امر بردها ، فتصفح الواعظ اوراقا منها فوجد بينها بطاقة بخط السلطان كأنه نسيها بين اوراق كتابه ، فاذا فيها زعمت ملوك الفرس وحكماء السير والسياسة ان اهل التمسس والوعظ وتأليف العامة واقامة المجالس اضر الاصناف على الملوك واقبحهم اثرا في الدول فيجب ان يتدارك امرهم ويبادر الى حسم الاذى منهم ، فلما قرأ الواعظ ابو الحسن محمد بن عبد الصمد البطاقة علم انه امر استعمل له وقصد به ونبه على الرأي فيه . فاستعمل الحج ، فخرج وخرج معه عامة وخاصة من اهل القيروان ، وامر له السلطان بزاد فخرج متوجها الى الحج في يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شهر الله رجب الفرد الحرام سنة احدى واربعين واربعمائة ومعه رجال وكلوا به ان يصلوا معه الى مدينة قابس ، ونهى ان يشيعة احد او يخاطبه الخطاب ، وكانت الرفقة الخارجة الى مصر قد قرب خروجها فأمر ان ينتظرها بمدينة قابس الى ان يصحبها ، وكوتب عامل قابس بان لا يدخل اليه احد هناك ولا يجتمع عنده اثنان ولا يخرج من المسكان الذي ينزله فيه الا يوم سفره ، فخرج وهو غير آمن على نفسه ، واظهر السلطان ما كان يخفيه من امره وصار من ذكره بخير او قال فيه جميلا مسخوطا مذموما حتى صار كل من كان يفرط في مدحه

ومودته يظهر الافراط في ذمه وعداوته خوفا على نفسه من السلطان ، قال محمد ابن شرف ثم اتصل ان الواعظ لما فصل عن مدينة قابس قتل رجل من الاعراب في طريقه ذلك ، قال جعفر بن محمد بن شرف لما قتل الواعظ كثر التظني (185) من الناس على السلطان انه دس عليه من قتله ، واختلفوا في الامر فقوم ينسبون الدس عليه من السلطان ، وقوم ينفونه .

قال جعفر بن محمد بن شرف : وبلغني انه دخل داخل على ابيه ابي الفضل عبد الصمد - وكان واعظا - فوجده في آخر مجلسه من الوعظ بجامع ابن العاص بمصر ، فنعى له ابنه ابا الحسن محمد الواعظ الشهيد واخبره بسبب قتله ، (قال) : فنعّل قدمه في الحين وهو يلبي بالحجّ من مكانه ذلك - ولم ينصرف الى منزله - وتبعه خلق عظيم ، فحج ذلك العام ، وكان يطوف بالبيت ويتعلق بستار الكعبة ويصيح ويقول : يا رب المعز عليك به ! يا رب عليك بابن باديس : فكانت الهزيمة الواقعة بالقيروان في اليوم الثاني من حجه ودعائه وذلك كان اصل خراب القيروان ! فلم يشك احد في اجابة دعائه ، فنعوذ بالله من تغيير قلوب اوليائه واصفيائه ، وهذا اصح من نقل عياض عن محمد بن عبد الصمد انه كان من علماء وقته بالقيروان وغلب عليه الزهد واخذ في وعظ الناس (186) ، الى ان قال : فَنَفَّهَمَ ابن عبد الصمد انه قصده بذلك فاستعمل الخروج الى الحج وخرج معه جماعة من علماء المسلمين ، ثم عاد فاخذته الفتنة بالقيروان ، وهذا تظهر فيه المخالفة من انه لم يمت ورجع الى القيروان ، رحمة الله عليه .

(I85) تظني كنتضى من الظن وكثيرا ما يستعمل في ظن السوء وهو هنا بمعنى الاتهام .

(I86) هنا طى لحكاية الاوراق المدسوسة في الكتاب كما مر بالسياق الاول وقد اختصرها النقل لسبقها .



## ٣١٢ ● ومنهم محمد ابن أبي سعيد ابن شرف الاجذابي الاديب الفاضل

احد من نظم فلايد الآداب ، وجمع اشتات الصواب ، وتلاعب بالمنتور والموزون ، تلاعب الريح باطراف (187) الغصون ، خرج من القيروان عند اشتداد فتنه العرب عليها ، وذلك في سنة سبع واربعين واربعمائة ، وقدم الاندلس وسكن المرية وغيرها ، وتردد على ملوك الطوائف بها بعد مقارعة احوال ، ومباشرة خطوب طوال ، ولابن شرف هذا عدة تواليف افاضها بحارا ، واطلها شموسا واقمارا ، منها كتابه المرسوم باعلام الكلام ، وكتاب أبكار الافكار ، وغير ذلك من تواليفه التي تشهد بذكائه ، وكان من اعقل الناس واحزمهم ، استنهضه ابن رشيق (188) — مع منافرة كانت بينهما — في ان يجتمعا بالطريق ويجوزا معا الى الاندلس فانشده ابن رشيق .

مما يبغضني في ارض اندلس      سماع مقتدر فيها ومعتصد  
القاب مملكة في غير موضعها      كالهرا يحكي انتفاخا صولة الاسد  
فأجابه ابن شرف رحمه الله :

ان ترمك الغربية في معشر      قد جبل الطبع على بغضهم  
فدارهم ما دمت في دارهم      وارضهم ما دمت في ارضهم  
وله ايضا رحمه الله وبرد ضريحه قصيدة يذكر فيهما القيروان ويندبها .  
يا قيروان وددت اني طائر      فارك روية باحث متامل

(I87) ق : باعطاف .

(I88) المعروف ان الداعي للسفر هو ابن شرف وقد سافر فعلا الى الاندلس وأما ابن رشيق فلم يسافر ومات بصقلية وقد انتقد الشيخ عبد العزيز الميمنى الاصل والجواب في كتابيه : ابن رشيق والنتف .

يا لوشهدتك اذ رايتك في الكرى  
 واذا نجدد لي اخ ومنادم  
 لا كثرة الاحسان تنسي حسرتي  
 (لو كنت اعلم ان آخر عهدهم  
 كيف ارتجاع صباي بعد تكهل  
 جددت ذكر اخ خليل اول  
 هيهات تذهب علة بتعلل  
 يوم الرحيل فعلت ما لم افعل) (189)

وله أيضا في قصيدة يذكر فيها القيروان .

ترى سيآت القيروان تعاضمت  
 تراها اصبيت بالكبائر وحدها  
 فكشفت الاستار عنهم وربما  
 فجلت عن الغفران - والله غافر -  
 الم تك قدما في البلاد الكبائر  
 اقيمت ستور دونهم وستائر

وله أيضا رحمه الله قصيدة اخرى .

كسيت قناع الشيب قبل اوانه  
 ويا رب وجه فيه للعين نزهة  
 وأهجره وهو اقتراحي من الورى  
 وجسمي عليه للشباب وشاح  
 امانع عيني منه وهو مباح  
 وقد تهجر الامواه وهي قراح

وله في هذا كلام طويل ، وفيما ذكرناه دلالة عليه ، ولابي عبد الله محمد ابن شرف هذا رواية عن الشيخ ابي الحسن القاسبي وابي عمران الفاسي ، وذكره الشيخ ابو الوليد الباجي واثني عليه ووصفه بالعلم والذكاء وان علم الادب من بعض علومه ، رحمة الله عليه ورضوانه لديه .

### ٣١٣ ● ومنهم أبو الفضل محمد ابن عبد الواحد البغدادي الدرامي رحمه الله تعالى

(قال) : كان من أهل الفضل والادب والشعر ، وفد على القيروان سنة تسع وثلاثين واربعمائة فتقدم بفضل أدايه عند الكبراء ، وعرف قدره من الفقهاء ، حكى

ذلك ابن رشيق وقال : انه اول من ادخل كتاب الثعلبي عندهم ، وشهد حصار القيروان معهم وفي ذلك يقول حين شاهد حروبها وخرابها .

حالت عليّ القيروان فحالها  
فخرابها في كل يوم زائد  
ان كان ارحصني الزمان فانه  
او كان غير من طباعي موضعي  
كيف الرجوع وطرف حالي غامز (190)  
عما عهدت العيش فهو منغص  
وجنابة المعمور فيها ننقص  
اودى الي بضائعا لا ترخص  
فالخمر ان تركت وعاما تقرص  
وجناح آمالي الكسير مقصص  
وله أيضا في ذلك :

ومعنف لي في المقام ضرورة  
القى الهوان بها ، وكم من عزة  
ما الدر ينتص فضله في بحره  
كلا وليس المسك يطل عرفه  
ما عيب ضوء الشمس عند بزوغها  
والليث لا تنسى استتالة باسه  
او ما ترى الدنيا بفقد ملكيها  
بالقيروان وما بها سلطان  
قد ساقها نحو الرجال هوان  
أن ليس تعرف قدره الحيتان  
ان ضيغته بجهلها الغزلان  
اذ ليس يدرك قدرها العميان  
ان ضمه في خيسه خفان (191)  
طرفا (192) ولكن ما له انسان

ثم ان ابا الفضل محمدا هذا لما افضى امر القيروان الى ما افضى اليه من الخراب وتغير الاحوال انتقل عنها الى سوسة ، واقام بها عشر سنين ، ثم انتبذ من تلك الناحية وركب البحر فنزل بدانية فبعث اليه اميرها مجاهد بلحم وارباع دقيق اول نزوله ، فصرفها في وجه رسوله ، وعجل الارتحال عنه الى بلنسية ، فلقى برا وعرف

(190) الطرف بالكسر : الكريم من الحيل وغمزت الدابة مالت من رجلها اه قاموس .

(191) الحيس ماوى الأسد ، وخفان ، أرض ماسدة .

(192) طرفا بالفتح : عيننا فقدت انسانها وهو البؤبؤ الذي فيه حاسة البصر .

قدره بها ، وأكرم مثواه المأمون ابن ذي النون بطليطلة واجزل قرأه وتوسع له ولعبيده وخدمته في البرّ واجرى له ستين مثقالا في الشهر الواحد - سنة اربع وخمسين - وتوفى بها منتصف شوال سنة خمس وخمسين وأربعمائة ووصل المأمون له باستمرار جرايته على حاشيته وتلامذته وتجافى عن ميراثه وجعله وصية له اذ لم يوص - لفجأة وفاته - رحمه الله ورثي بمراث كثيرة منها مرثية الحكيم ابو محمد بن خليفة المصري .

سقى الله قبرا حل فيه ابو الفضل	سحابا يسح المزن وبلا على وبيل
وكيف يسقى المزن قبرا يحله	وفي طيه بحر المكارم والفضل
وبدر تمام من تميم فخاره	ملوك لهم قام الملوك على رجل
وما الدهر الا آكل من نفوسنا	ونحن لديه في الحقيقة كالأكل

### ● ٣١٤ • ومنهم أبو عبد الله محمد ابن جعفر الكوفى رحمه الله تعالى

(قال) : كان اوحد أهل زمانه فقها وعلما وأدبا من بيت علم وصلاح وأدب ، فقيه القيروان في وقته وقاضي مدينة صبرة وخطيبها وامام الجامع الاعظم بها وكان فصيحاً لسنا سنيا مباينا لاهل البدع شديدا عليهم ولما أمر المعز بن باديس بلعنة عبيد الله في الخطب وذلك في يوم عيد الفطر من سنة أربعين وأربعمائة خطب القاضي محمد بن جعفر هذا فقال - بعد ذكر ما جرت العادة به في خطبة الفطر - اللهم والعن الفسقة الكفار المرائين الفجار اعداء الدين وانصار الشياطين المخالفين لامرك والناقضين لعهدك المتبعين غير سبيلك والمبدلين لكتابك ، اللهم العنهم لعنا وببلا ، واخزهم خزيا عريضا طويلا ، اللهم وان مولانا وسيدنا ابا تمام المعز بن باديس ابن المنصور القائم بدينك والناصر لسنة نبيك والرافع للواء اولئك يقول مصدقا لكتابك

وتابعا لامرك ، مباينا لمن غير الدين وسلك غير سبيل المرشدين المؤمنين : « يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد » ، (هكذا باسقاط قل من اول السورة وترك لكم دينكم ولي دين لتعلق الامر بالمراد) وامر السلطان خطيب جامع القيروان ان يفعل مثل ذلك على المنبر في الجمع في كل خطبة ، وهذا دليل على فصاحته ومباينته لاهل البدع ومحبه لاهل السنة ، وجرت عليه محنة اعقبها التأخر عن قضائهم ، والزهد في جوارهم ، وذلك بسبب أبيات صنعها ابن رشيق .

يا سالكا بين الاسنة والضبا اني أشم عليك رائحة الدم  
يا ليت شعري من رقاك بعوده حتى رقيت الى مكان الارقم

منها هذان البيتان صنعهما معرضا بالقاضي محمد بن جعفر ، فتمت الى السلطان فكانت سبب محنته ، فلما صودر بالمكروه فرّ من مدينة القيروان فما سمع له خبر الا من مصر ، وقرىء سجل القاضي علي (193) ابن احمد البوني بجامع القيروان بولايته جميع ما كان يتولاه محمد بن جعفر من قضاء مدينة صبرة ، وزال القضاء عن بني الكوفي ، وكانت لهم في ولايته نيف وسبعون سنة ، والذي تولى القضاء منهم اربعة : اولهم محمد بن اسحاق التميمي ، ثم ولده عبد الله بن محمد ، ثم ولده جعفر ابن عبد الله بن محمد ، ثم ولده محمد بن جعفر هذا المعزول ، وكانوا من أهل الرواية والدراية والديانة وحسن السيرة في القضاء رحمهم الله ، ولم يزل محمد بن جعفر هذا بمصر بعد انصرافه من القيروان متعزفاً مزيد الحظوة وسمو الرتبة ، وولي القضاء بها ولقب قاضي القضاة ، ثم تخلى عن القضاء وارتحل عن مصر فلم يستقر له قرار الا بأقصى الشام ، فيقال انه توفي هناك بعد السبعين واربعمئة رحمة الله عليه .

## ٣١٥ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن سعدون بن علي ابن بلال مولده بالقيروان وهي بلد اسلافه

(قال) : سمع من ابي بكر بن عبد الرحمان وابي عبد الله بن محمد بن الناظور وابي القاسم عبد الرحمان بن محمد اللبيدي وغيرهم، (قلت) : منهم ابو عبد الله الحسين ابن عبد الله الاجذابي وابو القاسم السيوري وابو عبد الله محمد المالكي ، (قال) : ثم رحل الى المشرق فسمع بمصر من ابي الحسين بن المنير وبمكة من ابي الحسين ابن صخر وابي بكر بن علي المطوعي وابي ذر عبد الله احمد الهروي ، وكان من اهل العلم بالفروع والاصول وكتب الحديث بمكة ومصر والقيروان ، حدث عنه ابو يحيى سفيان بن العاصي وأبو علي الصدفي وأبو الحسن بن مغيث وغيرهم وله تواليف منها كتاب تأسي أهل الايمان بما طرأ على مدينة القيروان وجزء فيه مناقب شيخه ابي بكر بن عبد الرحمان وأصحابه ، (قلت) : وكتاب في الفقه على مذهب مالك بن أنس ، وكان خروجه من القيروان للتجارة فطاف بلاد المغرب والاندلس ، واخذ الناس عنه هناك كأهل قرطبة وبلنسية والمريّة وغير ذلك من البلاد وفتح الله لهم على يديه ، (قال) : وتوفي باغمات من المغرب الاقصى سنة خمس وثمانين وأربعمائة وتبعه العواني ، وقال عياض توفي سنة ست ومولده عام ثلاثة عشر رحمه الله تعالى .

## ٣١٦ ● ومنهم أبو محمد عبد الواحد ابن مفرج التلالسي

(قال) : كان رحمه الله فقيها صالحا ورعا ذا فهم وذكاء من جلسة طلبة ابي بكر بن عبد الرحمان مشهور بالصلاح ، ودفن بباب نافع المحدث مجاورا لقبر ابي القاسم السيوري من الشرقي رحمه الله تعالى .

## ٣١٧ ● ومنهم أبو الحسن علي ابن محمد الربيعي المعروف باللخمي رحمه الله تعالى

اصله من القيروان ونزل صفاقس ، تفقه بآبن محرز وآبي الفضل آبن بنت آبن خلدون آبي الطيب ، والتونسي ، والسيوري (194) ، وأخذ عنه آبو عبد الله المازري ، وآبو الفضل النحوي ، وعبد الحميد الصفاقي وغيرهم ، وكان فقيها فاضلا متفنا ذا حظ من الآدب والآديث جيد النظر حسن الفقه جيد الفهم ، وكان فقيه وقته وآبعد الناس صيتا في بلده ، وبقي بعد أصحابه فحاز رئاسة بلاد آفريقية جملة وطارت فتاويه وكان حسن الخلق مشهورا بالفضل ، وله تعليق على المدونة سماه (بالتبصرة) مفيد حسن ، وهو مقدم بتخريج الخلاف في المذهب واستقراء الآقوال – وربما اتبع نظره فخالف المذهب فيما ترجح عنده فخرجت آختياراته عن قواعد المذهب – ومسجده بصفاقس مشهور اذا دخله الداخل يرى فيه نورا زائدا عن غيره من المساجد ، وفي زماننا يدرس فيه الشيخ الفقيه آبو بكر القرقوري صاحب الزاوية الغربية منه ، فدرس فيه نحوا من أربعين سنة وزرت قبره مرارا فرأيت له بركات منها اني لما وليت قضاء قابس زرت قبره وعرفته بآني ما شي لها وانها موخمة جدا قل ان يسلم من يقيم فيها أياما يسيرة ، ورغبت الله عز وجل بما قرأ وقرىء عليه وآلححت بالدعاء وآلتضرع جدا ، وكذلك فعلت عند قبر الشيخ آبي الحسن علي العبيدلي بالقيروان ، فأجاب الله دعائي وآسلمني من مرضها وقد آقمت فيها سبعة اشهر ، ولما قرىء

(194) هؤلاء شيوخ المترجم وفي ذكرهم بالاصل شيء من التخليط ، فان آبا الفضل لا موقع له وانما هو آبو الطيب عبد المنعم بن ابراهيم الكندي المعروف بآبن بنت خلدون المترجم بصحيفة 107 انظر شجرة النور الزكية ويتعين للاصلاح اسقاط ( آبي الفضل ) والتونسي بعده هو آبو اسحاق ابراهيم بن حسن المترجم بصحيفة 108 شجرة النور ايضا .

قول المدونة في بيوعات الآجال بمنع (ضع وتعجل) (195) في درس بعض مشيخة التونسيين لم يذكر احد من اهل الدرس خلافا الا واحدا فقال هذا هو المشهور واجازه ابن القاسم فأنكر عليه فقال : اللخمي حكاه ؟ فلما انفصل المجلس نظر أهله كلام اللخمي في بيوعات الآجال فلم يجدوا فيه شيئا فلما كان من الغد قالوا له ما ذكرت عن اللخمي غير صحيح اذ لم يذكره هنا وهو محله ، فانفصل الطالب عنهم في غم شديد ، فلما قام من الليل رأى في منامه الشيخ ابا الحسن اللخمي ، فقال له : يا سيدي نقلت عنك وذكر القصة وكون الطلبة نظروا كتابه في بيوع الاجال ولم يجدوا فيه ذلك النقل ! فقال له : ذكرته في فصل الخلع فانتبه الطالب فرحا فقام في ليله ونظر الكتاب فوجده كما نقل ، فلما أصبح ذكر ذلك لاهل المجلس واشتهرت فضيلته وفضل الله برؤيته المذكورة . وتوفى رحمه الله تعالى سنة ثمان وسبعين واربعمائة وقبره مزار يعرفه الخاصة والعامة ، ولهم فيه اعتقاد تام - وحق لهم ذلك - .

## ٣١٨ ● ومنهم أبو محمد عبد الحميد ابن محمد المعروف بابن الصايغ قيرواني سكن سوسة

ادرك صغيرا ابا بكر بن عبد الرحمان ، و ابا عمران الفاسي ، وتفقه على أبي حفص العطار ، وابن محرز ، والتونسي ، والسيوري ، وغيرهم وبه تفقه ابو عبد الله المازري وغيره ، واصحابه يفضلونه على ابي الحسن اللخمي تفضيلا كثيرا ، وكان

---

(195) هذه مسألة من بيوع الآجال بالمدونة انظر ص 185 ج 3 طبع الحشاش بالقاهرة وقد اخذت عند الفقهاء عنوان : ( ضع وتعجل ) وهي ان يسلف ، بضاعة لاجل ثم يضع من السلف ويتعجل القبض وفيها مراعاة منعها مالك واجازها اللخمي المترجم والطالب الذي احتج بقول اللخمي لم يهتد الى مرجعه من كتابه حتى وقعت الرؤيا .



فقيها نبيلاً فهيماً فاضلاً اصولياً زاهداً جيد الفقه قوي العارضة عميقاً وله تعليق على المدونة اكمل فيه الكتابة التي بقيت على التونسي ، ولما أراد المعز صاحب المهديّة تولية ابي الفضل ابن شعلان قضاء المهديّة شرط ابن شعلان ان لا يتقلد ذلك إلا باستجلاب عبد الحميد الى المهديّة ليقوم بفتواها - اذ لا يرى استيفاء (196) احد من فقهاؤها لامور - فجلب له ولزم المهديّة ودارت عليه فتاويها ، فلما شقت سوسة على تميم قبض جماعة فيهم عبد الحميد ، فضربه وغرمه خمسمائة دينار فباع فيها عبد الحميد كتبه ، وكان سبب انقباض عبد الحميد عن الفتيا ، فلقبه بعد ذلك تميم واعتذر اليه فلم ينفعه ولزم الانقباض والتزم داره ولم يفت في شيء ، وجعل لا يجالس احداً وتحيل في الخروج الى سوسة لعة المداواة لحسن هوائها فبقي على حالته تلك ستة أعوام الى ان دخل الافرنج الى المهديّة واستباحوا اهلها ودخلوا جل قصورها فانكسر بعد ذلك تميم ودائرته وهان على الناس ، فظهر عبد الحميد ورجع الى حالته الاولى وافتي ودرس وانتفع به الى ان مات رحمه الله .

## ● ٣١٩ ● ومنهم أبو حفص عمر القمودي

قيرواني الاصل نزيل صفاقس ، وكان فقيهاً أديباً مفتياً من حفاظ المادونة والقائمين عليها ومن حفاظ الشعر ، اخذ عن ابي بكر بن عبد الرحمان ، وابي عمران الفاسي ، وصحب ابا القاسم السيوري ، (ذكر بعض أصحابه) ، قال لما ودعني الفقيه أبو حفص عمر القمودي انشدني :

هتجوا للبين برقا فلمع واثاروا دمع عيني فاندفع  
ودعوا قلبي فلما جاءهم أوقفوه بين يأس وطمع

### ● ٣٢٠ ومنهم أبو الحسن علي ابن عبد الغنى المقرئ الفهرى المعروف بالحصرى (\*)

(قال) : كان اماما في القراءات السبع قرأ على ابي بكر عتيق بن احمد القصرى عشر سنين ختم عليه فيها القراءات السبع تسعين ختمة وهو ابن عشر سنين الى عشرين سنة ، ثم قرأ على ابي علي بن حمدون الجلولي و ابي محمد عبد العزيز بن محمد ، وكان له معرفة بالادب والشعر ، ثم رحل الى الاندلس عندما خربت القيروان واقرا بها القرآن ثم انتقل الى طانجة فمات بها سنة ثمان وثمانين واربعمائة ودفن بها ، حدثني بقصيدة في القراءات ابو الحسن احمد بن محمد بن عبد الله الانصارى عن ابي القاسم خلف بن عبد الملك بن شكوال عن ابي القاسم بن صواب عنه رحمه الله .

### ● ٣٢١ ومنهم أبو الطيب عبد المنعم ابن عمر ابن أبي محمد ابن أبي زيد رحمه الله

(قال) : كان رحمه الله فقيها عالما صالحا امام جامع القيروان بقية اسلافه الصالحة مشهور بالفضل والصلاح توفى رحمه الله في آخر شهر رمضان سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

### ● ٣٢٢ ومنهم أبو عبد الله محمد ابن أبي الفرج المازرى المعروف بالذكى

صقلي الاصل وسكن قلعة بني حماد ثم رحل للمشرق ودخل العراق وسكن

(\*) بالاصل المصرى وهو خطأ محقق لان الترجمة وتاريخ الوفاة ومكانها كلها منطبقة على الشاعر الكبير المعروف بالحصرى صاحب قصيدة :  
(ياليل الصب) هو مترجم بالذخيرة والوفيات وسير اعلام النبلاء وغيرها وله ديوان ضخم طبع أخيرا بتونس وفى المخطوط ق : رسم الحصرى مع ضبط الحاء والصاد بضميتين فارتفع الشك بذلك .

اصبهان الى ان مات بها وعداده فيهم (197) ، وكان فقيها فاضلا مدركا نبيلاً فهيما متقدما في علم المذهب واللسان متفننا في علوم القرآن وغيره اخذ عن شيوخ بلده واخذ بالقيروان عن الشيخ ابي القاسم السيوري وغيره وكان السيوري يقول ان ابن ابي الفرج احفظ ما رأيت وكان القاضي ابو عبد الله بن داوود يقول شيخنا الذكي أفقه من ابي عمران الفاسي ومن كل مالكي رأيت حتى فضله على اسماعيل بن اسحاق القاضي ، وتفقه عليه بالمغرب ابو الفضل النحوي والقاضي ابو عبد الله ابن داوود وآلف في علوم القراءات كتابا كبيرا سماه الاستيلاء وله تعليق كبير في المذهب مستحسن خرج على الف سؤال .

(قلت) : وسمعت شيخنا أبا مهدي عيسى الغبريني رحمه الله يقول وقفت عليه ويعلم الواقف عليه انه ذكي عند اسمه رحمه الله ، ولما وصل الى المشرق ودخل بغداد وجد مذهب مالك قد درس وقل طالبه فلم يحصل له بالفقه رئاسة ، ورام (198) مع علماء المشرق بالنحو وعلم لسان العرب واستصحب القيم بالخلافة بها اذ ذاك الملك العادل ابو الفتح وأشخصه الى اصبهان ليدرّس فيها الادب فذهب علمه بالسنة هناك ضياعا ولم يأخذه عنه احد ، ويقال ان سبب هذا دعاء الشيخ ابي القاسم السيوري عليه فانه يحكى انه كثيرا ما يسيء الادب معه ويتبع سقطاته حتى جمع نحو ثلاثين مسألة من سقطاته ادعى عليه الخطأ فانكرها الشيخ وقال لاصحابه لا تسمعوا منه فانه كذاب فاسقط بها وتوفى باصبهان بعد الخمسمائة سنة بعد ان جرت له بها حروب في مظالمة الغزالي - وكان احد القائمين عليه هناك لكن حمي منهم فلم يصلوا اليه - والله اعلم بالسرائر ولا إله غيره .

(قال) : ثم انقضت هذه الطبقة بعد الخمسمائة سنة ولم يبق بالقيروان من له اعتناء بتاريخ لاستيلاء مفسدي الاعراب على افریقیة وتخریبها واجلاء اهلها عنها الى

(197) أي محسوب من اهل هذا المكان لا من رجال القيروان

(198) اي رام رئاسة مع هؤلاء فلم ينجح ولذلك استصحب الخ .

سائر بلاد المسلمين وذهاب الشرائع بعدم من ينصرها من الملوك الى ان من الله على الناس بظهور دولة الموحدين فوضحت بها معالم الدين وسبل الحق ورسوم الشرع فظاهر بظهورها بافريقية العلماء والصلحاء وذلك في سنة الاحماس سنة خمس وخمسين وخمسمائة (199) والله تعالى أعلم .

### ● ٣٢٣ ومنهم أبو زكرياء يحيى ابن محمد بن زياد بن عوانة القرشي الفقيه الزاهد

(قال) : كان رحمه الله اوحدا اهل زمانه زهدا وعبادة وورعا وتواضعا وسلامة صدر واخلاص في عبادة ، كثيره الاتباع للسنه وحفظ آداب الشريعة حتى كان يعد الفاظه والحافظه وحركاته من علمه فيجتهد في اصلاحها وتقينها هلى مقتضى الشرع ، حدثت عنه انه كان لا يجلس مجلسا الا وهو مستقبل القبلة ، ولا يترك اليتامان في عمل يعمله حتى في قتل الحبل وغيره ، فانه كان لا يفتله الا على اليمين ، حكى ان ابا يوسف يعقوب بن ثابت الدهماني قال له يوما : رأيت في المنام كأن قائلا يقول لي : الشيخ ابو زكرياء على السنة في كل شيء الا في شيء واحد ! فقال له الشيخ ابو زكرياء : هو كوني اذا سلمت من الصلاة لا أنحرف يمينا ولا شمالا لانني أكره ان اصرف وجهي عن القبلة ! فقال له أبو يوسف : هو الذي قيل لي (قلت) : يحمله على انه كان اماما بخلاف غيره .

(قال) : وكنت اذا نظرت اليه والى احواله كأنك تنظر الى زهاد التابعين لا يسكاد يفتر لسانه من ذكر او قراءة قرآن او تعليم علم او امر بمعروف او نهى عن منكر ولا يصنع شيئا من الاشياء الا وهو ذاكر لله تعالى ، طلب العلم واجتهد

(199) وهى السنة التى قضى فيها عبد المؤمن بن على على النورمان باحتلال المهديّة وتوحيد شمال افريقيا .

وسمع الحديث ورواه تدبر القيروان (200) الى ان مات بها ، وكان من شدة قواضعه يسلم على الصبيان والاماء ويبدأ كل من لقيه بالسلام ، وكان كثير الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يهاب احدا في حق يقوله ولا يترك شيئا مما يجب عليه فعله او يندب اليه من أجل احد ، وكان يأمر الصبيان باماطة الاذى عن الطريق وكان كثير الاشفاق في امور الآخرة غافلا عن امور الدنيا مخشوشنا في طعامه ولباسه لا يأكل الا الشعير ولا يلبس الا الخشن من الثياب ، واما ورعه فكثر كان يناقش نفسه في حبة شعير اذا سقطت في طعامه حتى يخرجها ، وكان يسير الى منزله في الشرف فيحمل منه المباحات على ظهره فيتقوت بها ، وكان كثير الصيام فربما أفطر على عشب ينبت في الجامع ، ولقد كان انهرش له حائط في داره فمنعه الورع ان يرفعه من الاجر المنقول من خراب القيروان ، وقال لعل بعض أهله أو كلهم في الحياة ، وكان مجاب الدعاء وله كرامات كثيرة ، منها ما اخبرنا به ابو عمران موسى بن عبد الله بن محمد ابن هارون القرشي قال اخبرني ابي عن جدي عن محمد بن هارون وكان مؤذنا بجامع عقبة قال فتحت الصومعة لأذان الصبح فوجدت بها شيئا يصلي فلما سمع حسي خفف في صلاته ثم صعد الى اعلا الصومعة فتبعته لاني كنت أغلقتها من الليل وليس بها احد فلما قربت منه مشي على الهواء فقلت له : بالله من تكون وكررت القسم عليه قال انا يحيى بن عوانة فاكتم عني ، فلما اذنت نزلت فوجدته قائما يصلي عند المحراب ، واخبرني غير واحد ان الابدال كانوا يأتونه فيخرج معهم الى خارج البلد فقيل ذلك لوالي القيروان ابي الربيع سليمان بن سعيد ، فأمر من يرصدهم اذا اجتمعوا به ، فأعلموه باجتماعهم ، فخرج اليهم فلما قرب منهم حجبوا عنه وعن المتوكلين بهم فجعلوا يطوفون بهم ويقولون هنا كانوا .

(200) لا معنى لتدبر البلد ولو على ابعد المجازات ويمكن تصويبه بالقرآن خصوصا وقد جاءت الكلمة بعد قوله : ( وسمع الحديث ورواه ) واذا قبل هذا التصويب فيسقط لفظ ( بها ) .

(وحكى) الشيخ ابو سعيد خلف بن ابي شيخ قال أوصاني ابي عند موته ان اتولى الصلاة عليه فقلت نعم فلما حضرت جنازته نظرت الى الناس فاذا فيهم الشيخ ابو زكرياء يحيى بن عوانة فقلت له يا سيدي تقدم فصل على ابي ، فقال : لا ! ادّ الامانة فتقدمت وصليت عليه ، واخبرني بعض شيوخ القيروان ، قال : تخلف لنا ثور من البقر لم يصحب البقر في المرعى فصليت صلاة الصبح وراء الفقيه ابي زكرياء واتييت الى باب البلد ففتح لي وركضت فرسي الى مكان المرعى فوجدت ابا زكرياء يصلي . فقال لي ما تريد ؟ فأخبرته ، فأشار الى مكان فوجدت الثور فيه ، واخبرني الشيخ ابو زيد عبد الرحمان بن ثابت الصقلي ، عن حدثه من الثقات ، عن الفقيه ابي زكرياء ، قال خلوت يوما في الجامع وأغلقت على نفسي جميع ابوابه وجعلت أتفكر في امر فإذا برجل يخرج من حائط الصومعة فتبعته وعلمت انه ولي لله فقال لي : يا ابا زكرياء رأيتك وانت تفكر في كذا وكذا فقلت له ادع لي فأخذ يدعوني فالتفت فلم أراه وما ادري حيث ذهب ، انتفع الناس بعلمه وارشاده ، توفي في غرة رمضان سنة تسع وسبعين وخمسمائة ودفن بباب سلم وقبره معروف .

(قلت) : قال العواني وكان ابو عبد الله محمد والد ابي زكرياء يحيى هذا رجلا صالحا متعبدا ورعا مجتهدا مخشوشنا في طعامه ولباسه متحيزا عن الناس معتكفا على قراءة كتب المواعظ والرقائق واخبار الصالحين حتى يكاد انه صرف كل وقته في ذلك ، فرأى في منامه كأن قائلا يقول له اشتغلت بكلام المخلوقين عن كلام الخالق ، فانتبسه مذعورا فقال لله علي ان لا اترك تلاوة القرآن ليلا ولا نهارا ما حييت فعكف على تلاوة القرآن عما كان بسبيله من قراءة كتب الرقائق والزم تلاوة القرآن والنسك والعبادة الى ان توفي وكان محبوبا لم يختلف اثنان في فضله ، وكان الناس يتبركون بلقائه ويقولون انه كان مجاب الدعوة ، اخبرني بذلك كله جدي عبد الملك عن الشيخ العابد ابي يوسف الدهماني ، قال

اخبرني بذلك شيخى الفقيه ابو زكرياء يحيى بن محمد بن عوانة ان والده رأى هذه الرؤيا المذكورة ويقال انه توفي سنة احدى وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى .

## ● ٣٢٤ ومنهم أبو الحجاج يوسف ابن حسون المقرئ رحمه الله

(قال) : كان من أهل العبادة والزهد والنسك والصلاح والتهجد والصيام وكان هجيره احياء المساجد الخراب ، وعمارتها بالصلاة والذكر ، وزيارة قبور الصالحين ، واخذ الورد عندها ، وكثيرا ما كان يحيى الليل صلاة بمقبرة البلوية وكان يسمى بالقيرواني (العابد) وهو الذي عمر مسجد الانصار بعد خرابه وكان يؤم به اخبرني ابو زيد عبد الرحمان بن ثابت الصقلي عن ابي سعيد بن ابي شيخ قال كنا نجلس بمسجد الانصار مع الشيخ ابي الحجاج فربما دخلنا نتحدث بأمر الدنيا ونحن نتوهم انه لا يستمع الينا وهو مشغول بالذكر فلما تفرقنا وقام من كان في المسجد قال لي يا ابا سعيد لا تعطل اوقاتك في الفراغ أتدري كم قرأت منذ تحدثت كذا وكذا الف قل هو الله احد قلت له رأيتك كأنك تنظر الينا وتشير برأسك فقال متمثلا :

وشغلت عن فهم الحديث سوى ما كان منك فأنتمُ شغلي  
واديسم نحو محدثي نظري [له] ان قد فهمت وعندكم عقلي

واخبرني الشيخ ابو زيد عبد الرحمان بن ثابت الصقلي عن الشيخ ابي علي دهمان بن موسى الزبيدي (201) قال كنت اصلي على الجنائز مع ابي الحجاج في البرج الكبير الذي قرب باب تونس المحدث ، فكنت معه يوما فيه فنظرت اليه فاذا به قد تغير لونه ، وكان من عادته اذا ورد عليه وارد يتغير وجهه ، قال ثم خرج

فابطاً فخرجت أطلبه فوجدته قائماً في الهواء وهو يخاطب رجلاً - فاما ابو الحجاج فرأيته كلته ، واما الذي معه فلم ار منه الا شبحه وظله في الحايط - فلما جاء الشيخ اخبرته بما رأيت فقال لي : ذلك الذي أراد الله ان ترى منه .

واخبرني ابو زيد عن ابي علي دهمان ، قال : أتيت الى دار الشيخ ابي الحجاج في يوم جمعة فلم أجده فتكررتُ اليه مرات كل ذلك لا أجده ، فلما كان قرب الصلاة اتيت الى الجامع فقصدت مكانه الذي عادته يصلي فيه الجمعة فلم أجده فيه فلما أقيمت الصلاة اذا به الى الجازبي ، فمليت الجمعة فلما انقضت الصلاة سألته بالله والحث عليه في القسم ليخبرني اين كان ، فقال : كان بعض اخواني بزغوان حضرته الوفاة اليوم فسرت اليه حتى شهدت موته ودفنه وجئت من فوري ، فلما بلغت جنازته سمعت اقامة الصلاة فبادرت وبين الجنائز والقيروان اميال ، واخبرني أيضا عن ابي علي دهمان قال كان عند الشيخ ابي الحجاج ضيف فدعوتهما الى منزلي وقدمت لهما طعاما فيه زيت فاكلا الطعام ولم يتدما (202) بالزيت فبقيت متفكرا في ذلك ، وكنت لا أشترى الزيت الا ممن اثق به ، فلما كان من الغد لقيت الذي اشتريت منه الزيت فقال : لا تتصرف في ذلك الزيت فقد ظهر لي انه حرام ! ومناقبه كثيرة توفي رحمه الله قبل الثمانين وخمسمائة ودفن بازاء البهلول بن راشد بوصيته بذلك وقبره معلوم رحمة الله عليه .

### ● ٣٢٥ ومنهم أبو سعيد خلف ابن عوض ابن عبد الله المعروف بابن أبي شيخ الزاهد

(قال) : كان رحمه الله من اكابر الفقراء المجردين وافاضل الزاهدين نزيه النفس حسن الخلق كثير البشاشة بعيدا من الرياء والتصنع زاهدا في الجاه كثير



التواضع لا يسكاد من تواضعه يتميز عن غيره وبلغ من زهده انه كان لا يدخر شيئا لغد واذا بات بلا عشاء ولا مصباح يشتد فرحه ويكثر انبساطه ، وكان شديد المبالغة في كتم الفاقة ، وان فتح له بشيء يصرفه للفقراء - وكان واحدا منهم - وربما أخذ منه القوت واعطى الباقي ، قال لي الحاج ابو سعيد خلف الغراب دخلت المغرب وديار مصر والشام والحجاز والعراق ولقيت مشايخ هذه البلاد فما رأيت ازهد في الدنيا والرئاسة من ابي سعيد ابن ابي شيخ .

(وحكى) ابو زيد عبد الرحمان بن ثابت الصقلي قال : كان الشيخ ابو سعيد جارا لنا وكنا نود أن ندخل عليه سرورا ورفقا وكانت بالقيروان مجاعة شديدة ونحن في غاية السعة بحيث يحتاج الينا جل أهل القيروان ، وأبو سعيد في غاية الفاقة والضرورة ، فما اطلعنا قط على حاله بل كان يظهر لنا الكفاية لما يظهر عليه من البشر والسرور بحاله ، وكان يعيش من المباحات كالبقول وبزورها ويوثر منها على المساكين وما اظنه وجبت عليه زكاة الفطر قط ، ولم يزل على فاقتة حتى مات رحمة الله عليه ، صحب الشيخ ابا زكرياء يحيى بن عوانة و ابا الحجاج يوسف ابن حسون وانتفع بصحبتهما وحج على التوكل والتجريد وله كرامات كثيرة واطلاعات منها ما حكى لي ان رجلا من أهل القيروان يقال له يخلف بن ثابت اشترى زيتا من قفصة وجهة الى القيروان فلما كان في الطريق عرض للقافلة خوف شديد من العرب ، فنذر هذا الرجل في نفسه : ان سلمه الله ان يعطي للشيخ ابي سعيد قفيزا زيتا من زق وكان ابلق قية زيت طيب فذهب عنهم الخوف ، فلما وصل الى داره اخذ قفيزا زيتا من غير ذلك الزق وحمله الى الشيخ فلما رآه قال له اليس قد نويت ان يكون هذا الزيت من الزق الابلق فليم لم توف بنورك .

(وحكى) ان بعض اهل القيروان اکتال طعاما في شكاراة (203) على ان

يدفعه للشيخ ابي سعيد ، فجعله في بيت وقفل عليه واشتغل عنه ، فبينما هو يسير ذات يوم لقيه الشيخ فقال له : اين الطعام الذي جعلته في الشكارة برسمي فقال له نعم ودفعه اليه ، وفضائله كثيرة عمر عمرا طويلا حتى أقعد ، ومات حمه الله بالقيروان سنة اربع عشرة وستمائة (204) رحمة الله عليه .

### ٣٢٦ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن علي ابن عبد الله الانصاري المشهور بالدباغ

(قال) : هو والذي رحمه الله كان من كبار العباد وأفاضل الزهاد واهل الجلد والاجتهاد كثير سرد الصوم والصلاة بالليل والناس نيام ، مع حزن دائم وخوف مقلق وكثرة نحيب وبكاء وملازمة الجوع والعطش ، ساح في البلدان وخرج عن الاوطان ولقى العباد والبلاء والاوتاد ، سمعت منه انه قال : لقيت سبعين شيخا من شيوخ القوم آخرهم ابو مدين شعيب بن موسى الاندلسي ، وابو عبد الله الهواري ، كان مولده في حدود الاربعين وخمسمائة ، فلما بلغ عشرين سنة اخذ في سلوك طريق الارادة ومنهج العبادة ، ولم يزل في الجلد والاجتهاد حتى مات ، ولقد رأيت يتهجد وهو قد ناهز الثمانين حتى يسقط من طول القيام ثم يعود الى القيام حتى الصباح ، وكان يبكي حتى تقرحت عيناه ، وربما يمر بالآية في تهجده فيكررها الى طائفة من الليل ، وكان في أكثر شهور رمضان يسد عليه الباب فلا يأكل ولا يشرب حتى الى يوم الفطر ، (قلت) : محمله على انه تصلي معه زوجته او هي مع غيرها بصلاته وعلى انما المراد بالباب باب الدار ليكون معه فيها بئر يتوضأ منها وما يزيل عنه الحدث والله تعالى اعلم .

(قال) : وكان من اشد الناس صبيرا على الجوع ، وكان مع هذا لا تأخذه في الله لومة لائم ، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر على قلة انصار الحق ،

وكان مع زهده في الدنيا ازهد الناس في الجاه وأكثرهم تواضعا للصغير والكبير كثير الصولة على أهل الظلم - ولا سيما الولاة - ما داهن احدا قط ولا شاب عمله برياء ولا أدخر مالا ولا سعي لطلب رئاسة ولا آثر على الله احدا من أهل ولا مال ، وله مناقب كثيرة وكرامات شهيرة منها انه مر على ماجل القيروان وقد جف منه الماء والناس في عطش شديد فشق عليه ما الناس فيه ، فلما كان بعد ذلك أتى الوادي وامتلا الماجل ، فخرج اليه الناس وخرج الشيخ ، فرآه مملوءا ماء والبرك تعوم فيه فتفكر في ذلك مليا ثم غاب عن حسه فلم يشعر واذا الشيخ جالس في وسط الماء والناس ينظرون اليه فتوهموا انه سقط فبادروا اليه واخرجوه فوجدوا ثيابه وقدميه لم يبلها ماء البتة وهذه الحكاية يرويها جمهور أهل القيروان .

واخبرني ابو العباس احمد بن عبد الرحمان المؤدب المعروف بابن شيخ الرباط وغيره من الثقة ان الشيخ ابا عبد الله كان عندهم في الدار يخلو في غرفة وقد اغلقوا عليه الباب بقفل حصين ، فصنعوا ليلة سماعا في اسفل الدار وحضر فيه طائفة من الصالحين فلم يشعروا الا والشيخ ابو عبد الله بينهم فصعدوا الى الغرفة فوجدوها مقفلة كما كانت واخبرني الشيخ ابو الحسن بن علي بن يخلف (205) اللواتي ان الشيخ ابا عبد الله استدعى ابا القاسم المازري الى مكان فقيل انه رمد ! فقال لا بد من إتيانه فأتوا به يقودونه وعيناه كأنهما علقتان فبصق الشيخ في عينيه فبريء من ساعته وعاد اليه نور عينيه . وأخبرني والذي رحمه الله ان امي اشتهد عليه وهي حامل بي القثاء في زمن الشتاء ، فمشي الى كدية عند باب الجلادين عادة الناس الجلوس عندها فوجد فيها أصل قثاء فيه أربعة جرات من القثاء قد امتدوا طولاً .

وأخبرني ابو زيد عبد الرحمان بن سلامة البادسي قال كنا عند الشيخ ابي عبد الله فاستاذنه قوال في ان يقول شيئا قال فورد على الشيخ وارداً حال فقام

قائما على قدميه - وكان قد أقعد قبل ذلك بمدة من الزمان - واختبرني ابو زيد أيضا قال قال لي الشيخ ابو عبد الله زرت يوما قبر الشيخ ابي الحسن القاسمي فلما وضعت يدي على تربته تعلق في يدي منها رائحة مسك اذفر بقي في يدي أياما كثيرة حتى كنت اخفي يدي خوفا من الناس ان يظنوا اني طيبت يدي ، ومناقبه كثيرة وقد ألفت فيها جزءا ، توفي رحمه الله يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شعبان المكرم سنة ثمان عشرة وستمائة وحضر جنازته عالم من الناس قل ما اجتمعوا على جنازة غيره في وقته وكسروا نعشه من كثرة ازدحامهم عليه واخذوا تراب قبره للاستشهاد به (206) ودفن بمقبرة باب تونس وقبره معلوم رحمه الله .

(قلت) : ظاهره انه ارتضى اخذهم من تراب قبره ! وسمعت ان الشيخ الفقيه ابا القاسم العبدوسي القاسمي نزيل تونس حكى عن والده الشيخ الفقيه ابن عمران موسى انه افتي بجواز ذلك وبوضع اليد على القبر وبمسح وجهه بها على وجهه والذي شاهدت شيخنا ابا محمد عبد الله الشيبيني رحمه الله يفتي بان ذلك بدعة وكذلك تقبيل القبر وينهى عن جميع ذلك ، وتبعه - مفتيا بذلك - شيخنا أبو الفضل البرزلي وبه اقول ، وقد قال بعض اصحاب الشيخ ابي اسحاق الجبيني اتيته بحصيات من المسجد الحرام فقلت للشيخ ابي اسحاق اتحب ان اعطيك شيئا منها تسبح به ؟ فسال لي : يا أحمت ارم بهن فعلى اقل من هذا عبت الحجارة ، (قال) : وعرفت الشيخ ابا الحسن القاسمي بقوله فاعجبه فقهه ، واستشهد بقول مالك فيمن يخرج بحصياء المسجد الحرام في نعليه ان كان قريبا من المسجد الحرام ردها وان كان بعيدا رمى بها ، وما ذكر من كونه ألف في مناقبه جزءا بحث عليه غاية البحث فلم اجده رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا واياكم ببركاته .

## ٣٢٧ ● ومنهم أبو يوسف الدهماني (\*)

(قال) : كان من اعلام طريق الارادة وكبار مشايخه ، وكان له في ابتداء امره رياضة ومجاهدات وصدق معاملات ، سمع الفقه على الشيخ ابي زكرياء ابن عوانة ولازم مجلسه وانتفع به وسمع الحديث على ابي محمد عبد الله ابن حوط الله وغيره ورحل الى بجاية للقاء الشيخ ابي مدين شعيب بن موسى ، ثم رحل الى الحج سنة خمس وتسعين وخمسمائة ولقي الشيخ ابا عبد الله القرشي رضي الله عنه وجماعة من شيوخ المتصوفين ، واتفقت له مع الشيخ ابي عبد الله كرامات ينقلها جماعة من العلماء والصلحاء مثل ابي عبد الله القرطبي وابي العباس التسطلاني وغيرهم ، وذلك ان الشيخ ابا عبد الله القرشي كان قد هجر السماع وحضوره فلما وصل الشيخ ابو يوسف رغب اليه في ذلك فأجابه اليه وصنع في منزله سماعا لم يبق مشهور بمصر يا فضل الا وحضره ، فلما طاب السماع اخذ الشيخ ابا يوسف واراد حال فارتح عن الارض حتى جلس على الهواء وهو مرتفع يطوف في زوايا البيت ، قال أبو عبد الله القرطبي : كأني أنظر الى بياض قدميه في الهواء ، ثم قدم الى القيروان فبشر بها الميعاد وهدى الله على يديه امما كثيرة من الاعراب والبوادي فنقلهم من اكتساب الجرام والاضرار بالناس الى ملازمة الطاعة والاشتغال بالعبادات .

وكان رحمه الله كثير الكرامات والاستجابات والسكلام على الخواطر والاختبار بالامور المغيبات ، روى ابو علي عمر بن عبد الله العالي قال دخلت على الشيخ ابي يوسف يوما فقال لي : كم عندك من الاولاد ؟ فقلت له ما عندي ولد ، قال : تهيا فسيولد لك ولد يكون اسمه ابراهيم ، قال فولد لي ابراهيم ، فجيئت الى الشيخ فاعلمته فقال له : تهيا فسيولد لك اسحاق فولد لي اسحاق وحكى أيضا ابو عفيف صالح بن حسن القرشي قال : دخلت الى الشيخ فسألني عن حالي

(\*) في ق : أبو يوسف يعقوب بن ثابت الدهماني الفقيه العابد .

وعياي فقلت له عندي اربع بنات وليس عندي ذكر ! فقال : ولم لم تعلمني ؟ فقلت له : اشكوه لك ؟ فقال صدقت ومن هو انا حتى تشكوه الي ، ثم قال لي سيولد لك ولد ثم ثاني وسكت ساعة ثم قال وثالث ! فولد لي حسن ومحمد وبعد ذلك ولد لي ولد عاش اياما ومات .

وحكي عن الشيخ ابي سعيد ابن ابي شيخ قال قصدت الى المهديّة لزيارة الشيخ ابي يوسف فلما كنت في الطريق اصابني احتلام في شدة البرد فلم يمكن استعمال الماء وتلوّث مرقتي فصليت بالتيمم ، فلما دقت الباب على الشيخ اخرج الي ثوبا وقال لي البس هذا واطرح عنك المرقعة ثم قال لزوجته اصنع الماء الحار لابي سعيد ليغتسل فانه جنب .

وحكى ابو العباس احمد بن علي الفقيه المعروف بالقردموس (207) ، قال : كنت بقصر الاجم وكان هناك وال من قبل يحيى بن اسحاق الميورقي فظلم الناس ثم امتدت يده الى الحرام وجاهر بذلك ، قال : فلما وصلت الى المهديّة قصدت الى الشيخ ابي يوسف فاعلمته بحال ذلك الوالي وحال الناس معه ، فقال لي يا أحمد انت عندي ثقة وقولك مقبول ، فان تحققت هذا منه فأعلمني فيبني وبين الله عقد أن من جاهر بالمعاصي وهتك حرّات المسلمين اني لا أتركه ، فقلت له : قد تحققت ما قلتُ لك ، فقال : هذا في عنقك ؟ فقلت له : نعم ، فقال قد كفيت امره ، ثم خرجت من عنده فتجهزت للسّير الى الاجم فاذا بالرجل المذكور قد وصل ومعه اعوان الميورقي فلما رأته رجعت لانظر ما يكون من امره فأمر به فضربت عنقه ودخلت الى الشيخ لاعلمه فقال لي قبل ان اعلمه قد اهلك الله الفاجر متى وجدت من هذه حالته فاعلمني به .

وحكي ان الشيخ ابا يوسف لما وصل الى الاسكندرية لقي بها الشيخ الصالح ابا الوليد - وكان من الاكابر - فمرض الشيخ ابو يوسف فدخل عليه ابو الوليد فقال له ، انت تموت من مرضك هذا وانا اصلي عليك وأدفنك ! فقال له ابو يوسف : بل يعافيني الله تعالى من هذا المرض وتموت انت فأصلي عليك وأدفنك ، فبرىء الشيخ أبو يوسف ومات ابو الوليد فصلى عليه الشيخ ودفنه ، واخباره في هذا النوع كثيرة افردنا لها كتابا على حدة ، وقد تخرج من أصحابه طائفة اشتهروا بالصلاح والفضل .

(قلت) : هو مقدار ثلاثة أرباع رسالة الشيخ ابي محمد بن ابي زيد وها أنا اذكر بعض ما فيه من غير ترتيب لكلامه ، قال فيه : ولد الشيخ أبو يوسف بالبادية بقرب قرية تسمى المسروقين من حوز القيروان ، ونشأ بالبادية والقيروان وقرأ القرآن على ابي عبد الله محمد بن عمر بن جابر رحمه الله وكان أحب اولاد ابيه اليه حكي عنه انه قال : سمعت والدي يوما يقول : ان من قال لايه : لا ، دخل النار ، فكان من حبه لي ان لا يصرفني في حاجة خوفا ان اقول له لا ، وقال لي منذ عقدت مع الله هذا العقد لا اطلبك بحق هو لي لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وقال : يا رب ما لي على يعقوب ولدي من حق فهو عليه صدقة ، وكان رحمه الله منذ مراهقته البلوغ محافظا على الصلاة متنزها على الفواحش وكان محبا في ركوب الخيل العتاق وكان سبب انقطاعه عن العرب انه قال سرت مرة مع جماعة من بني عمي من عمل القيروان الى المهديّة بنية الجهاد عند نزول الروم عليها في وقعة الجمعة المشهورة وكان علي درع حسن وانا راكب على فرس ادهم فلقينا الشيخ الصالح الولي ابو زكرياء بن الاجباري فنظر الينا ثم كرر الي النظر دونهم ثم قبض على ركابي وقال لي ما اسمك يا فتى ؟ فقلت له يعقوب فقال : اسال الله يا فتى ان يفتي شبا بك في طاعة الله فتار خاطري لذلك في الحين وكأنما رماني بسهم ، فخرجت من المهديّة وانا على خلاف

ما كنت عليه ، ثم وصلت الى القيروان فتركت ركوب الخيل ومكاثرة اهلي وانقطعت الى عمارة مسجد كان هناك بقربنا ثم قصدت الى ميعاد الشيخ الصالح الزاهد الفقيه ابي زكرياء بن عوانة رحمه الله ، ثم لم يزل ملازما لميعاده حتى تعلم كثيرا من العمل ثم لازم الخير والخلوة في المسجد الى ان وصل الى القيروان الشيخ ابو عبد الله البسكري تلميذ ابي الفضل البسكري وصحبه مدة وانتفع به ثم ارتفعت أحواله واخذ في المجاهدة وسلوك سبيل الرياضة وصحب جماعة من كبار المشايخ وانتفع بصحبتهم .

ومن كراماته ما تقدم له في قضية السماع وقيل لابي عبد الله القرشي لم منعت السماع ؟ قال لما فيه من المقاصد لغير الله ، ولما قدم الشيخ ابو يوسف سأله الاذن فيه وحضوره معه قال هذا باب سددها ومنعناه ، فقال له انا قادم ولي عليكم كرامة القدوم ، فأجابه الى ذلك ، فجعل مجلس سماع حضر فيه اثنا عشر رجلا من الاكابر وجمع من الطلبة والمحبين ، فلما اخذوا في السماع تواجد الشيخ ابو يوسف وارتفع من موضعه في الهواء وقتا ، وقام الشيخ ابو عبد الله القرشي على قدميه وكان زمانا مقعدا منذ أعوام تقدمت ، قال ابو عبد الله القرطبي فجعلت أمدّ يدي وأنا قائم على صدور قدمي لعلي الحق قدم الشيخ ابي يوسف وهو في الهواء فلم استطع ، فدار ذلك البيت جميعه ثم عاد الى موضعه وأنا أنظر الى بياض قدميه وهو في الهواء فكان الشيخ ابو عبد الله يقول : تقولون ذهب الرجال ؟ انظروا الى هذا البدوي ، وكان رحمه الله تعالى ركب بحر القلزم من مصر الى جدة فهاج البحر - وكان في السفينة طعام السلطان - فأراد خدام السفينة ان يلقوا بعض المغاربة ليسلم طعام السلطان فقال لهم الشيخ : اتقوا الله تفرقون المسلمين من أجل الطعام ؟ فقالوا نخاف عقوبة السلطان ! فقال لهم ارموا القمح فما نقص منه فعلي ضمانه فقيض الله رجلا من الغزّ (208) كان في المركب مع الشيخ فأخذ سيفا وقال



ان لم تفعلوا ما قال لكم والا قتلت منكم ما اقدر عليه ، فاتفقوا على ان كتبوا على الشيخ وثيقة واشهدوا عليه بذلك ، ثم رموا ما امكنهم ولطف الله بسلامة المسلمين ، فلما وصلوا الى جدة ثقف خدام السلطان خدام السفينة وقالوا : من أين لهذا المغربي ما يؤدي منه ؟ ثم أحضروه فقال لهم : تعالوا الى المركب وكيلوا طعامكم فما نقص فعلي ، فساروا وقال كيلوا بسم الله الرحمن الرحيم فكالوا جميع طعامهم من الذي بقي ولم ينقص شيء ، هكذا حدثني جمع من الفقهاء ،

وحدثني بعضهم انه لما طلبوا الشيخ وجدوه مقابلًا للبحر جالسا على ساحله والامواج تأتي بالقمح شيئا بعد شيء حتى كمل لهم جميع ما طلبوه ثم طلبوا الشيخ بعد ذلك فلم يجدوه وأهله بجدة ولا بعرفات ، وحدثني الحاج ابو بكر بن سليمان ابن القابلة قال حدثني احمد بن ابي شواط عن أحمد بن فضل الله قال : دخلت يوما على الشيخ ابي يوسف وهو بدار قبر الشيخ ابي عمران الفاسي ، فوجدته يقرأ في الكتب واذا شيخ عليه ثياب خضر وهو جالس على القبر ، فلما جلست رفع الشيخ رأسه وأطبق الكتب وقال : يا أحمد هل رأيت شيئا ؟ فقلت : نعم رأيت الفقيه ابا عمران جالسا فقال : أكرم علي يا ولدي ما دمت حيا (قلت) : أنظر توجيه هذا بعد في ذكر كرامات الشيخ صالح الصديقي (209) ، (قال) : وأتى فقير الى زيارة الشيخ ابي مروان المعروف بالتجصيلي بمدينة قوبل (210) فوجده يصيد الحوت فقال له — بعد ان لم عليه وجلس — يا شيخ هكذا تصيد الحوت بسنارة ؟ فقال له يا بني هو ما رأيت ، فقال له : لله رجال لو ارادوا هذا الماء حوتا لكان كذلك وجعل الفقير يده مرارا في الماء ورمى الحوت على الشط ، فلما فعل ذلك قال له الشيخ

(209) في ق : كرامات ابي يوسف يعقوب ابن ابي القاسم الزعبي وكتبتا النسختين صحيحة انظر ترجمة هذين الشيخين بالجزء الرابع من هذا الكتاب وهما متتابعان .

(210) في ق : بونقة .

ابو مروان والله رجال لو أرادوا ان يرجع هذا الرمل ذهابا لرجع وضرب بيده فاذا هو ذهب يلمع ، ولكن استر علي هذا بهذا ، ثم سار الفقير فاجتاز بغیضة في سفره فاذا برجل راكب على سبع ، فقال له ادن فقالة ما عندي قوة أدنو بها اليك ، ثم لم اره ثم اتيت القيروان فزرت بها الشيخ ابا يوسف فلما دخلت عليه قال لي على البديهة : لتهنك الكرامات التي رايت لله رجال يغرفون الحوت من البحر ، والله رجال يقبضون الدنانير من الرمل ، والله رجال يركبون السباع ، وغير ذلك والله رجال أخذوا هذه الاشياء كلها وطووها وجلسوا عليها ولم يعرف أحد ما جلسوا عليه .

وقال ابو زكرياء بن هناص : كنت عند الشيخ برباط شقانس فرفعت مرة قلة بالماء على رأسي ، فلما دخلت بها من باب القصر احتشمت وقلت في نفسي : ادخل هكذا والناس جلوس ، وكان الشيخ يمشي امامي فعندما خطر لي ذلك انتهرني وقال : أمش ، كل ما على التراب تراب : واستلقي مرة على قفاه وغاب كأنه ليس بحاضر ، فاقسمت عليه زوجته أم عمر ليخبرنها (211)، فقال : انخرق لي هذا الحائط فشاهدت الكعبة والابدال يطوفون بها فهو الذي أشغلني عنكم ، وعمى في آخر عمره ، وكان اذا اخذ المصحف نظر فيه وكان يقول : البطل من أصحابي بسبعة آلاف (212) والذي حصل في الزمام ويكونون تحت اللواء ان شاء الله اثنا عشر الف .

وقال ابو علي القورى زرت الشيخ ابا يوسف مرة مع أصحاب لي فقال الشيخ : فصلوا ثوبا لبعض أصحابه ، فقلنا له : ما فينا من يفصل ولا يخيظ ،

(211) أى بسبب غيبوبته .

(212) يعنى بالبطولة الصدق فى الاتباع .

وفى ق : بعد قوله من اصحابي : (يغفر) وهو بيان لمقامه وقدره عند الله فى الآخرة ، وقوله : والذي حصل الخ يعنى الاتباع الذين تحق لهم الشفاعة المرادة هنا .

فقال يفصله عبد الكريم ويخيطه ، ففصله في الوقت وخاطه ما تقدمت اه بذلك عادة قط ، وقال ابو محمد عبد الكريم هذا سافرنا مع الشيخ مرة فاجتزنا بقصر الكنايس فصنعوا للفقراء طعاما كثيرا فأكلوا وكنت لا أتناول بالنهار (213) ، ثم سرنا وكنت في آخر الرفقة فلحقني رجل من أهل الموضع ومعه اناء فيه شهد وقال لي سألتك بالله الا ما حملته حتى تظطر منه ، فأخذته منه وجعلته تحت ثيابي وسرت ، وكان الشيخ أمامنا عن بعد ، وكان من شأنه اذا مشى في الطريق يسرع ولا يلتفت ، فوقف - كشفا منه - وقال أين عبد الكريم ؟ فزودت وتقدمت اليه ، فقال ما هذا لا اله الا الله ترفع شيئا تحدثك نفسك انك تظطر عليه بالليل ؟ ومن لك انك تعيش ؟ اخرج الذي تحتك ، فلما وصلنا الى المسجد المعروف بمسجد ابن غانم فتح الله بشهد كثير فعمل في حفنة كبيرة ودعاني فأخذ برأسي وقال : تريد ان اغظم الساعة رأسك فيه ! أردت ان تخبي الى الليل والخلف من الله موجود ؟

وقال الشيخ أبو يوسف - منكرا على اناس - ما يعرفني منهم احد ، انما كان يعرفني اخي ابو علي النفطي رحمة الله عليه الذي اتى عندي مرة فأردت اقامته وأراد السفر ، فكان بنفسه يخرج خارج البلد يطلب الرفقة فلم يجد ، فمكث قرب خمسة عشر يوما فلما لم يجد تظطن وقال لي : سألتك بالله اتركني أمشي ، فقلت له : وعولت ؟ قال : نعم فقلت له : اصلح حوائجك وأخرج خارج البلد تجد الرفقة الساعة تأتي تمشي معها ، فخرجنا في الوقت فاذا بعسكر مقبل الى جهة سفره ، فمشى مع العلامات (214) والخيال آمننا مطمئنا فكان بينهما محبة واحتراما وتراسلا واتحادا كبيرا ، وقال الشيخ كنت أتمنى ان يجمعني الله عز وجل معه مدة في موضع فقدر ان مسكنا في خباء قرب

(213) أي صائما .

(214) العلامات الرايات اخذا من ( العلم ) .

أربعة أشهر في سنة فتح مدينة تونس حتى فتحت فدخلنا وكنا في تلك المدة نسأل الله عز وجل في حقن دماء المسلمين فلطف الله بالحال وكان كذلك فلما أراد الانصراف قال لي : رأيت فيك أربع خصال من خصال أهل الجنة : ما رأيتك في هذه المدة تمتخط ولا تتعاب ولا تمطى ولا تحتمل فقلت له : الحمد لله الذي اظهر لك نعماً كنت غافلاً عن الشكر عليها وقالت ام عمر زوج الشيخ ابي يوسف : لما اتى اليه الشيخ ابو علي النفطي ادخله البيت ثم قال له الآن : مامات سيدي ما دمت حيا (215) وامر بقلق الباب وجعل يقول : اصلح الباب حصل الزيم خلف الحجاب وقال ابو علي لما أراد توديعه ما ثم فرقة انما نحن واحد ثم عطف عليه وتأوه وأنشأ يقول :

يا هند اني قد وهبتك مهجتي فنعيمها وعذابها سيان  
 كنا نخافكم ، ونخشى هجركم ايام فرقنا ونحن اثنان  
 فاليوم روح واحد لا غيره اكرم بروح ضمها جسدان

ولما توفي الشيخ ابو علي قال الشيخ ابو يوسف يعقوب نوحى اخي الديار وايتم الصغار ولا بد ان آخذ بثأر اخي ابي علي النفطي ! فذكر ان ابن النخيلي سقاه السم فكان من ابن النخيلي ما كان قبل موت الشيخ رضي الله عنه ، وكان للشيخ أيضا صحبة طويلة واجتماع مع الشيخ ابي محمد المهدي بزويلة وبالمهدية وغير ذلك كثير ، ولم يزل بينهما التوادد والتراسل من تونس الى القيروان وغير ذلك حتى توفي رحمه الله عليهما ، وكان سفر الشيخ ابي يوسف الى المشرق بعد ان اتى من عند الشيخ ابي مدين فسافر من المهدية في البحر بعد عيد الفطر ، فصلوا الجمعة التي سافروا فيها بالاسكندرية ، ولحق الرفقة بولده واهله ، فلما جلس مع

(215) كانه نزل ابا علي منزلة شيخه واعتبره بنزوله عنده من شيوخه . وأبو علي هذا هو محيي السنة بالجريد ودفن ببلده نفطة ، وتوفي رحمه الله سنة 610 كما في كتاب التشويق .

الاشياخ بمسكة اخبرهم باخذ ابن عبد الكريم المهديه ، فقالوا له : وأصحابنا اتوا وما اخبروا بشيء من ذلك ، اتيت على الارض او على غيرها ؟ قال : ذلك صحيح وأتيت من المهديه بعد عيد الفطر بالاهل والولد فتعجبوا من ذلك ، وكان ترك أهله وولده بجدة حين فر من الناس لما قيض الله (216) سلامة المسلمين ووفاء الطعام على يديه واظهار بركته رضي الله عنه .

ورأت مريم ام يحيى بالمنية من نظر صفاقس في منامها قائلا يقول لها سر الى الشيخ ابي زكرياء المعروف بابن هنافس بالمهديه وبايهيه قالت فاستيقظت واستعدت بالله من الشيطان الرجيم ونمت فعاد الي ثانية وثالثة وقال لي في الثالثة : ما انا شيطان وانما انا ملك ! قالت فسرت من بلدي الى المهديه في طلب من ذكر لي ، فلما دخلت البلد بقيت حائرة اتوسم من اساله يدلني على موضعه فينما انا كذلك اذ فتح باب دار فخرج رجل عليه ثوب وعلى رأسه قلنسوة دون عممة فقال لي - على البديهة - أهلا ومرحبا بالمرابطة مريم على عدد ما مشيت من منزلك الى هنا ، والذي يخاطبك هو يعقوب الدهماني ، والذي خوطبت به في منزلك هو عندي في منزلي ، قالت فبقيت متعجبة لكشفه ما خوطبت به في بلدي في منامي ومخاطبته لي باسمي من غير سابق معرفة ، فدخلت الدار فوجدت بها زوجه ام يوسف ولم يكن عنده اذ ذاك غيرها ، ووجدت الشيخ ابا زكرياء عنده في خدمته (217) وحسبك ما خاطبك به اول ما رءاك وكاشفك بما رأيت في المنام وعن السؤال اغناك فقالت فالزمت نفسي لطاعته من ذلك الزمان الى الآن ، وكان عندها للشيخ ابي يوسف زيادة تعظيم وهيبة واحترام لا ينحصر طول حياته وبعد مماته ، وكان لها قرب التسعين او الثمانين فكانت لا تجلس دون

(216) الاظهر : لما قدر الله من سلامة المسلمين الخ .

(217) هنا نقص بالاصل ، وتكملته من ق : فاقمت عنده وقتنا فقال لي أبو زكرياء : عليك بخدمة الشيخ أبو يوسف فيما امرت وحسبك الخ .

لخاف ولا تستطيع رفع الكلام عنده ولا النظر اليه ولا تقرب منه هيبة واحتراما .  
 ومرض الشيخ ابو يوسف مرضا شديدا حتى نقل انه قد مات ، فلما بلغ اليها  
 الخبر دهشت وأقعدت وسكنت دهرًا لا تستطيع القيام فلما برىء الشيخ من ذلك  
 المرض - وهو الذي قال فيه بشرت بولدين يزدادان لي واعيش اثني عشر عاما  
 فسكان كذلك - فلما سمع الشيخ بخبرها سافر سفرة فلما قرب من موضعها قال لا  
 يخبرها احد بي حتى ادخل المنزل ، فلما دخل قيل لها الشيخ طالع اليك ! فقامت  
 من زمانتها في ساعتها وتلقته خارج باب البيت ، وقالت يا شيخ قيل لي انك مت  
 فدخلت علي حسرة ، فقال لها يا مريم ولا شيء يحيى ويميت [الا الله] فسكان لها  
 في الشيخ قصد عظيم ونية حسنة واتحاد محبة وفراسة .

وقال بعضهم نزل الشيخ عندنا مرة بالقصر وكنت بالقصر الآخر فسرت اليه  
 وقلت في نفسي : تمنيت لو أطمعني الشيخ ثلاث لقم بيده في فمي ! فلما دخلت  
 عليه وجدته في جماعة يتناولون طعاما - والمرابطة مريم جالسة - فلما رأني قالت  
 للشيخ : ادفع لصاحب الامنية ما طلب ، فاعطاني ثلاث لقم كما خطر في سري  
 فتعجبت من مطابقتها في ذلك رضي الله عنهما .

ومن كرامتها ما حدث به بعضهم قال : كنا ليلة عند المرابطة في البيت  
 فضربت بيدها - فبقينا ننظر - فقالت : محمد البرزلي اتى اليّ من قصر زياد (218)  
 والاسد بالجابية أخشى أن يروّعه ! والا ما يرى منه باسا ! ثم سكتت ساعة وقالت  
 قوموا افتحوا له الباب فقمنا وفتحنا له الباب فوجدناه قرب الباب آت ونظرنا  
 الى الاسد بالموضع الذي ذكرت لم يتحرك وقال بعض اصحابنا خرجت من المهديّة  
 ومعى شيء السرجس (219) برسمها فلما وصلت الغيضة وحن الليل سمعت خلفي

(218) رباط مشهور بجهة جنيانة كان يقال له ( دارمالك ) لما فيه من الفقهاء .

(219) في ق : الموبس وكلا المفردين مجهول عندنا وهو على كل حال هدية مأكول  
 فيما يظهر .

حسا فاذا وقفت اتحسس اليه ينقطع عني فلم ازل كذلك حتى وصلت ولا رأيت شيئا فلما ضربت الباب وفتح لي اخرجت رأسها من الطاق وقالت له قد وصل ! وصل ! فقلت لها من هو ؟ قالت الاسد كان خلفك يشيعك فنظرت فاذا هو كما ذكرت ، وكانت ام يحيى هذه من خواص أصحاب الشيخ الاول ، وكان يقول اصحابي الاول دخلوا من الباب الذي دخلت منه حصل لهم مثل ما حصل لي وزيادة .

وحدثني ابو محمد بشر الرياحي قال كان الشيخ يخبرنا بعلم كل شيء ويخاطبنا بما يخطر في سرارنا ، وكان يفهم حتى منطق الطير ولقد كان جالسا يوما مع الفقراء - وبهم فاقة وضرورة - فنق غراب فانصت له ثم زاد فانصت له ثم نعق الثالثة فقال الشيخ ما انتم الا في فاقة ولكن تأتاكم الدنيا الساعة فقد أخبر الغراب بذلك ! فجاء من الفتوح في الوقت ما كفى الجميع ، وحدثني أيضا قال كنا مع الشيخ في سفر فنق غراب على حايط خراب فوقف الشيخ وانصت ، فقلت له ما هذا يا سيدي فقال قال لي : ما تلقون ان شاء الله الا الخير ، ثم نعق الثانية فانصت الشيخ وقال : قال ابراهيم ولدي يكون خطيبا فكان الامر كذلك ، وحدثني الفقيه ابو عبد الله محمد ابن دلف قال : قلت للشيخ لعلك تنظر لولدك ابراهيم في الخطابة ؟ فانه حقيق بها اذ هي خطة أهل الخير والدين ، فقال لي ان قدر الله بشيء : فسوف يكون ، واخبرك انه كان بقابس فكنت اذا كاتبته بشيء يجري الله على لساني : ابراهيم الخطيب من قبل هذا ! وقد أوقفني ابراهيم ولد الشيخ علي كتب بخط الشيخ له وعلى عنوانه ابو اسحاق الخطيب ، وتاريخ الكتاب - فيما ذكر لي - قبل ان يكون خطيبا ، فقدر الله وكان خطيبا بجامعة القيروان مدة طويلة .

وحدثني معمر الخولاني قال كانت لي زوجة سيئة الخلق في معاشرتها لي ولا توافقني على الصلاة ولا خدمة الصالحين ، فاعلمت بذلك الشيخ فقال لي : يا معمر اصبر حتى يموت رضوان فتأخذ زوجته ، وكنت واطنا بالمهدية ورضوان هذا

بالقيروان صحيح ، ثم بعد عامين سرت الى القيروان فوجدت رضوان قد توفي فتزوجت زوجته بعينها ولم اتزوج عليها الى الآن نحو الثلاثين سنة ، وحدثني ابو زيد عبد الرحمان المأموني قال لما حججت وبلغت الاسكندرية ماتت رواحلي وبقيت بالاسكندرية فبلغ اهلي اني مت فجزعوا من ذلك جزعا شديدا فقصد اخي الى الشيخ ابي يوسف بالقيروان ، فلما وقع بصره عليه قال له الشيخ : ذكروا ان اخاك عبد الرحمان قد مات ؟ فقال له نعم ، فقال الشيخ يوم الجمعة من هذا الاسبوع تجتمع مع أخيك ان شاء الله ؛ ثم ان الشيخ رجع على نفسه باللوم والعتاب وهو يقول يعقوب يتكلم على الغيب مرتين ، ثم سكت وهو منكس رأسه ، فاجتمعت مع أخي يوم الجمعة كما قال الشيخ .

وحدثني ابو علي الكسراوي قال : اردت ان اتزوج فاتفق رأي جماعة من الصالحين على امرأة ، فشاورت الشيخ فيها فسكت عني ، ثم غلب علي الطلب في المرأة فاخبرت الشيخ فقال : لي اتفق رأيهم على تلك المرأة فما رأيك انت ؟ قلت ما تأمرني به ، قال ليست لك بزوجة ولو دخلت عليها وبقيت عندك عشرة اعوام وقد زوجتك طفلة هي الآن تلعب ! فقدّر الله ان دخلت بتلك الزوجة فلم اجد من نفسي قوة على النكاح فبقيت عندي كذلك سنة وستة أشهر واثنى عشر يوما ثم اني فارقتها وهي بكر وتزوجت بعد ذلك ابنة عمي وكانت في تلك المدة طفلة وولد لي منها الاولاد وهي عندي الى الآن .

وحدثني ابو عيسى زيد الدهماني قال كنت مع الشيخ فسلم عليه رجل عرفه وقبل يده وسأله في الدعاء فلما انصرف الرجل قال الشيخ : هذا الرجل هو الذي يتزوج زوجتي نعيمة بنت ابي زكرياء بن هناصر بعدي ! فلما مات الشيخ تزوجها ذلك الرجل .

وحدثني الواعظ ابو القاسم البجائي قال : كنت بالقيروان فصنعت امرأتي طعاما بعسل فلما قدمته بين يدي قالت : تمنيت ان لو اكل منه سيدي ابو



يوسف ، فقلت لها : صار لنا أبو يوسف طفلا ندعوه في كل وقت وسكتُ قليلا ولم آكل ففرع الباب فقلت : من هذا ، قال : يعقوب ، قال : فقمت اليه ، بادرت الزوجة الحجاب ورفعت العظام فدخل الشيخ وجلس ثم قال : واين ما دعوتموني اليه ؟ فقلت : ها هو حاضر وأتيته به فنظر اليه ورفع لقمة ووضعها وقال لي : امرأتك ارادت ان آكل من هذا الطعام ويعقوب أيضا يريد من يأكل معه ثم نقر باصبعه الى الارض وقال : يا بركة ثم نقر ثانية وقال : يا بركة ثم نقر ثلاثة يا بركة تأتي لدار الواعظ فما كان الا قليلا حتى قرع الباب ودخلت علينا بركة وكانت عجوزا سالحة فقال لها الشيخ اما سمعت من أول مرة فقالت : يا سيدي سمعت الاولى والثانية ولم اعرف الى أين آتني الى ان سمعت في الثالثة دار الواعظ فجئت ثم امر بتقديم الطعام فلما رأته قالت : يا سيدي لي مدة اشتهي هذا الطعام بعينه ، فقال نعم كلي هكذا أردنا .

وحدثني الحاج ابو بكر ابن سليمان المعروف بابن القابلة قال : حججت سنة 624 فبينما أنا بالحرم واذا بشيخ فسألني عن بلدي فأخبرته اني من القيروان ، فقال لي من ترك الشيخ ابو يوسف في مكانه ؟ فقلت له نظن في ولده ابراهيم خيرا وهو الآن في هذا المركب ، فقال لي : صدقت ما ثم في أولاده الا هو ، ثم قال : يا ولدي كنتم عميانا عنه فما عرفتموه حتى مات كان يصلي المغرب عندكم بالقيروان والعشاء عندنا بمكة ويوم مات صلينا عليه بالحرم ! واقمت بعد ذلك بمكة ثلاثة أشهر فما رأيت ذلك الشيخ من تلك الساعة ولا سمعت له خبرا واطنه من الابدال .

وحدثني جماعة من الفقهاء ان الشيخ مر يوما بقصر الكنايس فوصلوا اليه يسلمون عليه ويشكون ما أصابهم من القحط والجذب وضعف أحوال الناس والبهائم ، فرق الشيخ لشكواهم حتى بكى رحمة لهم وشفقة عليهم وجرت

دموعه ، قال : فأغاثهم الله تعالى بالمطر الوابل فقال الشيخ عند ذلك : لله رجال اذا بكوا بكى السماء لبكائهم موافقة لهم .

وحدثني ابو علي فضل الصفاقسي قال عطشت ليلة عطشا شديدا ولم اجد ماء ولم أطق صبرا فاخذت الاناء ومددت يدي وقلت يا رب بحرمة سيدي ابي يوسف إلا ما اسقيتني الساعة - والسماء مصحية والنجوم تزهو ويدي ممدودة بالاناء - ثم غلب علي غالب حال غيبيني عن حسي فما أدخلت يدي الا وقبض الله بمطر غزير في الوقت فوجدت الماجل قد امتلأ حتى رفع الغطاء .

وحدثني ابو زكرياء يحيى ابن وتران المزاتي ، قال : اخبرني محمد بن سلطان القلاي ، قال : كان رجل من العرب يقال له ابو عتور وكان كثير الفساد والاذاية لاهل مكاننا ولغيرنا وكان له جاه عند أهل سوسة ، فقال له أهل البلد لعلك تسير الى الشيخ يكتب لك كتابا الى صاحب سوسة لعل الله يكف به عنا ظلم هذا العربي ، فلما وصلت الى القيروان سرت الى الشيخ ابي يوسف ، فلما قرعت الباب سمعت الشيخ يقول من قبل ان اتكلم : هذا ابن سلطان ؟ فقلت نعم ، فلما دخلت عليه سألتني عن شأني فأخبرته ، فقال لي : يا ولدي ما كتبت لاحد من الولاة سوادا في بياض قط ولكن قد كفيتم مؤونة ذلك الظالم ! فبقيت متحيرة في أمري ولم اجسر ان اراجع الشيخ ، ثم خرجت من الفور راجعا الى أهلي ، فلما بلغت المكان بلغني ان العربي المذكور ضرب في ذلك اليوم برمح مات منه ، ضربه به ابن عم له وكفانا الله شره .

وحدثني ابو زكرياء يحيى ابن فتوح التوزري قال قدمت على الشيخ زائرا ومعني ابو علي حسن اللمطي ، فقال له الشيخ : يا ابا علي بلغني ان في بلدك رجلين يتكلمان فيك ويقصدانك بالاذى فقلنا له نعم ، فقال الشيخ : دعهما أنا أرمي عليهما الشباك من القيروان ان شاء الله تعالى ، ثم سكت وسرنا الى مضجعنا

فنزّل بلطة شيطي (220) للنصرى فخرج الناس جميعا اليه فضرب احد الرجلين بسهم فمات منه وضرب الآخر بحجر على فيه فتهشمت أسنانه فكان بعد ذلك يخدم ابا علي ويكرمه .

وحدثني أبو علي فضل الصفاقسي قال كنا بزويلة جلوسا مع الشيخ في مسجد ورجل جندي ينظر إلينا من كوة في المسجد ثم انه سار وعاد ينظر ثم مضى وقام الشيخ وقمنا معه فلما جلس في الدار ساعة دعى بفقير كان عنده فقال له يا سليمان سر الى المسجد الذي كنا فيه وانظر حصره فمضى الفقير ثم عاد وقال يا سيدي ما فيه حصر فبعد ساعة طويلة سمعنا مناديا ينادي على رأس مقطوع : هذا جزاء من فعل كذا فاخرج الشيخ رأسه من طاق في الدار فنظر وقال هذا رأس ذلك الرجل الذي كان ينظر إلينا في المسجد فلما خرجنا اخذ حصر المسجد يشرب عليها أصحابه الخمر ففعل الله به هذا ، وتولى الشيخ ابو يوسف القطابة حدث الشيخ حزام المدفون بالمرسى قرب مدينة تونس قال لما زار الشيخ ابو يوسف والشيخ ابو محمد عبد العزيز ابا مدين ببجاية قال لبعض اصحابهما : احتفظوا بهذين الشيخين فانهما تكون لهما القطابة سبعة أعوام ! فقلت له يا سيدي لهما شركة قال تكون للاول فاذا مات يبقى الامر بعده مقدار ما تخلف بعده ، فتوفى الشيخ ابو يوسف بالمحرم من سنة احدى وعشرين وستمائة وتوفى الشيخ ابو محمد في شهر رجب من ذلك العام .

(قلت) : ودخل أبو عبد الله السقطي على الشيخ ابي يوسف بتونس وكنا معه فقال له بعد كلام : يا سيدي اين يكون القطب ؟ قال يا محمد وتسال انت عن القطب لاي شيء تدخل نفسك في هذا ؟ ثم قال له القطب يكون بمكة القطب له عيال واولاد ويكون معك يأكل ويشرب ! فأخذ السقطي عند ذلك حال شديد بغيبة وانزعاج وتواجد كثير ، وسكن ابو يوسف برباط شقانص

بالقيروان (221) ولما مرض الشيخ بعد انقضاء المدة المذكورة واشتد به الامر أراد اولاده دفنه في بعض دورهم او بقرب قبر الشيخ ابي بكر ابن اللباد عند أخيه وبعض أولاده هناك ، ولم يذكر لهم هو شيئا الى ان قدر الله ان بعض الصلحاء راي رؤيا فأتى اليه وقال : يا سيدي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم اتى الى قبر الشيخ ابي الحسن القاسبي وركع ركعتين ثم سار مستقبلا طرف المقبرة - يعني موضع قبر الشيخ الآن - فتوضأ وأنا أصب عليه الماء للوضوء وهو يدلك ذراعيه ويدير الماء بمرفقيه كأنه يعلمني ، فلما أكمل الوضوء قام وصلى ركعتين ، ثم انتهت وقد بنينا بموضع ركوعه محرابا وعمل لنا كرامة هناك سرورا برؤيته وأتى الى الشيخ بشيء من ذلك الطعام ففرقه الشيخ قليلا قليلا على جميع الاهل والاولاد والفقراء تبركا بذلك .

فلما انصرف الرجل قال الشيخ لبعض خواصه الرؤيا التي رأى الرجل صحيحة ، واثبان النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الموضع يري موضع دفني ، واكمال وضوئه اكمال اجلي . وانا اموت في هذه المدة فادفنونني بذلك الموضع الذي ركع فيه ، واحفروا بئرا للطهارة اين وصف لكم نبع الماء من وضوئه ، فكان كما قال مات في ذلك الوقت ودفن بالموضع وحفر بئر بسبب ذلك هناك ، ولما قال الشيخ ادفنونني بذلك المسكان قال يا عبد الكريم قم اظفر لنا شيئا من الخلفاء للقفاف لمرمة دار تكون عند قبري ، فصنعت قفتين قبل موته ، وقال ابو علي يونس ولد الشيخ لما رأى الرجل تلك الرؤيا قال لي الشيخ عندك مائة دينار تعطيهما لي ؟ قلت له وما تصنع بها ؟ قال احوط بها عليك دائرة تقيك من نار جهنم أبني بها دارا عند قبري اذا مت ، فقلت نعم قال وتفعل ؟ قلت نعم ، فلما خرجت آتية بها قال لي : اصبر وسكت قليلا ثم قال لي اتركها عندك الآن حتى أنظر ما يكون فقدر الله تعالى بموته في تلك المدة وقدر الله ببناء تلك الدار من غير تلك الدراهم على يد بعض اولاده الصغار .

وقال ابو سلام قاسم المازري كنت نائما وزوجتي بقربي فايقضتني وقالت رأيت رؤيا انتبهت منها مرعوبة رأيت شجرة من زيتون عظيمة قلعت وكأن في كل بلد من البلاد فرع من فروعها ، فقلت لها : هذا موت رجل عظيم من الاكابر ، وما بافريقية غير الشيخ ابي يوسف ورجل او رجلين ، فبينما هي تحدث بذلك اذ قرع الباب فخرجت اذا بفقير من أصحاب الشيخ يسكي فقال يا سيدي توفي الشيخ وأمر ان تغسله فدخلت واخبرتها وخرجت معه فغسلته وجهازته وكان ذلك قبل الفجر ليلة عاشوراء في المحرم سنة 621 وعمره اثنان وسبعون عاما .

وقال ابو محمد خلف الجريدي سمعت النداء بموت الشيخ رضي الله عنه فخرجت من منزلي اسال متى يصلى عليه فنظرت الى اعلى الجامع الكبير فرأيت خلقا كثيرا عليهم لباس أبيض فظننت انهم اهل البلد اجتمعوا للصلاة عليه قال فمشيت قليلا فنزلت الى الازقة فرأيت كذلك ثم نظرت الى ابراج سور البلد فرأيتها محشوة بالخلق فصعدت وانا اتعجب من كثرة الخلق فنظرت الى المقابر خارج البلد فرأيت كذلك خلقا كثيرا لا يحصون فلما سلم الامام نظرت الى الجامع والى سائر الامكنة فلم ار فيها احدا فبقيت متعجبا من ذلك .

انتهى الجزء الثالث من معالم الايمان ويليهِ الجزء الرابع وهو الاخير وأوله ترجمة ابو عبد الله ابن سالم ابن عبد الملك .

فهرست الجزء الثالث  
من معالم الايمان في معرفة اهل القرون

	ص
أبو اسحاق ابراهيم بن محمد القصرى	39 5 أبو حبيب سعيد بن محمد بن سحنون
أبو ميسرة أحمد بن نزار	41 5 عروس المؤذن الشهيد
أبو عبد الله محمد بن أبى منصور	44 6 أبو جعفر أحمد بن نصر بن زياد الهورى البربرى
مروان بن نصر بن حبيب بن نصر بن مروان بن علقمة الانصارى	47 9 أبو القاسم محمد بن محمد بن خالد القيسى
أبو عبد الله محمد بن اسحاق الجبلى	49 II أبو جعفر القصرى
أبو الحسن على المؤذب	50 I3 أبو الفضل يوسف بن نصر مولى حم
أبو حفص عمر بن محمد بن مسرور	51 I6 الحسن بن محمد القلانسى
أبو بكر محمد بن مسعود	52 I6 أبو القاسم عبد الوهاب بن عبد الله
أبو بكر محمد بن الفتح المؤذب المعروف بابن الصواف	54 18 أبو جعفر أحمد بن أبى خالد الدباغ
أبو جعفر أحمد بن اسماعيل	54 20 أبو عبد الله محمد ابن سهل الصوفى
أبو العباس الفضل بن نصر الباهى المعروف بابن الرايس	55 21 أبو بكر محمد بن محمد اللباد
أبو محمد عبد الله بن قاسم بن مسرور التجيبى المعروف بابن الحجام	57 27 أبو الفضل عباس بن عيسى المسى
أبو عبد الله محمد بن مسرور العسال	59 30 أبو سليمان ربيع بن سليمان بن عطاء الله
عمرون بن مسرور العسال أخو المتقدم	60 36 أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمى الفقيه المؤرخ
	38 محمد بن الفتح المؤذب المرحى

- 97 أبو محمد بن عبد الله بن سعد  
الصائغ المعروف بابن التفاحي
- 98 أبو الازهر عبد الوارث بن حسن  
ابن أحمد بن معتب
- 98 يونس بن سليمان السقاء
- 99 أبو سعيد بن أخى هشام الربعى  
104 أبو بكر عمرو
- 105 أبو عبد الله محمد بن حسن  
الزويلي
- 105 أبو عبد الله محمد بن الشيخ  
أبى سعيد بن أخى هشام
- 106 أبو القاسم بن حمديس القطان
- 106 أبو العباس عبد الله بن  
عبد الرحمان الاجذابي
- 107 أبو بكر بن على بن نصر  
الزعفراني
- 108 أبو عبد الله محمد بن أحمد  
الحياط
- 109 أبو محمد عبد الله بن أبى زيد  
عبد الرحمان النفزى
- 121 أبو عبد الله محمد الارشاني المتعبد
- 121 أبو بكر بن يوسف الخزاعى
- 123 أبو القاسم عبد الخالق بن خلف  
بن شبيلون
- 125 أبو الحسن على بن عبد الله  
القطان المعروف بابن الخلاف
- 126 أبو عبد الله محمد بن أبى بكر  
الانصارى
- 127 عبد الرحمان بن عبد الله  
الخولانى الجزيرى
- 60 هاشم بن مسرور الصسال أخو  
المتقدم أيضا
- 61 أبو حفص عمرو بن خيرون
- 61 أبو ابراهيم أحمد بن محمد بن  
أبى الوليد
- 61 أبو يوسف حجاج بن أبى  
يعقوب السرتى
- 63 أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد  
السبائى
- 74 أبو عبد الله محمد البرانسى
- 75 أبو الحسن على بن محمد بن  
مسرور العبدى الدباغ
- 78 أبو مالك سعد بن مالك الدباغ
- 79 أبو القاسم زياد بن يونس  
اليحصبى السدرى
- 80 جعفر بن نصيف
- 80 أبو الحسن بن نصر الزعفرانى
- 80 أبو محمد عبد الله بن هاشم بن  
مسرور القاضى
- 81 أبو عبد الله محمد بن حارث بن  
أسعد الحشنى
- 84 أبو القاسم بن سعيد
- 85 أبو السراواصل بن عبد الله
- 85 أبو بكر هبة الله بن محمد بن  
أبى عقبة التميمى
- 88 أبو محمد عبد الله بن اسحاق بن  
التبان
- 97 أبو العباس تميم بن أبى العرب  
بن محمد بن أحمد بن تميم

- I44 أبو محمد عبد الله بن محمد  
اللمائي
- I44 أبو عبد الله محمد بن اللحام
- I44 أبو القاسم عبد الرحمان بن  
محمد بن عبد الله البكرى الصقلى
- I46 أبو القاسم خلف بن أبي القاسم  
الازدى البراذعى
- I51 أبو محمد عبد الله بن بهلول
- I51 أبو القاسم عبد الرحمان الغافقى
- I51 أبو على حسن بن خلدون البلوى
- I55 أبو القاسم عبد الرحمان بن على  
ابن محمد الكنانى المعروف بابن  
الكاتب
- I56 أبو سعيد خلف بن محمد  
الحولانى
- I56 أبو عبد الله محمد بن سفيان  
المقرى
- I57 حربون بن خلفون القرشى
- I57 أبو عبد الله بن أبى صفرة بن  
أسد التميمى
- I58 أبو العرب محمد بن تميم بن أبى  
العرب التميمى
- I58 أبو الطيب عبد المنعم بن خلدون  
البلوى
- I58 أبو عبد الله محمد بن أبى  
موسى بن عيسى بن مناس  
اللواتى
- I58 أبو بكر عتيق بن خلف التجيبى
- I59 أبو القاسم عبد الرحمان الاصفر
- I27 جابر بن عبد الله بن هاشم
- I28 أبو موسى عيسى بن مناس
- I28 عبد الواحد بن الشيخ أبى  
الحسن القابسى
- I28 أبو بكر أحمد بن أبى بكر  
الزويلى
- I29 أبو جعفر أحمد بن خلف  
الاجذابى
- I29 عبد الله ابن بنت أبى القاسم بن  
شبلون
- I29 أبو القاسم عبد الله بن القاضى  
محمد بن عبد الله ابن هاشم
- I30 أبو عبد الله محمد بن اسماعيل  
المهدى
- I30 أبو سعيد خلف بن منصور  
القلال
- I30 أبو عبد الله محمد بن اسحاق  
بن التبان
- I31 أحمد بن محمد النجار
- I31 أبو الحسن على بن الساحلى
- I31 أبو عبد الله محمد الزيات  
محمد بن عبد الله بن هاشم
- I32 أبو الفضل العراقى
- I32 أبو بكر الحذا
- I33 أبو محمد عبدون بن الشيخ أبى  
محمد التبان
- I34 أبو الحسن على بن حمديس
- I34 الشيخ أبو الحسن على بن محمد  
ابن خلف المعافرى القابسى



- 177 أبو اسحاق ابراهيم بن حسن  
بن يحيى المعافري التونسي
- 180 أبو بكر عتيق بن أحمد بن  
اسحاق التميمي
- 181 أبو بكر عتيق السوسي
- 181 أبو القاسم عبد الحق بن  
عبد الوارث التميمي المعروف  
بالسيوري
- 184 أبو الطيب عبد المنعم بن محمد  
الكندي
- 185 أبو القاسم بن محرز
- 185 عبد الواحد بن تميم التجيبي
- 186 أبو حفص عمر بن عبد العزيز  
بن طيبون
- 186 أبو علي حسن بن حسن بن  
حمدون الجلولي المقرئ
- 186 أبو عبد العزيز بن محمد البكر  
المقرئ المعروف بابن أخي  
عبد الحميد
- 186 أبو القاسم عبد الرحمان بن  
محمد بن رشيق
- 187 أبو بكر أحمد بن أبي محمد بن  
أبي زيد
- 190 أبو حفص عمر بن أبي زيد
- 190 أبو بكر عبد الله بن محمد بن  
عبد الله المالكي
- 193 محمد بن أبي سعيد بن شرف  
الاجذابي
- 194 أبو الفضل محمد بن عبد الواحد  
البغدادي الدارمي
- 159 أبو عمران موسى بن عيسى بن  
أبي حاج الففجومي
- 164 أبو حفص عمر بن محمد العطار
- 165 أبو بكر أحمد بن عبد الرحمان  
بن عبد الله الحولاني
- 169 أبو عبد الله محمد بن العباس  
الانصاي الخواص
- 170 أبو عبد الله الحسين بن  
عبد الله بن عبد الرحمان  
الاجذابي
- 170 أبو الحسن علي بن محمد ابن أخي  
مروان
- 170 أبو طاعة بن أحمد بن طولون
- 171 أبو بكر محمد بن عبد الله  
القصري
- 171 أبو علي الحسن بن محمد بن  
الجدود اللواتي
- 171 أبو محمد مكي بن أبي طالب
- 172 أبو بكر بن أبي طاعة
- 173 أبو عبد الله محمد بن عبد الله  
المالكي
- 175 أبو القاسم عبد الرحمان بن  
محمد المصري
- 176 أبو محمد عبد الباري بن حسن  
التميمي
- 176 أبو عبد الله مكي بن  
عبد الرحمان الانصاري
- 176 أبو عمر عثمان بن أبي بكر بن  
رشيق

- 202 أبو الطيب عبد المنعم بن عمر بن  
أبي محمد بن أبي زيد
- 202 أبو عبد الله محمد بن أبي  
الفرج المازرى
- 204 أبو زكرياء يحيى بن محمد زياد  
القرشى
- 207 أبو الحجاج يوسف بن حسونة  
المقرى
- 208 أبو سعيد خلف بن عوض بن  
عبد الله بن أبي شيخ
- 210 أبو عبد الله محمد بن علي بن  
عبد الله الانصارى المشهور  
بالدباغ
- 213 أبو يوسف الدهمانى
- 196 أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر  
الكومى
- 198 أبو عبد الله محمد بن سعدون  
بن علي بن يلال
- 198 أبو محمد بن عبد الواحد بن  
فرج التلالسى
- 199 أبو الحسن علي بن محمد الربعى  
المعروف باللخمي
- 200 أبو محمد عبد الحميد بن محمد  
المعروف بابن الصايغ
- 201 أبو حفص عمر القمودى
- 202 أبو الحسن علي بن عبد الغنى  
المقرى الحصرى

# سلسلة طبع وتوزيع المكتبة العتيقة من تراثنا الاسلامي 61 نهج جامع الزيتونة تونس

هي مجموعة علمية تاريخية أدبية يشترك في ابرازها وتحقيقها علماء إفريقيون وشرقيون وبعثا لهذا التراث الاسلامي الخالد نواصل - بعون الله - طبع ونشر ما هو صالح لمجتمعنا الاسلامي . وقد ابررنا الكتب الآتية :

1 - قلائد العقيان في محاسن الاعيان للفتح بن خاقان قدم له ووضع فهارسه ( محمد العنابي ) .

2 - تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تأليف محمد بن ابراهيم الزركشي ، تحقيق ( محمد ماضور ) .

3 - المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تأليف محمد الرعيني المعروف بابن دينار ، تحقيق ( محمد شمام ) .

4 - فهرست أبي عبد الله محمد الانصارى المعروف بالرصاص ، تحقيق ( محمد العنابي ) .

5 - تحفة المحبين والاصحاب في معرفة ما للمدنيين من الانساب ، تحقيق ( محمد العروسي المطوى ) .

6 - تكميل الصلحاء والاعيان لمعالم الايمان في اولياء القيروان ، تأليف محمد بن صالح عيسى الكنانى ، تحقيق ( محمد العنابي ) .

7 - درة الحجال في أسماء الرجال لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي ، تحقيق ( محمد الأحمدى أبو النور ) ( الجزء الاول ) .

- 8 - الثاني من معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان ، تأليف محمد الانصارى الدباغ ، واكملة أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجى ، حققه ( الشيخ محمد ماضور والدكتور الاحمدى أبو النور ) .
- 9 - الثاني من درة الحجال فى اسماء الرجال لأبى العباس أحمد بن محمد المكناسى ، حققه ( الدكتور الأحمدي أبو النور ) .
- 10 - الثالث منه ، تحقيق ( الدكتور الأحمدي أبو النور ) وبه يتم الكتاب .
- 11 - الكبائر ، تأليف محمد شمس الدين الذهبى .
- 12 - سبك المقال لفك العقال فى تراجم الصوفية ، تأليف عبد الواحد بن الطواح ، من رجال القرن الثامن الهجرى .  
تأخر طبعه لاسباب قاهرة وقريبا نشرع فى طبعه .
- 13 - مشارق الانوار على صحيح الآثار ، للقاضى عياض .  
يشتمل على تفسير غريب ، حديث المؤطا والصحيحين وضبط الالفاظ والتنبيه على مواضع الاوهام وضبط اسماء الرجال .
- 14 - الثالث من معالم الايمان المذكور اعلاه ، تحقيق ( الشيخ محمد ماضور ) .

★ ★ ★

### ولنا كتب أخرى خارجة عن هاته السلسلة وهى :

- الاول من معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان ، للمؤلفين المذكورين اعلاه ، تحقيق ( الاستاذ ابراهيم شبوح ) .
- الجواهر السنوية فى شعراء الديار التونسية ، تأليف المنعم الشيخ محمد بيرم الرابع ، حققه ( الدكتور الهادى حمودة الغربى ) .
- الدين والدولة فى تحقيق النبوة ، تأليف أبى الحسن على بن سهل بن الطبرى ، من رجال القرن الثانى للهجرة .
- الاماع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ، تأليف القاضى عياض ، تحقيق ( الاستاذ السيد أحمد صقر ) .

## ولنا تحت الطبع :

- كتاب سانحات دمی القصر فی مطارحات بنی العصر ، تألیف محمد بن أحمد الطالوی الدمشقی .
- ریاض الصالحین من کلام سید المرسلین ، تألیف شیخ الاسلام محیی الدین أبی زکریا .
- یحیی بن شرف النووی ، راجعه وحققه ( الاستاذ محمد الصادق بسیس ) .



---

تم طبع هذا الكتاب بمطبعة الشركة  
التونسية لفنون الرسم 20 ٠ نهج  
المنجى سليم - تونس في شهر  
فيفري 1978 / تحت رقم 77 / 46  
الايداع القانوني : I - 78

---

